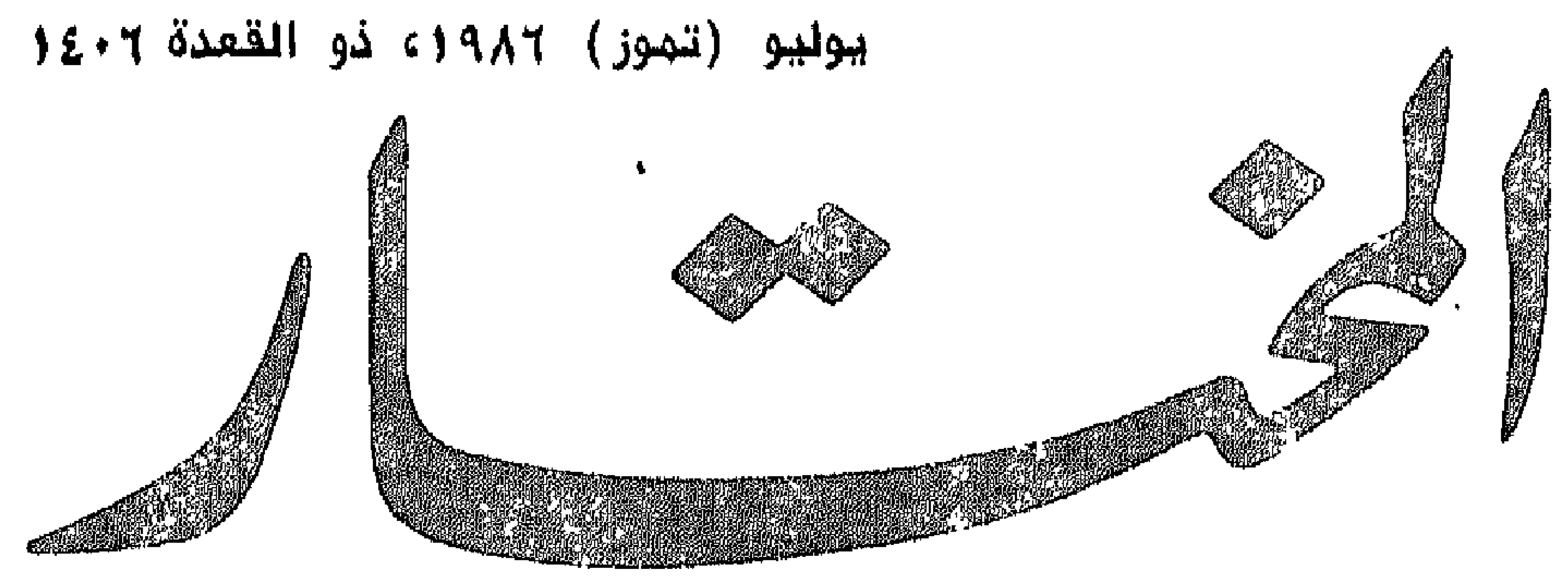
بوليو (تموز) ١٩٨٦، ذو القعدة ١٤٠٦





من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest July 86 N° 92



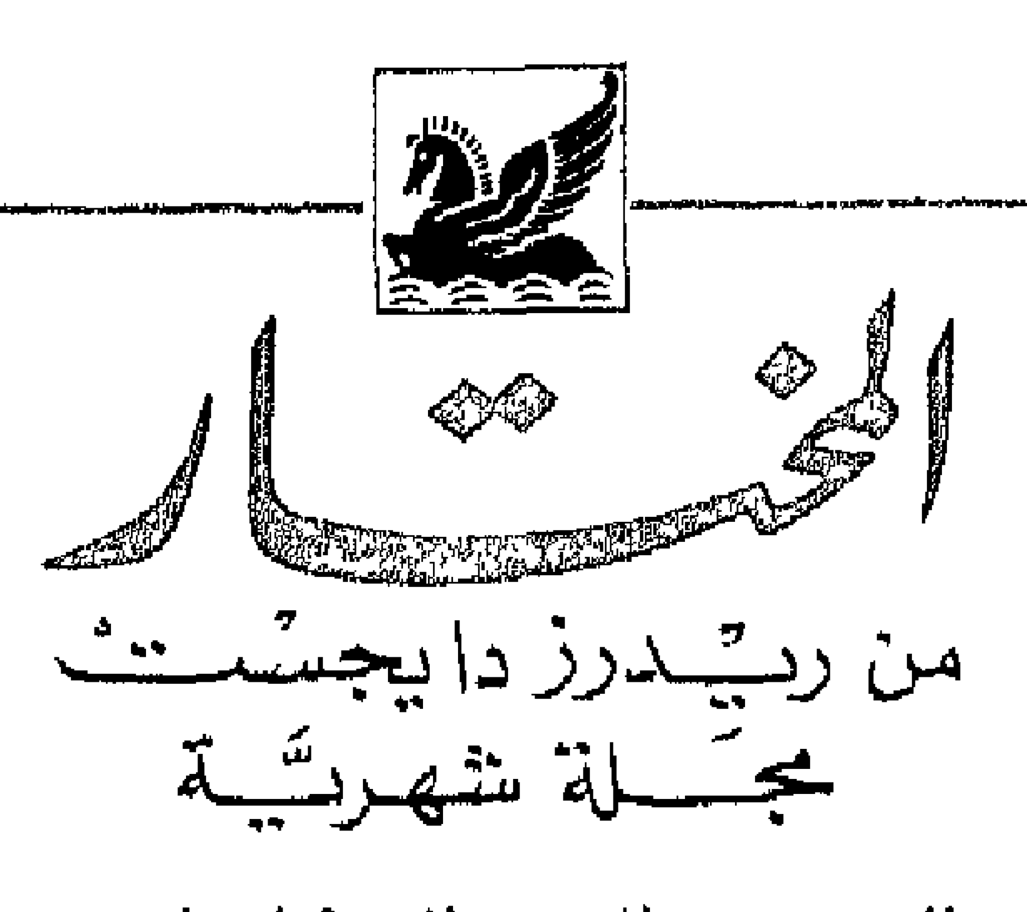
كثرة الفيتامينات تضر بالجسم!

(ص ١١)

جريمة في القصر

(ص ٥٩)

اكثر من مئة مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٥ لغة



رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
الاشتراكات: فريال علاف.
التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠
التلكس MUKTAR 44615 LE ، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.
الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١ – ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE.
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.
مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 — 491630
P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.
MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

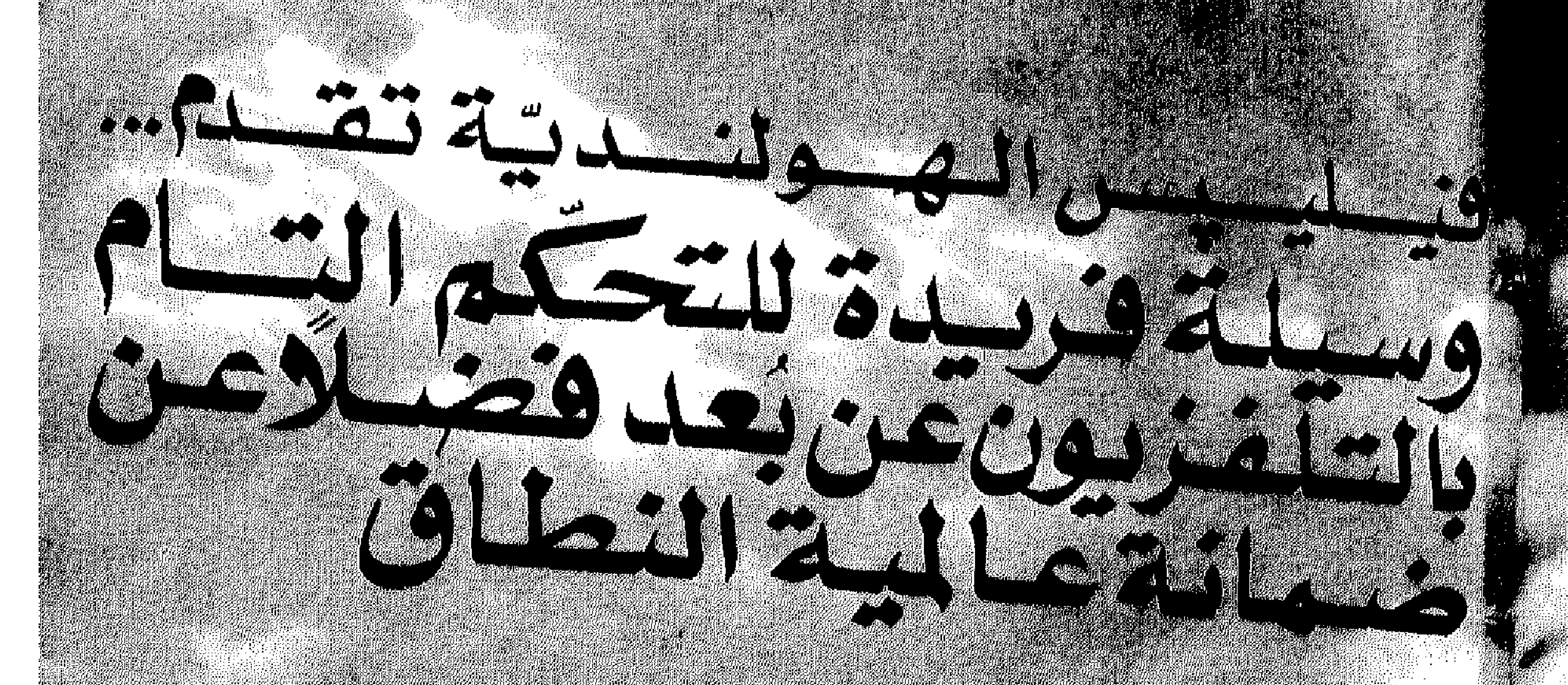
July 86 N° 92 (New Series) Vol. 8

ريدرز دايجست

ثمن العدد

لبنان ١٠ل – سورية ١٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف
السعودية ١٠ر – مصر ١ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٤ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب
تونس ٦٠٠م – المغرب ٥د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٥


Digital
1
2
3
4
7
BALANCE
BRIGHTNESS
VOLUME



TRENDSET ١٦ بوصة — تلفزيون ملوّن
نقال يتيح اختيار ١٦ قناة مختار بشاشة
مظللة تؤمن وضوح الرؤية في ضوء النهار مع
جهاز للتحكم عن بعد

TRENDSET ٢٠ بوصة - تلفزيون ملوّن
ستيريو دي لوكس بشاشة مظللة تؤمن وضوح
الرؤية في ضوء النهار مع توصيلة امامية وخلفية
للصوت والصورة، وجهاز للتحكم عن بعد

TRENDSET ١٤ بوصة تلفزيو...
نقال مع سماعات وشاشة مظللة تؤمن...
الواضحة في ضوء النهار وجهاز للتحك...

للاستمتاع باناقة المظهر، وروعة الابتكار الفنّي، وصورة ذات جودة طبيعية لا مثيل لها، ندعوك لمشاهدة تشكيلة «ترندسيت» من فيليبس. إنها تمتاز بخصائص عديدة رائعة منها جهاز تحكّم عن بعد يعمل بالاشعة دون الحمراء ويتيح لك القيام بكل ما يلزم، من اختيار القناة إلى التحكّم بالوضوح واللون والصوت عن بعد... مما يجعل التحكّم بالتلفزيون في متناول يدك فعلا فضلا عن هذه الخصائص المتطوّرة، فيليبس وحدها تقدّم هذه

أبو ظبي: شركة الخليج للالكترونيات، هاتف: ٨٢٤٨٦٢ دبـ...
للالكترونيات، هاتف: ٣٧٦٦٠٠ البحرين: محمد فخرو واخوا...
٢٥٩٥٣٤ الكويت: يوسف احمد الغانم وأولاده ذ.م.م.، هاتف...
لبنان: أ.ز. للالكترونيات ش.م.ل.، هاتف: ٣٩٢٣٣٢ سـ...
شركة مصطفى وجواد للتجارة، هاتف: ٧٠٩٩٥٥ مسقط، الشـ...
هاتف: ٤٦١٨٠٥ صلالة قطر: محمد عبد اللطيف المانع وشر...
٢/١/٤٢٢٦٩٠ المملكة العربية السعودية: رجب وسلـ...
٧/٦٧٠٠٣٢٦ جدة اليمن: مؤسسة راشد للسفريات والتجـ...
٢٢٦٠٦٧ صنعاء



اذا سمعت شخير صديقنا القنفذ فلا توقظه،
انه لا يحب المزعجين

القنفُذ
قلعَة من شوك

انها ليلة جميلة من ليالي الصيف. رفع صديقنا القنفذ خطمه نحو البدر وحبا الى قارعة الطريق. وكان أديم الطريق لا يزال محتفظاً بحرارة النهار، فاستشعره القنفذ كبساط دافىء تحت بطنه.

فجأة جمد الحيوان في مكانه، فقد تناهى الى سمعه هدير بعيد يتعالى كلما اقترب. انها احدى تلك الحشرات الضخمة ذات العينين المتوهجتين. لا بأس، فصديقنا القنفذ يعرف كيف يدرأ خطر الاعداء. ما عليه سوى أن يتكوم على نفسه كالكرة ويشرع أشواكه، فهي السلاح الذي يقيه اي خطر.

لكن العدو هذه المرة كان أقوى مما

توقع. فأي دفاع لدى صديقنا القنفذ يقوى على صد عجلات السيارة الساحقة الرهيبة؟ وفي ثوان بات واحداً من القنافذ التي تقتلها السيارات على طرق فرنسا سنوياً والتي يبلغ عددها ٥٠٠ الف.

وعلى رغم هذه الخسارة لا تزال القنافذ من أوفر الحيوانات الثديية عدداً في العالم. انها تستوطن جميع انحاء اوراسيا (أوروبا وآسيا) وجزر البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصغرى والقفقاس. وهي تعيش أساساً في حقول تحوطها سياجات كثيفة من النبات كما تعيش في الغياض والحدائق. وهناك قنافذ في الحدائق العامة في المدن حيث تتعايش مع جيرانها من البشر. وتفتن هذه الحيوانات الاولاد الصغار بمنظرها الكث ومشيتها الزاحفة وكأنها من الدمى الميكانيكية المتحركة.

ونادراً ما يتجاوز طول القنفذ ٣٠ سنتيمتراً، وهو ذو قوائم مدببة وجسم بلا عنق وخطم مخروطي ينتهي بأنف رطب وعينين كالخرز وأذنين منبسطتين الى الوراء وذيل دقيق معقوف. واذا لمسته فعليك ان تتوقع وخز أشواكه. وعندما يرفع هذه الاشواك التي تغطي جسمه فانه في الواقع يشرع الوف الخناجر التي يراوح طولها بين سنتيمترين وثلاثة سنتيمترات ويبلغ مجموعها نحو ١٦ الفاً مغروزة في جلد ظهره السميك. هذه الاشواك، وهي من نوع الشعر في الحقيقة، تخدم القنفذ كدرع واقية وكسلاح في آن.

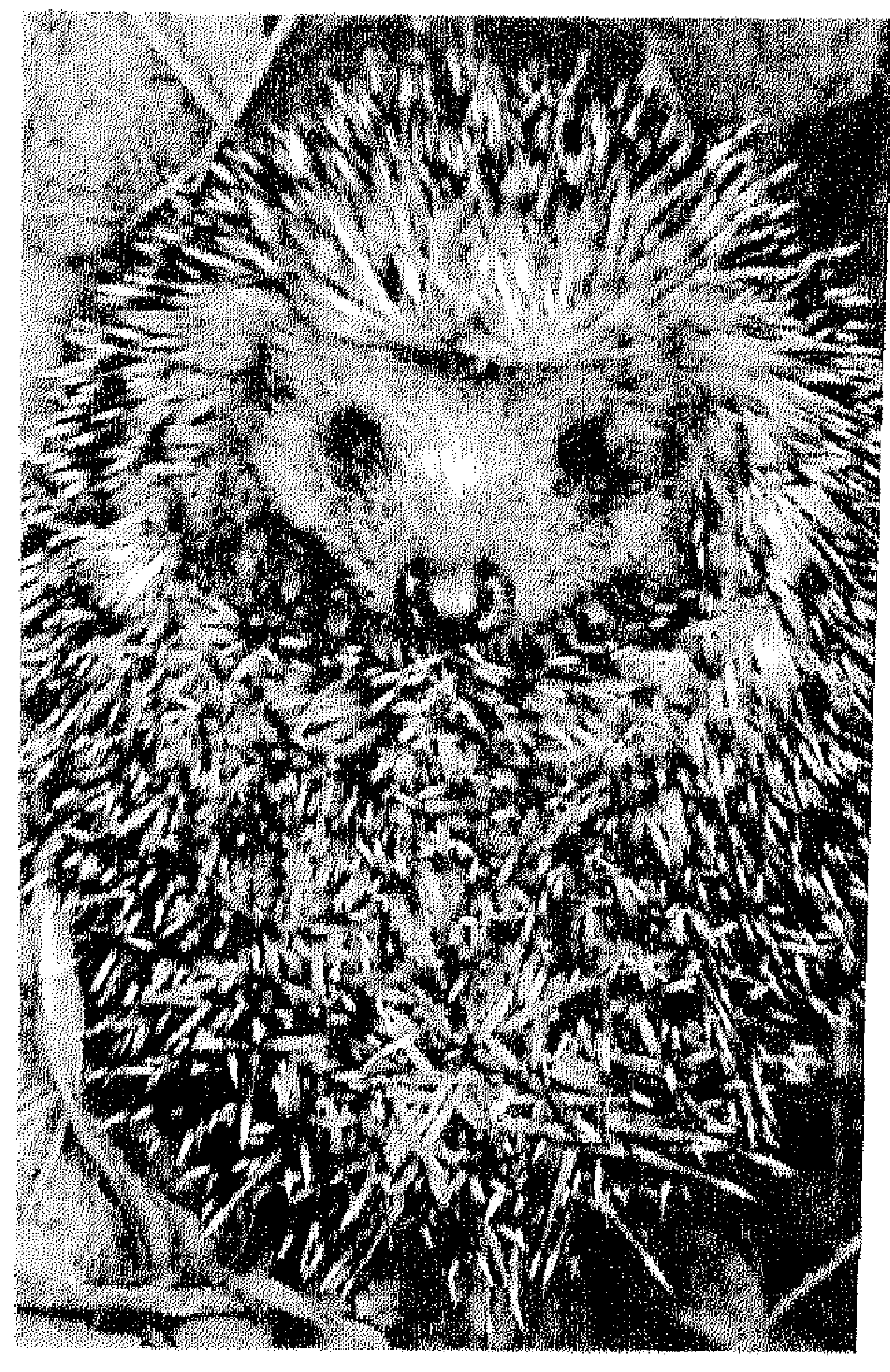
ولدى أقل انذار بالخطر يتقلص عضل قوي في جلد القنفذ، فتنتصب الاشواك في كل اتجاه فوق جبهته وظهره وجنبيه، ثم يلتف على نفسه جاذباً رأسه وقوائمه تحت جسمه. وأخيراً يتقلص جلده حتى تلتقي الاشواك الامامية الاشواك الخلفية، وهكذا يتكوّم كالكرة حتى يشبه مشك الابر.

بلوغ سريع – يعيش القنفذ مختلياً بنفسه في أكثف أجمة يجدها من الاغصان الملتفة. ويغطي ارض جحره بأوراق الشجر والقش والتبن. وهو يحفر احياناً انفاقاً غير عميقة في الارض، او يغتصب جحراً حفرته أرنبة ليضع فيه جراءه او يخلد الى سباته. انه يطارد المتطفلين على حماه ضمن دائرة يراوح شعاعها بين ٢٠٠ و٣٠٠ متر حول الجحر. وتفضل الذكور أن يتجنب بعضها بعضاً، لكنها حين تخوض صراعاً فقد تواصل القتال حتى الموت.

ويحين فصل النزو بين ابريل (نيسان) وأواخر أغسطس (آب). ويسبق السفاد نوع من حركات المغازلة المديدة الرائعة يدور خلالها كل من الزوجين العتيدين حول الآخر. ورويداً تقع الأنثى في حبائل الذكر، فتبقي خطمها مصوباً اليه بينما هو يصفر وينخر ويبصق ويقفز حولها. وتكون المغازلة عنيفة حتى ليخيّل الى المشاهد أن الحيوانين ذكران يقتتلان. بيد ان الوصال الذي يتوج هذا الغزل يتم في هدوء حذر.

وتدوم فترة الحمل بين خمسة أشهر وستة. أما الولادة، التي تتم مرة أو مرتين في السنة بين أواسط مايو (أيار) وأوائل سبتمبر (أيلول)، فتنتج ما بين جروين وتسعة جراء.

(التتمة في الصفحة ٨)


قنفذ متكوم. PITCH / CORDIER

وتولد القنافذ عمياء صماء عارية ضعيفة، وعلى ظهورها شعيرات قليلة بيضاء لينة. وبعد يومين تبرز الشعيرات الأقسى والأدكن لوناً. وتتساقط الشعيرات البيضاء عند الفطام حين تبلغ الجراء الأسبوع الرابع او الخامس من عمرها لكي تفسح في المجال للفرو النهائي الشائك.

وفي اليوم الحادي عشر تصبح الجراء قادرة على التكوّم في شكل كرة. وبعد ثلاثة أسابيع تبدأ الخطو خارج جحرها بحثاً عن الطعام، فتسير في صف منتظم وراء أمها. واذا فقدت الأم جراءها تأخذ هذه في الصفير والصئيّ داعية أمها.

ولدى بلوغ الجراء الشهر الثاني، وتكون لا تزال غضة الاهاب، ترغم على مغادرة الجحر لتتدبر أمورها بنفسها. وتدرك الجراء البلوغ بسرعة. وعند ولادتها يراوح وزنها بين ١٠ غرامات و٤٠ غراماً، لكنها تبلغ وزنها المتكامل اي نحو كيلوغرام واحد بعد ١٠٠ يوم فقط. وعندما تكمل عامها الاول تصبح قادرة على التناسل. اما متوسّط عمرها فهو عقد واحد.

البرد القاتل – يقضي القنفذ معظم وقته نائماً تحت سياج حقل أو بين الاعشاب الكثيفة في غابة او داخل جحره. لكنه قد يفاجىء المتنزهين بصوته الذي ينبعث ملحاحاً من داخل أجمة. فهو حيوان مفطور على الغطيط، واذا أزعج في نومه فقد يصرف بأنيابه غيظاً.

والقنفذ في الواقع حيوان صاخب. وحين ينطلق في الأجمات يسمع تقصّف الأغصان تحت قوائمه، وله أصوات أخرى خافتة كالشخير والدمدمة والغطيط التي يتوقع المرء سماعها من رجل هرم متألم. وفي حال الألم او الخوف يصدر زمجرة مثيرة. وعندما يأكل يلتهم طعامه بشراهة.

القنفذ حيوان ليلي يبدأ بحثه عن الطعام مع الغسق. وعلى رغم انه يفضل التهام الخنافس والديدان، فقد يأكل اليساريع والحلازين والضفادع والسحالي وفئران الحقل والجيف والبزور وثمار العلّيق والتفاح والخوخ والفطر.

والقنفذ ضعيف البصر، لكن حاسة الشم لديه متطورة جداً. وحين يشق طريقه بين النباتات الملتفة فانه يقتفي

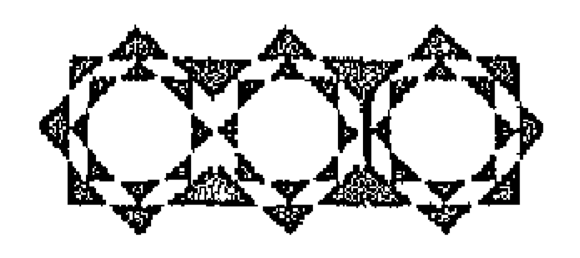
الرائحة التي يشمها، ولذا يدأب على تشمم اوراق الشجر الجافة وهو ينخر بصوت عال ويتحرى روث البقر والاغصان اليابسة علها تخفي تحتها طعامه المفضل. وقد أثبت المراقبون انه يستطيع شم رائحة الانسان على بعد عشر خطوات عكس اتجاه الريح.

وبفضل حاستي الشم والسمع القويتين يستخدم القنفذ الاصوات والروائح كمعالم للاسترشاد في طريقه. وفي وسع هذا الحيوان ان يعبر بسرعة وسهولة غرفة مظلمة من دون ان يصطدم بقطعة أثاث. بيد انه يرتجف هلعاً لدى سماعه أخفت صرير يصدر عن كرسي. والى ذلك فهو متسلق بارع ويستطيع تسلق جدار حجري حول حديقة. وعندما يبلغ القمة يلقي بنفسه الى الارض في الجهة الاخرى معتمداً على اشواكه المنتصبة لامتصاص عنف الصدمة.

وفي اواسط اكتوبر (تشرين الاول) يدركه الاسترخاء فيتكوم ويشرع أشواكه ويخلد الى السبات الطويل تحت طبقة من اوراق الشجر والاغصان والجذور حتى الربيع. وتهبط حرارة جسمه الى ٦ درجات مئوية ولا يوقظه من سباته سوى موجة من البرد القارس، وحينئذ يفيق لفترة قصيرة. هذه الظاهرة هي جهازه الدفاعي ضد التجمّد، فيهب من نومه ويسير متجولا ليبعث الدفء في جسده ثم يعود الى السبات. واذا طال أمد الصقيع فقد ينهك الحيوان نفسه، وفي نهاية فصول شتاء قاسية كثيراً ما يعثر على قنافذ نافقة في جحورها.

لقد أصبحت هذه الحيوانات معرّضة للخطر مع زوال السياجات النباتية الكثيفة حول الحقول، كما أخذت مبيدات الحشرات تهددها لأنها تلوّث طعامها. لكن القنافذ التي تبقى حية حتى الربيع التالي يتعين عليها - وأأسفاه - ان تتكوّم على نفسها في مناسبات كثيرة وأن تشرع أشواكها دفاعاً عن النفس.

جان بول جيبيا ■



"المحل مفتوح"

كان رجلان يبحثان عن قطع أثرية في حوانيت مغمورة. ورأيا حانوتاً صغيراً رفعت على بابه لوحات كتب عليها: "الحانوت مفتوح." لكن المحل كان مظلماً. وفيما هما واقفان تقدم منهما رجل عجوز جاء من بيت قريب وسألهما هل يريدان شراء شيء. فسأله الرجلان بدورهما: "هل محلك مفتوح؟"

- أجل، ثمة ثلاث لوحات تقول ان المحل مفتوح.

"لكننا نرى الانوار مطفأة."

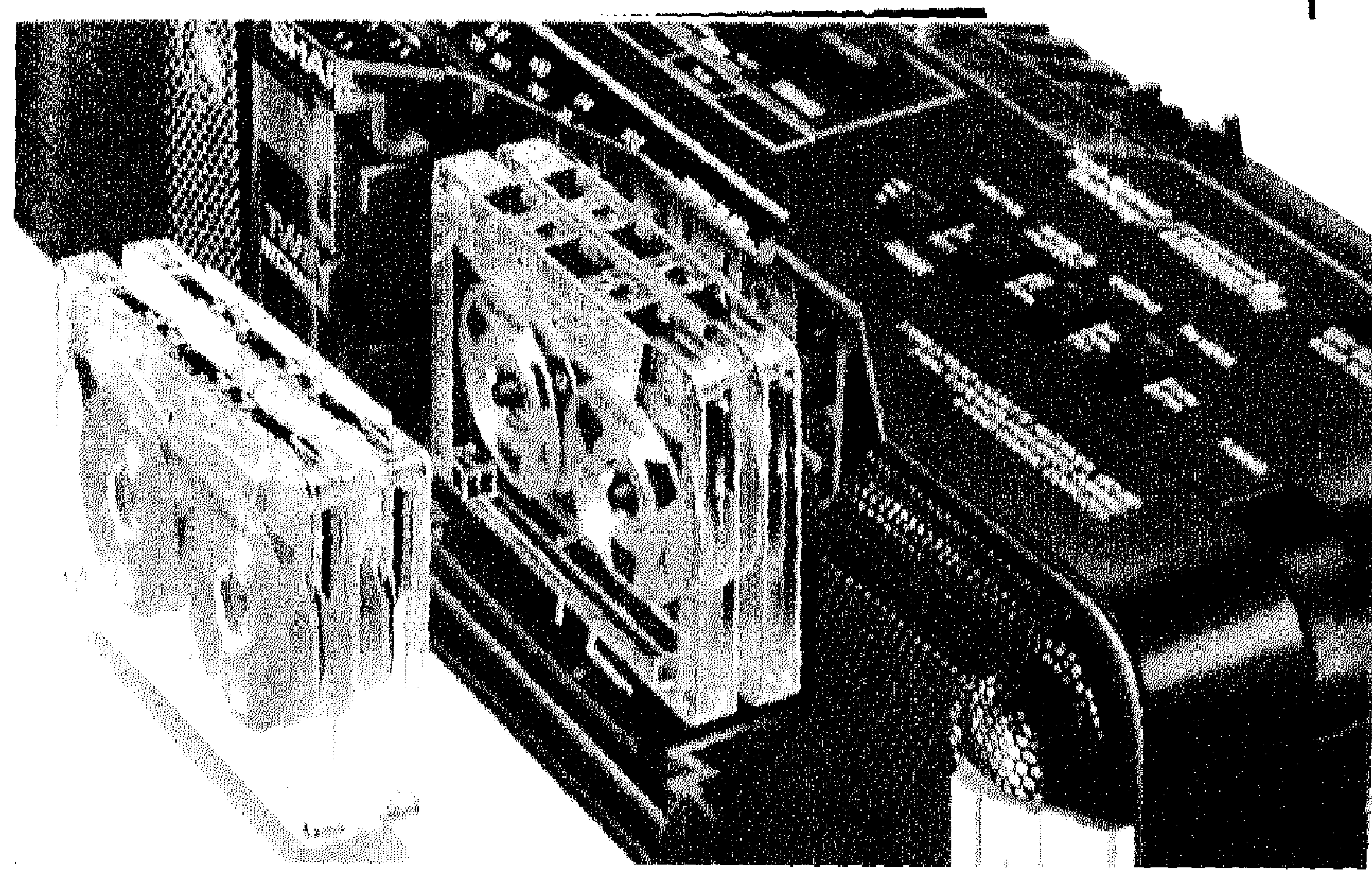
- يا صاحبَي، يتعين علي أن أدفع لشركة الكهرباء ثمن ما استهلكه من نور سواء أجئتما أم لا. فهل تتوقعان مني أن أنتظر هنا طوال النهار والانوار مضاءة؟"

وأعجب الرجلان بروحه المرحة وقضيا ساعة في محله يعرضان ما لديه من تحف.

ج.ل.

كان لنا حلم

كنا نحلم بابتكار مسجل كاسيت مزدوج أصغر حجماً وأفضل أداءً
وبتقنية جديدة تماماً ...



تتميز تقنية شارب للكاسيت المزدوج، خلافا للمسجلات الأخرى ذات نظام الكاسيت المزدوج، بوضع الشريطين في الجهاز بشكل متواز ظهرا إلى ظهر، بحيث يتم تشغيلهما بموتور واحد ورأس واحد وفي وقت واحد، مما يلغي الدوران غير المنتظم للشريط والفارق في سرعة طبع الصوت بين الشريط الأصلي والمسجل والنتيجة دبلجة صوتية أكثر دقة.
كما تحصلون أيضا على جودة صوتية أعلى في شكل أصغر حجما، لأن تصميم تقنية الكاسيت المزدوج شارب أعطانا أقصر وأكثر كثافة وبالتالي تسمح بأداء لمكبرات الصوت أكثر عمقا وبمنطقة أكثر فوق، مكبرات صوت بدون أطراف تتمتع بقوة خارجة ١٠ واط (PMPO). يعتبر هذا التصميم الجديد من شارب بعدد أقل من أزرار التشغيل وبسهولة العمل.
WQ-T281Z فكرة جديدة تماما سيكون لها صدى رائع.

فليكن حلمك



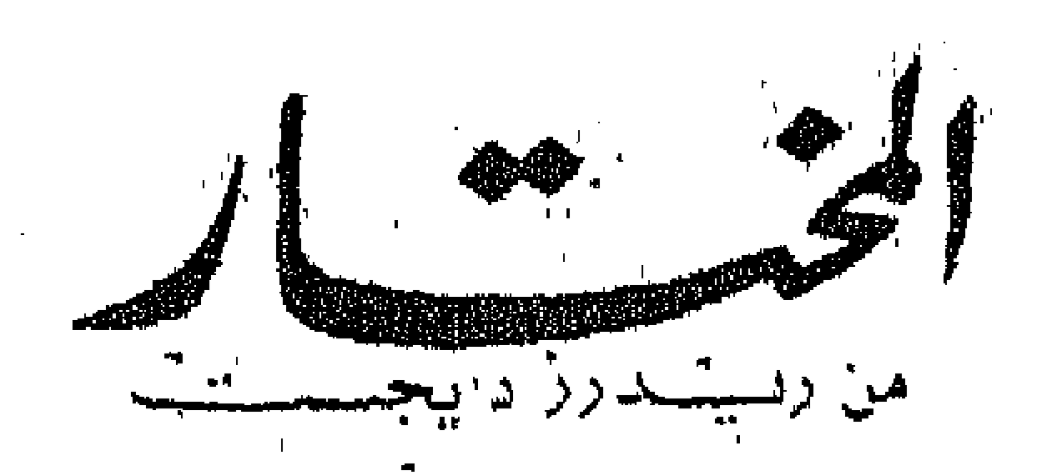
WQ-T281Z

مسجل راديوكاسيت ستيريو

- طاقة عالية (١٠ واط PMPO)
- نقطة توصيل لجهاز الاسطوانات المصغرة
- شدة مغناطيسية عالية (٥٠٠, ١٠ غرام) تكبر صوت بدون أطراف من الورق الطبي بمجامع الكربون المضغوط
- مسوي قطعي ذو ٥ درجات صوتية
- نظام دبلجة ذات سرعة عالية
- استنساخ مستمر لمسة واحدة (الشريط ١ والشريط ٢).



شركة شارب، اليابان


من ريدرز دايجست

يوليو (تموز) ١٩٨٦

السنة الثامنة (سلسلة جديدة)

مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

كثرة الفيتامينات تضرّ بالجسمْ

هل انت في حاجة الى فيتامينات اضافية؟ اليك هذه المعلومات التي تساعدك في اتخاذ قرارك

في العام ١٩١١ أطلق العالم بالكيمياء الحيوية كاسيمير فانك، حين كان في معهد لستر ببريطانيا، اسم "فيتامين" على المادة التي اكتشفها في كبد الحيوان واعتقد أنها تحمي الحمام من الاصابة بداء "البري بري" أو الرزام. وقد تبيّن لاحقاً أن هذه المادة الفاعلة ضد البري بري ليست سوى الثيا[illegible] أو الفيتامين "ب - ١" وهو أول نوع اكتشف من الفيتامينات التي يبلغ عددها ثلاثة عشر وكان آخرها الفيتامين "ب - ١٢" الذي اكتشف عام ١٩٤٨.

اننا نتناول يومِيا في غذاء كامل متوازن ما يعادل ثمن ملعقة صغيرة من هذه المغذّيات الضرورية، وهذا نظرياً، هو ما نحتاج اليه. إنما هل في امكاننا أن



نزيد طاقتنا أو نطيل أعمارنا أو نتفادى الامراض بتناول أغذية غنية بالفيتامين أو بتناول فيتامينات ومقوّيات معدنية مكمّلة؟ هذه لا تزال احدى المفارقات الطبية التي يدور حولها جدل حام.

فمن ناحية، نجد أطباء وعلماء تغذية يرون ان في الغذاء العادي الكامل من الفيتامينات ما يفي بحاجة معظم الناس. ويقول هنري كامن وهو عالم بارز بالكيمياء الحيوية في جامعة ديوك في دورهام بكارولينا الشمالية وصاحب آراء ملتزمة في شؤون التغذية: "تناول زيادة من الفيتامينات فقط عندما تشعر انك في حاجة حقيقية اليها." فالجسم يفرز الكثير من الفيتامينات والمعادن التي تفيض على حاجته، وهكذا فان مليارات الدولارات التي تُنفَق ثمناً لهذه الزيادات تذهب اهداراً.

هناك مهووسون يأخذون زيادات كبيرة جداً من الفيتامينات ظناً منهم أنها تدفع الجسم الى امتصاص كمية أكبر من هذه المقوّيات فتزداد منفعتهم. لكن النتيجة غالباً ما تكون التسمم بالفيتامين. لذا يقول الدكتور جاك كوبرمان من كلية الطب في نيويورك: "الفيتامينات قادرة فعلا على القتل."

وقد عمدت احدى الامهات الى اعطاء طفلتها ذات الثلاثة الاعوام حبوباً من الفيتامين "أ" بكميات تزيد مئة مرة على حاجتها اليومية من دون استشارة طبيب، وذلك بهدف وقايتها من الزكام في الشتاء. فكانت النتيجة ان أخذت الطفلة تعاني الحكاك وجفاف ماء الجسم ورجفاناً شديداً وارتفاعاً في معدل الكلسيوم الى حد ان قلبها كاد أن يتوقف عن النبض. فأدخلت المستشفى حيث أثبت الاطباء أن جميع الاعراض التي اصابتها مردّها الى الافراط في تناول الفيتامين "أ".

وبما أن الفيتامينات "أ" (A) و "د" (D) و "هـ" (E) و "ك" (K) سهلة الذوبان في المواد الدهنية فانها لا تُفرز سريعاً مع البول مثل الفيتامينين "ج" (C) و"ب" (B) القابلين للذوبان في الماء، بل تُختزن في الجسم بمقادير كبيرة وتصبح مواد ضارة قد تسبّب التسمّم.

حتى الفيتامينات التي تذوب في الماء لا تعتبر آمنة كلياً حين تؤخذ بكميات كبيرة. فكثرة النياسين المضاد للحُصاف (Pellegra) تسبّب سرعة في نبض القلب وتقيؤاً و"هبّات" حرارية، وفي الحالات القصوى تسبّب تلفاً في الكبد. كما ان المعادن يمكن ان تصبح ضارّة اذا أخذت بكثرة، لان زيادة كبيرة في الكلسيوم مثلا يمكن أن تسبّب تكلّساً في الكليتين.

ومن ناحية اخرى نرى الملايين يضيفون الى طعامهم بانتظام مقادير كبيرة من الفيتامينات، لاقتناعهم بالحصول على زيادة في المنفعة أو استناداً الى معلومات أخذوها من الكتب والمجلات أو توصيات من تجار الأدوية. وفي ذلك تقول الدكتورة لوريتا ايتري الباحثة في تأثير الفيتامينات في الاورام بتكليف من أحد كبار منتجي المواد الصيدلية: "غالباً ما يقرأ المرضى عن الفيتامينات أكثر مما يقرأه أطباؤهم. ومعلوماتهم صحيحة تارة وخاطئة طوراً."

ويوضح الدكتور فان هبارد من المعهد

الوطني للصحة في الولايات المتحدة ان "هؤلاء المرضى لفتوا الأوساط الطبية الى فاعلية التغذية الصحيحة في الوقاية من الأمراض."

ويصر الأطباء على عدم تناول الفيتامينات من دون استشارتهم لأن من شأنها ان تؤثر سلباً في المعالجة الطبية التي يخضع لها المريض أو في نتائج الفحوص التشخيصية. فالجرعات المفرطة من الفيتامين "هـ" يمكن أن تسبّب نزفاً للذين يتناولون أدوية لترقيق الدم. والافراط في الفيتامين "ب - ٦" يُضعف فاعلية الأدوية المضادّة للالتهابات. كما ان الافراط في الفيتامين "ج" قد يخلّ بفحص السكري ويعطي نتيجة سلبية خاطئة لفحص البراز الذي يُقصد منه التثبت من وجود الدم فيه (وجود الدم في البراز هو المؤشر الرئيسي الى الاصابة بالقرحة أو السرطان المعوي).

ان البحث لا يزال مستمراً لمعرفة الخصائص الكاملة للفيتامينات. ولا أحد يسعه في هذه المرحلة أن يجزم ما اذا كان تفوّق مارتينا نافراتيلوفا في كرة المضرب مردّه الى موهبة فطرية خارقة او الى تناولها يومياً مقداراً اضافياً من الفيتامينين "هـ" و"ج" مع الزنك.

وينصح بعض الأطباء بمقادير إضافية من الفيتامين "ج" للذين يمارسون رياضات قوية ومنتظمة، ولاسيما اولئك الذين يتبعون نظام حمية يقضي بتناول غذاء لا يحتوي على المقدار الكافي من الفيتامينات. ويدعو بعض الاختصاصيين الى تناول الفيتامين "هـ" لتقوية أغشية الرئتين في حال الرياضيين الذين يركضون في الطرق العامة ويتنشّقون دخان السيارات وسواه من المواد الملوثة. وهناك أدلّة متنامية على أن الفيتامينات المكمِّلة أو أنظمة الحمية الغنيّة بالفيتامينات تساعد في معالجة عدد من المشكلات الصحيّة العصرية:

■ **الربو** (asthma). أعطي عدد من البالغين المصابين بفقر الدم المنجليّ(١) ٥٠ مليغراماً من الفيتامين "ب - ٦" مرتين يومياً. فتبين للباحثين أن لهذا الفيتامين تأثيراً جانبياً أدى الى تحسّن غير مرتقب في الربو الشُعَبي لدى المصابين بهذا الداء وبفقر الدم في آن.

■ **نخار العظم** (٢). هذا الداء الذي ينخر العظم ويجعله مسامياً يسبب لدى واحدة من كل أربع نساء تجاوزن الخامسة والستين كسراً في عظم الفخذ أو الورك. وتدل الأبحاث في جامعة تافتس بولاية مساتشوستس وفي مراكز أخرى على أن تناول مقدار اضافي من الكلسيوم والفيتامين "د" في سنّ مبكّرة قد يبطىء تلف العظام.

■ **السرطان**. ان دراسات الاكاديمية الوطنية للعلوم في واشنطن بالولايات المتحدة تدل على أن لنوع الغذاء الذي نتناوله صلة ما بثلاثين الى أربعين في المئة من اصابات السرطان لدى الرجال وبستين في المئة من اصابات النساء.

---

(١) Sickle-cell anemia

(٢) نخار العظم أو ترققه (osteoporosis)

وفي ذلك يقول الدكتور ريتشارد ريفلن الاختصاصي البارز بالأغذية الواقية من السرطان في مستشفيي سلون ـ كيتيرينغ وجامعة كورنيل في نيويورك: "إن الاختلاف في محتوى الاغذية، خصوصاً الدهنية منها، يساعد على معرفة الأسباب التي تجعل أنواعاً معينة من السرطان تتفشّى في بعض دول العالم أكثر من سواها. فاليابانيون الذين يأكلون كثيراً من الاطعمة المدخّنة أو المخلّلة لا يتناولون سوى القليل من الفيتامين "ج"، لذلك هم معرّضون أكثر من سواهم للاصابة بسرطان المعدة، لكنهم نادراً ما يصابون به حين يهاجرون الى الولايات المتحدة حيث يأكلون الكثير من الخضر والفاكهة.

ويصرّح الدكتور بيتر غرينولد مدير قسم الوقاية من السرطان في المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة انه "للتخفيف من خطر الاصابة بالسرطان نحض الناس على المحافظة على رشاقة أجسامهم وتناول الأطعمة الغنية بالالياف التي تحوي كثيراً من الفيتامينين "أ" و"ج" وقليلا من المواد الدهنيّة.

ويؤمل في السنين العشر المقبلة ان يتوصل الباحثون الى النصح بتناول أنواع معينة اضافية من الفيتامينات والمعادن للوقاية من بعض أنواع السرطان. ويرى الدكتور غرينولد ان "ما يشجعنا هو أن المواد ذات الصلة بالفيتامين "أ" خصوصاً، توقف نشوء السرطان وتخفف الاورام لدى حيوانات التجارب المخبريّة."

حالياً، يساهم نحو ٢٢ ألف طبيب متطوع في دراسات تجريها كلية الطب في جامعة هارفرد بولاية مساتشوستس لمعرفة فاعلية الفيتامين "أ" في الوقاية من السرطان. فنصف هذا العدد من المتطوعين يتناولون يومياً حبة دواء تحتوي على "بيتا – كاروتين"، المادة المستخلَصة من الخضر الطازجة والتي تكوّن الفيتامين "أ" في الجسم من دون أن تعرّضه للخطر الذي ينشأ نتيجة تناول مقدار كبير من الفيتامين "أ" الصرف. أما النصف الآخر من المتطوعين فيتناولون حبوباً لا قيمة غذائية لها. ومع الوقت سيتبين للباحثين ما اذا كانت إصابات السرطان في المجموعة الاولى أقل منها في المجموعة الثانية.

ففي ضوء ما توافر لنا من معلومات، هل تجد أفضل لك أن تأخذ فيتامينات إضافية؟ اليك ما يقوله الاختصاصيون في هذا الصدد:

١. اذا كان طعامك منتظماً ومتوازناً ومغذّياً وكنت تتمتع بصحة جيّدة، فإنك لا تحتاج الى مكمِّلات.

ان منتجي كثير من الأغذية التي نستهلكها، كالحليب والخبز ومستحضرات الحبوب (cereal)، يضيفون بعض الفيتامينات والمعادن لاغنائها. تناول طعاماً طازجاً لم يُطْهَ، وحاول تقصير مدة الطهو. ان الطعام الذي يُطهى على الموجة الدقيقة (٣) يحتفظ بمقدار من الفيتامينين "ب" و"ج" أكبر من ذاك الذي يحتفظ به لدى طهوه على النار، كما تقلّ فيه المواد الدهنيّة.

(٣) الموجة الدقيقة (microwave) موجة مغنطيسية – كهربائية قصيرة جداً.

٢. اذا كانت مواعيد طعامك غير منتظمة ولا وقت لديك لتهيئة الفاكهة والخضر، فيمكنك أن تستعيض عنها بتناول فيتامينات اضافيّة متنوّعة.

ان الاختصاصيين بالتغذية يحبّذون أخذ المغذيات من خلال الطعام الذي نتناوله والذي يحتوي اجمالا على جميع المغذّيات المطلوبة. لكنّ ٦٠ في المئة من مجموع ٦٦٥ اختصاصياً شملتهم دراسة في ولاية واشنطن يتناولون مكمّلات من الفيتامين والمعادن.

٣. لا تأخذ فيتامينات بجرعات تزيد على المقدار الموصى به من دون استشارة طبيبك اولا.

احترس خصوصاً من تناول فائض من المعادن، نظراً الى قلة المعلومات المتوافرة عنها حالياً.

٤. استشر طبيبك حالما تشعر انك تعاني نقصاً في الفيتامينات.

اذا تكرّرت اصابتك بالزكام وبأمراض أخرى وتشققت شفتاك و"تقشر" جلدك وتكرر لديك الصداع وجفاف الأنف وضعفت حيويتك فالأفضل لك أن تجري فحصاً للدم. وضعف الرؤية ليلا ربما كان مرده الى حاجة الجسم الى الفيتامين "أ". واذا كنت مدخناً ولا تستطيع نبذ هذه العادة فإن طبيبك ينصحك على الارجح بتناول جرعات خفيفة من الفيتامين "ج" لتعويض جسمك ما يفقده مع كل سيجارة تدخنها. كذلك فان المغذيات المكملة التي تؤخذ بمعرفة طبيب تفيد النساء الحوامل والمرضعات وبعض المسنّين والأطفال والمدمنين والأشخاص الذين يتناولون عقاقير تستنزف مغذّيات الجسم، كالمسهلات ومدرّات البول.

٥. احترس من المشعوذين.

ان هناك أطباء، وان ارفقوا اسماءهم بلقب "دكتور"، حصلوا على هذه "الدرجة" بعد أسابيع قليلة من الدراسة بالمراسلة لدى معاهد تمنح شهادات زائفة في مقابل مبالغ معينة من المال. ففي شأنِ المغذيات المناسبة لك استعن بطبيبك او بأحد الاختصاصيين بالتغذية.


ان معلوماتنا حول الفيتامينات والمقوّيات المعدنية هي في تطوّر مستمر. ويقول الباحثون اننا على عتبة عهد جديد نستطيع فيه من خلال انتقاء الاغذية الصحيحة والمكمّلات المقوّية ان نسدّ النقص في حاجاتنا الغذائية ونتوصل جميعاً الى مستوى صحي أمثل.

دونالد ستروتزل ■

التنديد والتصحيح

لا شيء أسهل من التنديد. فلا يكلف المرء شيئاً أن يرى المعايب، غير أن رؤية السبيل لوضع الامور في نصابها الصحيح تتطلب بصيرة حادة.

ف.ر.


سبايسلاب
نصر أوروبي في تكنولوجيا الفضاء

كارثة المكوك الفضائي الامريكي "تشالنجر" في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ هزت الناس في أنحاء العالم وحملت وكالة الفضاء الامريكية على ارجاء جميع رحلاتها التالية. لكن احداً لم يتوهم أن تطلعات الانسان الى النجوم توقفت في ذلك اليوم. وها هو المختبر الفضائي "سبايسلاب" قد غدا رمزاً لوحدة اوروبا ومواهبها وتصميمها على أخذ مكانها في الفضاء

في ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣ انطلق المكوك الفضائي الامريكي "كولومبيا" من مركز كينيدي الفضائي في ولاية فلوريدا حاملا في جوفه مختبراً فضائياً يدعى "سبايسلاب" (Spacelab). وكان فريق المكوك مؤلفاً من ستة رواد بينهم اولف مربولد ممثل وكالة الفضاء الاوروبية (ايسا) وهو باحث عمره ٤٢ عاماً يعمل في مختبرات معهد ماكس - بلانك لفيزياء المواد الصلبة في شتوتغارت بألمانيا الغربية وأول رائد غير أمريكي يطير في المكوك.

الفيزيائي الالماني اولف مربولد (اسفل اليمين) مع طاقم "سبايسلاب".

وأخضع "سبايسلاب" لاختبار قاس. ففي هذه الرحلة التي استغرقت عشرة ايام واجتازت ستة ملايين كيلومتر، استكشف أعضاء الفريق الطبقة الأيونية (ionosphere) في جو الارض بشعاعات الكترونية وصوبوا منظاراً (تلسكوباً) للاشعة فوق البنفسجية نحو الفضاء الخارجي وأنموا بلورات في الجاذبية المصغرة(١) وتدافعوا ليختبروا أعراض الغثيان والصداع والهمود الناجمة عن دُوار الفضاء.

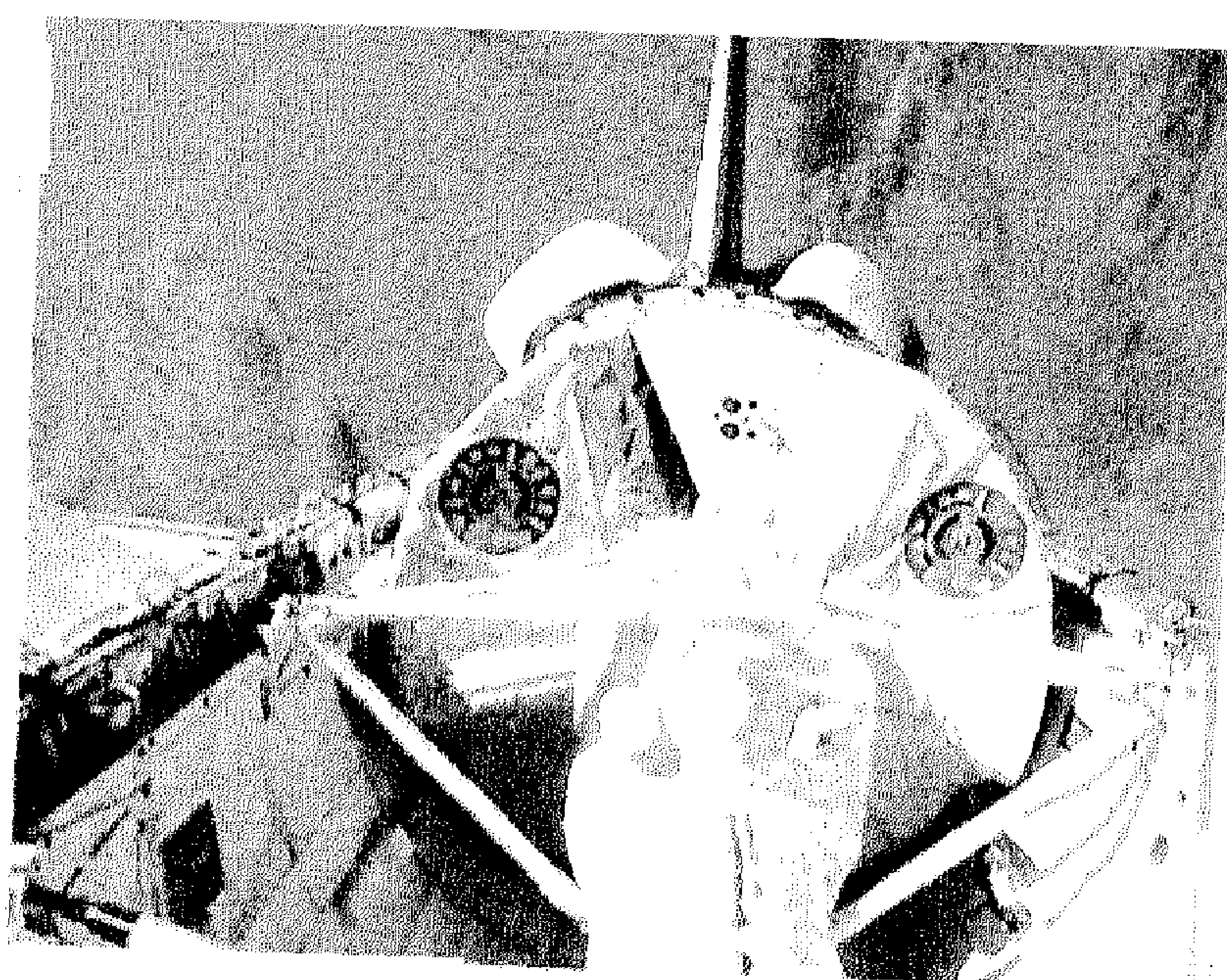
وجرّب العلماء آلة تصوير المانية ذات قوة عالية صممت خصوصاً لالتقاط صور للارض بزاوية واسعة. وفي مدة ثلاث ساعات وسبع دقائق فقط استطاعوا تصوير ما يزيد على ١١ مليون كيلومتر مربع، أي اكثر من ٥ في المئة من مساحة اليابسة. ويقتضي انجاز مثل هذه المهمة نحو سنة في طائرة عادية. وباستخدام جهاز يدعى المقياس الطيفي المصبّع(٢) جمعوا معلومات عن

(١) الجاذبية المصغرة (microgravity) هي المحيط الفضائي شبه المتحرر من الجاذبية.
(٢) Grille — spectrometer

يوليو

المكوك الفضائي الامريكي ويمكن ان يستخدم على مدى أسبوعين في كل مرة. وهو جهاز عبقري من المستوعبات (modules) المقفلة والمنصات (pallets) المفتوحة التي تتجمع لتتخذ تشكيلات مختلفة. ان تعقيدها المطبق يتعتع الفكر.

هذا المختبر العلمي الذي يمكن استخدامه غير مرة استغرق صنعه ١٠ سنين بكلفة ناهزت مليار دولار، وهو



مستوعب "سبايسلاب" داخل قسم الشحن كما يشاهد من سطح "كولومبيا".

استوجب تركيب ما يزيد على ٢٠ الف قطعة جيء بها من اكثر من ٤٠ شركة صناعية في ١١ دولة. وقد قال آنتس كوتزر مدير المشاريع في مؤسسة «MBB / ERNO» المتعهدة الرئيسية في مشروع المختبر ومركزها مدينة بريمن بألمانيا الغربية حيث جمعت كل الاجزاء لاكبر مشروع فضائي اوروبي: "اكتشفنا سريعاً ان المصاعب التقنية تتخطى بمدى بعيد اي مصاعب واجهناها سابقاً."

احدى كبرى المعضلات التي واجهها كوتزر وفريقه كانت تكييف تصميم "سبايسلاب" ليتلاءم مع التعديلات المتعاقبة والضرورية، التي ادخلتها وكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا) على المكوك الفضائي الذي كان يُبنى في تلك الاثناء. وفي أحيان كثيرة كانت التغييرات التي احدثتها "ناسا" تعيد مهندسي مؤسسة «ERNO» الى طاولات الرسم محدثة تفاعلات تسلسلية تمتد من أعلى المستويات الى ادناها. وكانت

تركيب جو الارض وتأثيرات تلوث الهواء، وهي معلومات تفوق ما يمكن الحصول عليه من ٢٠ رحلة لمناطيد مناخية في طبقات الجو العليا طوال سنة. وبمساعدة الجاذبية المصغرة شكلوا مزيجاً معدنياً شديد الصلابة على رغم خفة وزنه، من معدني الالمنيوم والزنك اللذين لا يمكن مزجهما بسهولة على سطح الارض. ويبشر هذا المزيج بأن يكون مادة فضلى تستخدم في بناء الطائرات. وقد أمكن عموماً جمع ما يزيد على تريليوني نفدة من المعلومات استخرجت من ٧٠ اختباراً وفرها نحو ١٠٠ باحث في اوروبا والولايات المتحدة وكندا واليابان وأعيد بثها بالراديو الى الارض.

من فوق الاكتاف — "سبايسلاب" المعجزة الهندسية التي أبدعتها أوروبا هو أفضل المختبرات التي صنعت أبداً من حيث إنتاجيته وتعدد نواحي استخدامه. وهو مصمم ليوضع داخل قسم الشحن في

Photos: NASA

عادة جمع هذه التركيبة تتطلب وقتاً بطول أناة.

ونشأت معضلات اخرى. فهذه اول سفينة فضائية مأهولة يصنعها أوروبيون، وقد وجد فنيو «ERNO» ان مقاييس السلامة في هذا المشروع اكثر صرامة من اي شيء واجههم من قبل.

والقياسات مسألة اخرى. فالاوروبيون يستخدمون النظام المتري بينما يعمل زملاؤهم الامريكيون بموجب النظام الانكليزي. والتنسيق بين النظامين لم يسبب مشكلة باستثناء حالة واحدة. فقد دأب الفنيون في المركز الاوروبي التكنولوجي لأبحاث الفضاء (ESTEC) في نوردفيك بهولندا، حيث المركز الاداري لبرنامج المختبر الفضائي، على مواجهة منحنى رياضي لم يكن يبدو صحيحاً حين يحتسب مركز الجاذبية في المكوك، وهو عامل حيوي في تصميم "سبايسلاب" لانه سيوضع داخل قسم الشحن في المكوك. وهذا الخلل الذي اقتضى تصحيحه أربعة أشهر، تم تعقبه أخيراً بواسطة مهندس ألماني أخذ نسخة المعادلات الاصلية من كُتيِّب فني أمريكي. وفي تحويل القياسات عادل هذا الرجل القدم بـ١٠ بوصات (انش) بدلا من ١٢.

وفي النهاية اخذ التواؤم في العمل في المكوك والمختبر الفضائي "سبايسلاب" يجرى على أكمل وجه. ويتفق المسؤولون في وكالة الفضاء الامريكية ورديفتها الاوروبية على أن مهمة العام ١٩٨٣ نجحت بنسبة ٩٥ في المئة، وذلك انجاز باهر في رحلة تدشينية.

وقسم "سبايسلاب" جزءين. فوضع مختبر العلماء في مستوعب ذي ضغط وحرارة مضبوطين. وألصقت "المنصة" المكشوفة بمؤخر المستوعب، وهي تحمل معظم المجسّات الحساسة والمناظير والاجهزة الخاصة المستخدمة في مراقبة الفضاء. وفي المقدم نفق صغير يصل المستوعب بقمرة المكوك حيث يحافظ القائد والملاح على المركبة في الوضع المناسب، فيقلبانها لتواجه الارض أو الفضاء الخارجي وفقاً لما تتطلبه الاختبارات.

وبالنسبة الى طاقم "سبايسلاب" كان اهم المستحدثات في وسائل الاتصال. فللمرة الاولى يتأمن اتصال صوتي وبصري (فيديو) مباشر بين العلماء على الارض الذين صمموا الاختبارات والعلماء في الفضاء الذين يجرونها. وفي الماضي كانت جميع الاتصالات تتم من طريق فريق ثالث هو الكبسولة الواصلة في القاعدة الارضية. والصلة الجديدة التي نشأت من عالم الى عالم أتاحت لفريق الأبحاث في مركز جونسون الفضائي التابع لوكالة "ناسا" في هيوستن "أن ينظر من فوق أكتاف" العلماء داخل "سبايسلاب" ويشارك في التجارب وكأنه هناك، معهم. ويقول أولف مربولد: "كان التفاعل بين الفريقين مستمراً."

ورقة مساومة – بدأ مشروع "سبايسلاب" عام ١٩٦٩ حين لبّت أوروبا بترحاب دعوة أمريكا الى المساهمة في برنامج المكوك الفضائي. ولم يكن الجميع سعداء بالصفقة. فبموجب الاتفاق الذي أبرم عام ١٩٧٣ تكون رحلة "سبايسلاب"

الاولى على متن المكوك من دون مقابل، ولكن حين تدرج السفينة الناقلة "كولومبيا" على أديم صحراء كاليفورنيا يصبح "سبايسلاب" ملكاً خالصاً لوكالة الفضاء الامريكية. وفي مقابل كل رحلة تالية تدفع الوكالة الاوروبية الى "ناسا" مبلغاً يصل الى مئة مليون دولار لاستئجار المختبر. والى ذلك مُنحت "ناسا" خياراً في أن تشتري وحدة ثانية مكتملة (سلمت في شهر أغسطس/آب ١٩٨٤) بثمن مغر هو ٤٠٠ مليون دولار.

هل كان الامر يستحق كل هذا؟

قال أحد المسؤولين في المركز الاوروبي «ESTEC» : "هم حصلوا على سبايسلاب، لكننا ربحنا مقداراً كبيراً من المعلومات في تكنولوجيا الرحلات الفضائية المأهولة. وقد كان يتعين ان ننتظر وقتاً طويلا لتحقيق ذلك وحدنا." والواقع ان المختبر الفضائي أصبح ورقة مساومة في المشاركة الاطلسية النامية.

روبرت باركر (الى اليسار) وأولف مربولد منهمكان في العمل في قسم الجاذبية المصغرة داخل "سبايسلاب".

ونفذت ثلاث طلعات أخرى خلال العام ١٩٨٥، اثنتان للولايات المتحدة والثالثة لالمانيا، وجميعها انطلقت من مركز كينيدي الفضائي في فلوريدا. وأكثر الطلعات طموحاً كانت الثالثة، وهي "المهمة د - ١" (٣) التي نفذت في شهر أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥ ودامت أسبوعاً بكلفة باهظة بلغت ١٦٠ مليون دولار.

وتألف طاقمها من سبعة اشخاص، وهو اكبر طاقم ركب سفينة فضائية مفردة، وضم قائداً أمريكياً رائداً وثلاثة اختصاصيين بالرحلة وثلاثة اوروبيين اختصاصيين بالشحنة هم الهولندي فوبو اوكلس والالمانيان راينهارت فورر وآرنست مسرشميت.

وأديرت هذه المهمة، وهي الاولى للمختبر الفضائي خارج الرقابة المباشرة لوكالة "ناسا"، من مركز التوجيه الارضي في اوبرفافنهوفن التابع لوكالة الفضاء الالمانية. وتناول معظم اختبارات "د - ١" تأثيرات الجاذبية المصغرة في الجسم البشري وفي امور مثل تحرك السوائل وتشكل المزائج المعدنية وتنامي البلورات. وعلى سبيل المثال، من الممكن في الفضاء تشكيل بلورات ذوات بنى داخلية مثالية لصنع الرقائق المصغرة (microchips) التي تستخدم في الادمغة الالكترونية والرجال الآليين واجهزة القياس الدقيقة.

(٣) Germany's Spacelab D-1 mission

والمهمة " د - ١" لم تكن من اجل العلم فحسب، بل كذلك من اجل مكانة المانيا واعتبارها. ويقول فورر: "أطلقت المانيا رجالها في طلعة خاصة وبادارتها الخاصة. وتوعية الشعب الالماني الى ما تستطيع بلاده تحقيقه في الفضاء كانت العنصر الاهم في هذه الطلعة."

خطوة أولى - ما هو مستقبل "سبايسلاب"؟

اضافة الى بضع طلعات خططت لها "ناسا" بطواقم امريكية ثمة طلعة المانية ثانية مقرر ان تجرى عام ١٩٨٨. وبعد ذلك، استناداً الى جاك كوليه احد المسؤولين في وكالة الفضاء الاوروبية المكلفين التخطيط في مديرية أنظمة النقل الفضائية، فان الخبرة المكتسبة من مشروع "سبايسلاب" تطبق الآن في برنامجين جديدين لوكالة الفضاء الاوروبية.

أحدهما هو مشروع الناقلة الاوروبية القابلة للاسترداد "اوريكا" (٤) وهي منصة علمية غير مأهولة لها جهاز اتصال ومصدر طاقة خاصان بها. وبعد اطلاقها من المكوك سيبقى جهاز الدفع فيها عاملا دونما حاجة الى رعاية من أحد طوال ستة أشهر أو أكثر. وحين تنجز مهمتها ستهبط الى مدار أدنى حيث يتولى مكوك آخر استردادها. و"اوريكا" اقل كلفة من "سبايسلاب" من ناحية صنعها (نحو ١٨٥ مليون دولار) واطلاقها وتشغيلها. ويوضح كوليه "انها تسد الثغرة بين سبايسلاب ومحطة فضائية مدارية دائمة. وهي مصممة للمختبرين الذين لا يستطيعون العمل ضمن حدود العشرة الايام التي تقتصر عليها رحلات سبايسلاب."

وثمة مشروع ثان سيكتمل عام ١٩٩٣ ويدعى مشروع "كولومبوس"، وهو نظام معدل من مستوعبات "سبايسلاب" التي يمكن وصلها بمحطة فضائية او ابقاؤها في مدار لها مثل "طائرة حرة" مأهولة. وهذا يعتبر مساهمة من اوروبا في برنامج المحطة الفضائية الامريكية. اما المشاريع الطويلة الاجل فتشمل مجمّع "كولومبوس" المستقل، بما فيه المنصات التي تدور حول الارض من الشمال الى الجنوب فوق القطبين بدلا من الدوران من الشرق الى الغرب في موازاة خط الاستواء. ويقدر الثمن الاجمالي لـ"كولومبوس" بمبلغ ضخم هو ٢،٦ مليار دولار. ويصرح كوليه: "ليست هذه سوى الخطوة الاولى نحو محطة فضائية أوروبية مستقلة في النهاية."

ومن الواضح ان المختبر الفضائي، على رغم كل انجازاته، ليس سوى الخطوة الاولى. انه رمز لوحدة اوروبا ومواهبها وتصميمها على احتلال مكانها بين قادة العالم في الفضاء."

كارل كريستوفرسون ■

(٤) European Retrievable Carrier «EURECA»

قال فكاهي مرة: "اذا لم يكن ثمة ما يدعوك الى الضحك، اضحك سلفاً."

ر.ش.

خرافات تعكر الزواج

الطريق الى السعادة الزوجية تمر بعدد من الخرافات.. وهنا يعرض اختصاصي شهير بعضاً منها

الحب الرومنطيقي ينتج زواجاً سعيداً

يمسك شاب يد فتاة وهما يشاهدان الغروب الرائع للشمس. ويتعاهدان على الاخلاص والحب الأبديين. وبعد زمن طويل ينزلان التلة نفسها بشعر فضي ولكن بحب ثابت لم تزعزعه الأيام. هذه الصورة تلهم الكثيرين الزواج، لكنهم إذ يسعون الى زواج رومنطيقي ينتهون الى طلاق غير رومنطيقي البتة.

ان الذين يتوقعون أن يكون الزواج استمراراً طبيعياً لنشوة فترة الغزل ينجهون لا محالة الى الاخفاق. فالغرام الرومنطيقي تغذيه الحواجز والخيبات والفراق والتأخير. أزل هذه المعوقات وبدلها بيومية الحياة الزوجية، فتتلاشى نشوة الهوى. وهنا يشعر بعض الازواج بأنهم خدعوا، فيعلنون افلاس زواجهم. والرومنطيقيون يغفلون عن أن الناس يسأمون بعضهم بعضاً إن لم ينموا اهتمامات وقيماً مشتركة. فالعاطفة الزوجية لهب بطيء الاشتعال مدفىء للقلوب ويستحيل وجودها من دون اللطف ومراعاة المشاعر وتبادل الأفكار والتكيف مع عادات الزوج والاشتراك في نشاطات عدة والاجماع على القيم والإحترام المتبادل.

وعلى الزوجين أن يبنيا "رصيداً مشتركاً" من الافعال والعادات والاختبارات يؤدي الى قبول متبادل بمعزل عن الأوهام المستحيلة للحب الرومنطيقي المثالي.

على الزوجين المشاركة في كل شيء

صرّح جون (٤٤ عاماً): "لا أظن من الصواب أن يذهب الزوج في طريق والزوجة في آخر." فهو في عطلة نهاية الاسبوع أصر على أن تبحر زوجته معه على متن مركبه. إلا ان ماري فضّلت المطالعة على الشاطىء، وتساءلت: "أأطلب الكثير اذ أتمنى على جون أن يفعل ما يحب فيما أفعل انا ما يسرني؟" وأوضح جون: "لكني أحب أن أفعل كل شيء بمشاركة زوجتي."

ليس حسناً الضغط على شريك الحياة. وبدل ذلك اقترح التناوب. كان يمكن أن يقول جون لزوجته: "يهمني أن تبحري معي، وفي المقابل أعد بمشاركتك في شيء تحبينه."

يشعر كثيرون بالذنب عندما يفعلون أموراً أو يذهبون الى أماكن من دون أزواجهم أو زوجاتهم. ولكن في الزواج السليم يقضي الزوجان ٧٥ الى ٨٠ في المئة من وقتهما معاً، ويتركان بينهما فسحات تسمح بنموهما الفردي وببعض الخصوصية.

على الازواج الصالحين أن يسعدوا شركاءهم

هناك خطأ شائع هو تحمل مسؤولية شعور الآخرين. فمتى ظن انسان أن سعادته تأتيه من شخص آخر، فانه يميل طبيعياً الى الاسترخاء متوقعاً أن تأتيه السعادة على طبق من فضة.

طوال ١٥ سنة حاولت جين إسعاد زوجها ليونيل، فلبّت كل حاجاته واستجابت لكل نزواته. لكنه كان رجلا سخوطاً يبرز عيوب الآخرين ولا يعجبه العجب. وحين أدركت جين أن من المستحيل منح السعادة لانسان، ولاسيما ليونيل، استراحت وباتت أقل تحفظاً. ولما شعر ليونيل بأن زوجته لم تعد تتقبل الملامة على كل شيء، انصرف الى ملء وقته بأمور مفيدة.

ان الاهتمام بالرضا والمسرة الذاتيين يزيد حظ المرء في السعادة والتمتع بالزواج.

على الأزواج التصارح من دون تحفظات

أكد لي كارل انه أتاني لمساعدة زوجته فاليري في مشاكلها العاطفية، ودعاني الى أن أطرح عليه "أي سؤال يخطر في بالي." وسألته عن بعض شكاوى فاليري: هل صحيح أنه كثيراً ما يزجرها؟ وأن غضبه دفعه مرة الى رمي جهاز تلفاز من النافذة؟ وهل انه حقاً قذف ربيبه ابن الرابعة عشرة بفنجان قهوة ساخنة؟

وهزّ كارل كتفيه قائلا: "ولكن يا دكتور، ان لم ينفّس الرجل عن بعض همومه في بيته فهو يصاب بقرحة معدية أو بنوبة قلبية."

وعبّر كارل بذلك عن مشاعر الكثيرين. فأثناء العمل يبرز معظم الناس أفضل ما عندهم، وهكذا يتحول البيت ساحة لتفجير العواطف المكبوتة، "فيخرجون كل شيء من دون رادع." وعوض معالجة مصدر انزعاجهم فانهم يركلون الكلب أو يظلمون الزوج أو يضربون الأولاد. ولا يرون في ذلك شيئاً غير لائق أو يدعو الى الخجل.

إلا أن الهجوم يولِّد الهجوم المضاد. والرد الاكثر شيوعاً هو "العدوانية السلبية". فبدل المواجهة الصريحة للمعتدي يتحول الشخص المهان مخرباً.

غضبت نورا عندما فقد زوجها عارف أعصابه ونهرها، لكنها لم تعارضه مباشرة. فبعد احدى ثوراته أحرقت الطبخة "من غير قصد" و"أضاعت" ولاعته المفضلة.

ان التهذيب واللباقة والروح المرحة كلها تساعد في خلق جو عائلي يعبق بالحب والراحة. لذا عامل زوجتك بالاحترام نفسه الذي تعامل به أي غريب.

الحبيب يقرأ فكر حبيبه

كم سمعت أشخاصاً يتشدقون: "لو كان يحبني حقاً لعرف حقيقة مشاعري دونما كلمة مني." وهذه الخرافة تسود خصوصاً العلاقات الجنسية الحميمة: "لو انه حساس لحاجاتي لما وجب عليَّ ارشاده الى ما يفعل،" أو "متى وقعت امرأة في حب رجل فانها تعرف تماماً كيف ترضيه. واذا وجب ارشادها الى طريقة اثارته فهي حتماً لا تليق به."

هراء! ليس في مقدور أي بشري أنْ يدرك تلقائياً مشاعر آخر مهما توقَّد الحب بينهما. فنحن نتعلم بالارشادات والأمثلة، أو بالتجربة.

من المنطقي جداً أن يتدرَّب الزوجان على ارضاء أحدهما الآخر. ويتمثل هذا في أن تقول ما تعنيه وأن تعني ما تقوله وألا تنتظر من زوجك أن يقرأ فكرك.

الزواجٌ السعيد يتطلب ثقة عمياء

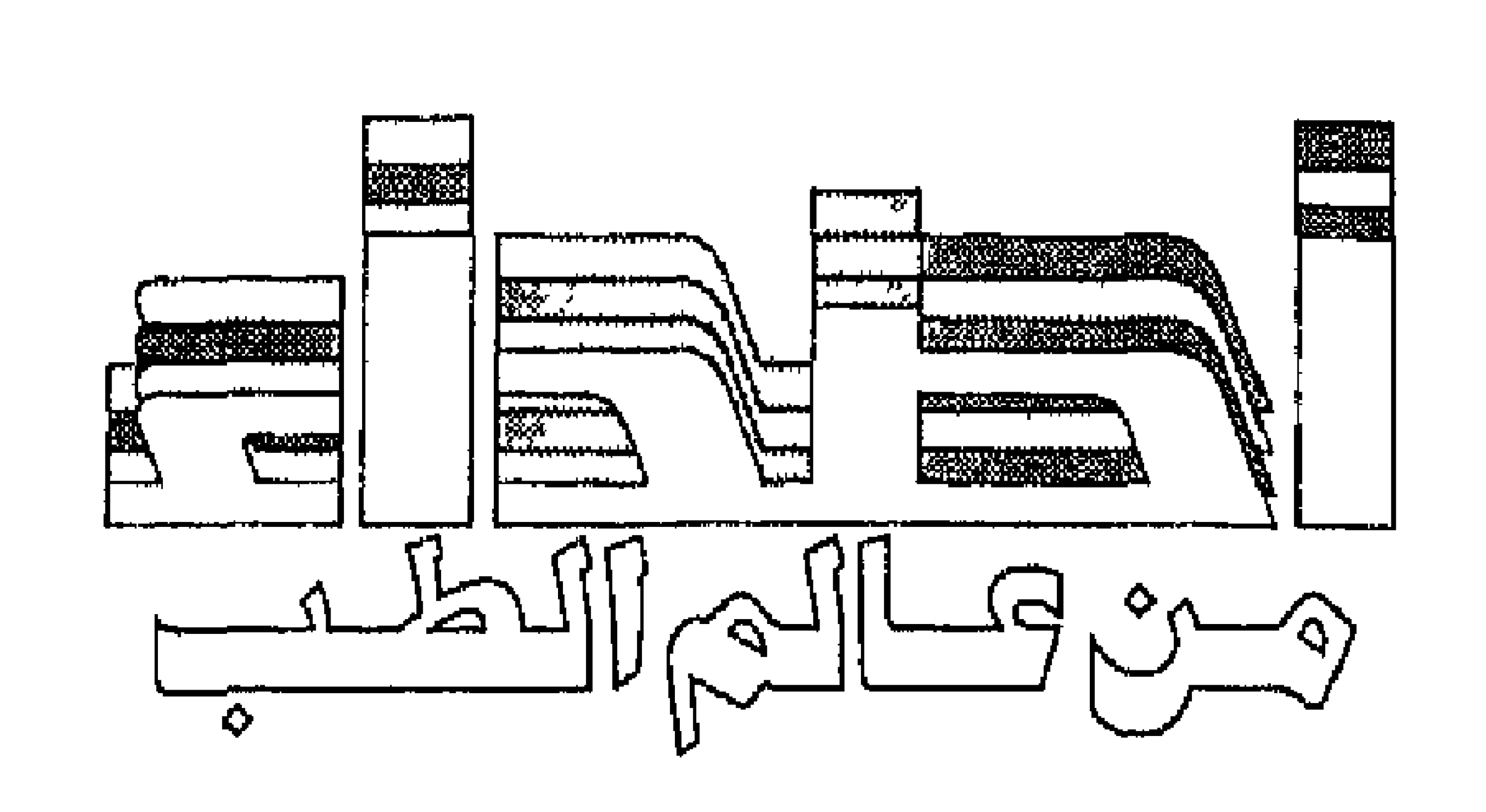
تزوج غاري قبل ستة أشهر، وهو زميلي في الجامعة. ولاحظت أن زوجته تمضي وقتاً طويلا مع شاب آخر، فنبهته الى ذلك، لكنه اعترض: "اياك وهذه الأفكار! أنا ومايك صديقان منذ سنوات، وعندي درس كثير، فلماذا أطلب من زوجتي ملازمة البيت؟" وأوضحت له أن مايك وسيم ومستقر مالياً وعازب. وأصرَّ غاري على انه يثق بالاثنين ثقة عمياء. ويا للأسف، فبعد زمن يسير أبلغته زوجته أنها وقعت في حب مايك، وطلبت منه الطلاق.

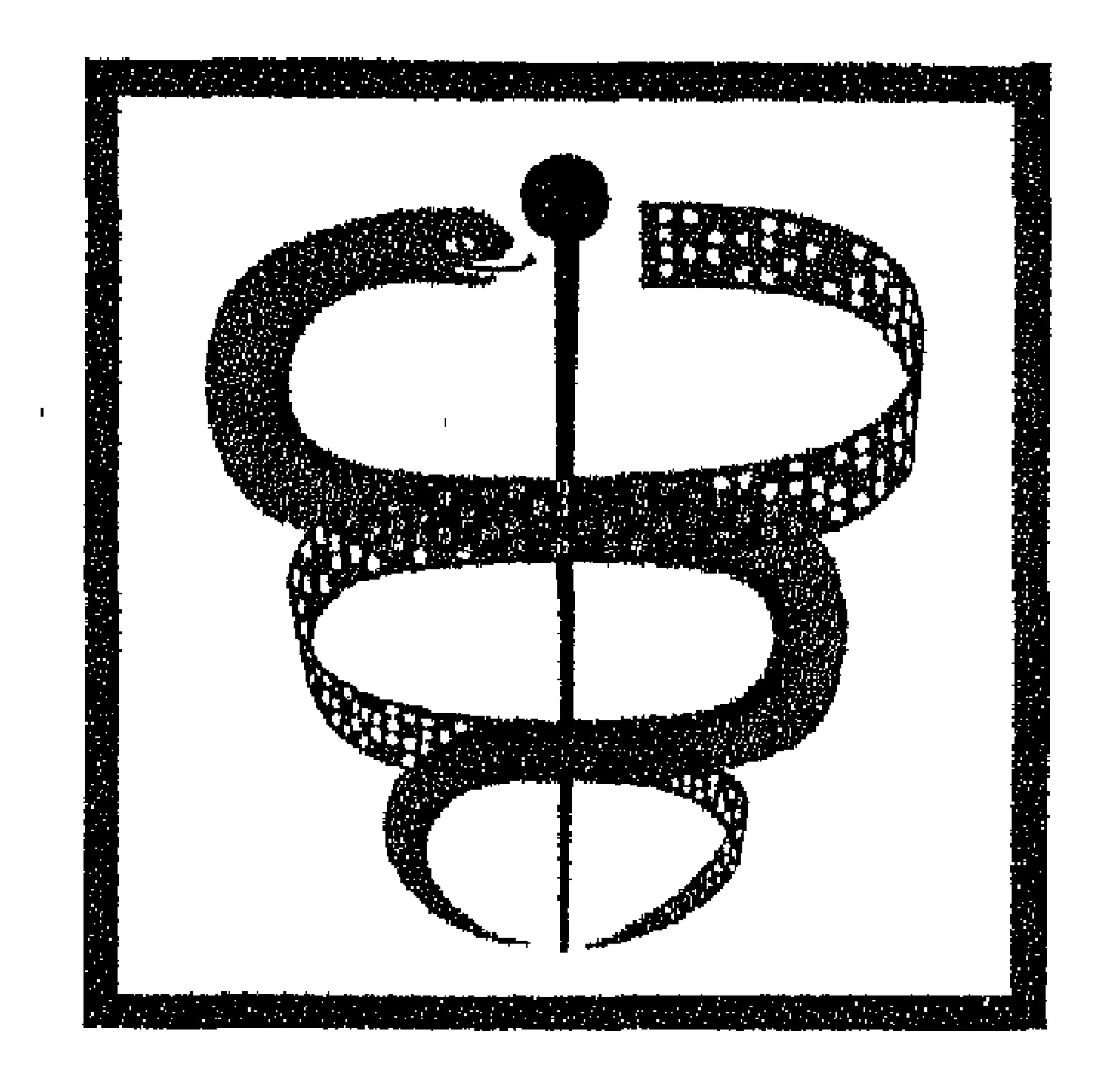
ان معظم الزيجات الجيدة يرتكز على مسحة خفيفة من الشك. والوثوق الجازم باخلاص الزوج وحبه معناه الاستخفاف به والتسليم جدلا بمواقفه. واعتبار امكان وقوع الشريك في التجربة موقف أكثر واقعية. فاذا اعتبرت زوجك "بيتياً" الى حد أن لا قدرة له على اجتذاب شخص آخر، فان ثقتك هذه لن تولد الاحترام والاثارة والاكتفاء.

ومن ناحية أخرى، اذا اعتبرت زوجك قادراً على جذب الجنس الآخر في حال اهماله أو سوء معاملته، فانك تزيد من اهتمامك به وعطفك عليه مما يجعل زواجكما أبهى وأجمل.

أرنولد لازاروس ■

الصدق أفضل سياسة، وان يكن التزام الصمت مفضلا في بعض الاحيان. ي.ف.





المصارعة الخطرة

ان تقليد الهواة لحركات المصارعين المحترفين قد يسبب اضراراً جسدية خطرة. وخلافاً للاعتقاد الشائع فان الضربات التي تكال والقاء المتصارعين أرضاً ليست مجرد حركات خادعة، بل هي مناورات رياضية مسرحية معقدة. فالمتصارعان اللذان قد يزن كل منهما ١٦٠ كيلوغراماً يستطيعان احتمال الصدمات الجسدية لانهما قادران عادة على تبديد قوة الضربة على أذرعهم وسيقانهم. كذلك يكون كثير من المتصارعين في حال صحية ممتازة ويمارسون المصارعة على حلبة ذات أرض غير صلبة.

وقد عولج حديثاً مريض أصيب بتمزق في الحويصلة الصفراوية (المرارة) قال ان ابنه "صدمه بجسمه" وأوقعه في المرج. وقدر في ما بعد أن سرعة اصطدام جسد المريض بالارض الصلبة كانت في حدود ٣٧ كيلومتراً في الساعة.

ان النواميس الفيزيائية لا تتبدل. والحركات المدهشة التي يمارسها المتصارعون قد تولد طاقة خطرة ربما كانت قاتلة. ويجدر بالهواة أن يدعوا هذه الحركات للمحترفين.

مجلة "نيو انغلند الطبية"

سحّاب للبنكرياس

ابتكر الدكتور هـ. هارلان ستون من جامعة ماريلاند في بالتيمور اسلوباً لاستئصال جزء من البنكرياس زاد معدل الشفاء الى ٩٠ في المئة لدى المرضى ذوي الاصابات الحادة، وذلك يعود جزئياً الى استعمال "السحّاب" بدلا من القطب (الغرزات) في ٢٨ جراحة.

قال ستون الذي كان أول جراح أمريكي يستخدم سحاباً للثياب طوله ١٨ سنتيمتراً، انه أضحى الآن قادراً على تحاشي الجراحات التي كانت تستغرق ساعة تحت التخدير لابدال الحشية الداخلية، وهي حشية من الشاش توضع في الجرح أو الفجوة لتسهيل خروج السوائل ومنع الالتئام. وما على ستون سوى فتح السحّاب المثبت في الشق وابدال الحشية ثم اغلاقه ثانية. وهي عملية مأمونة تستغرق خمس دقائق.

وكالة "يونايتد برس"

سرطان الرحم

ان فحص سرطان عنق الرحم المعروف باسم "باب سمير" (Pap - Smear) خفض حدوث هذا النوع من السرطان بمقدار الثلثين بين النساء اللواتي يخضعن له مرة على الأقل كل عشر سنين. هذا ما خلصت اليه دراسة أسوجية نشر تقرير عنها في مجلة الاتحاد الطبي الأمريكي.
وكلمة "باب" تشير الى مبتكر هذا الفحص، وهو جورج بابانيقولاوو. أما "سمير" فتشير هنا الى اللطخة أو المسحة التي تؤخذ من عنق الرحم وتفرش على شريحة مجهرية لدراستها.
والدراسة الأسوجية بنيت على متابعة ٢٠٧٤٥٥ امرأة طوال عقد كامل، ووجدت أن نسبة سرطان العنق لدى النسوة اللواتي لم يخضعن البتة لهذا الفحص تفوق من ضعفين الى أربعة أضعاف ما هي لدى الاخريات اللواتي أجري الفحص لهن.
ويقول أحد كتّاب المقال، وهو سيسيل فوكس من أبرز العلماء في المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة: "أعتقد أن هذه الدراسة أثبتت بما لا يقبل الشك جدوى الفحص في خفض حدوث سرطان عنق الرحم." وكانت الدراسة من الدقة بحيث توبعت جميع النساء المشاركات طوال السنين العشر التي استغرقتها الدراسة. وراوحت أعمار هؤلاء النسوة بين الثلاثين والسبعين. ويقول فوكس: "للمرة الاولى تدرس هذه العينة الهائلة التي تمثل أعماراً مختلفة."
والفحص يبيّن طلائع السرطان الممكنة. وفي تقدير الدارسين أن هذا الفحص، في ظروف مثالية، يمكن أن يحصر سرطان عنق الرحم بخمس اصابات في كل مئة ألف امرأة.

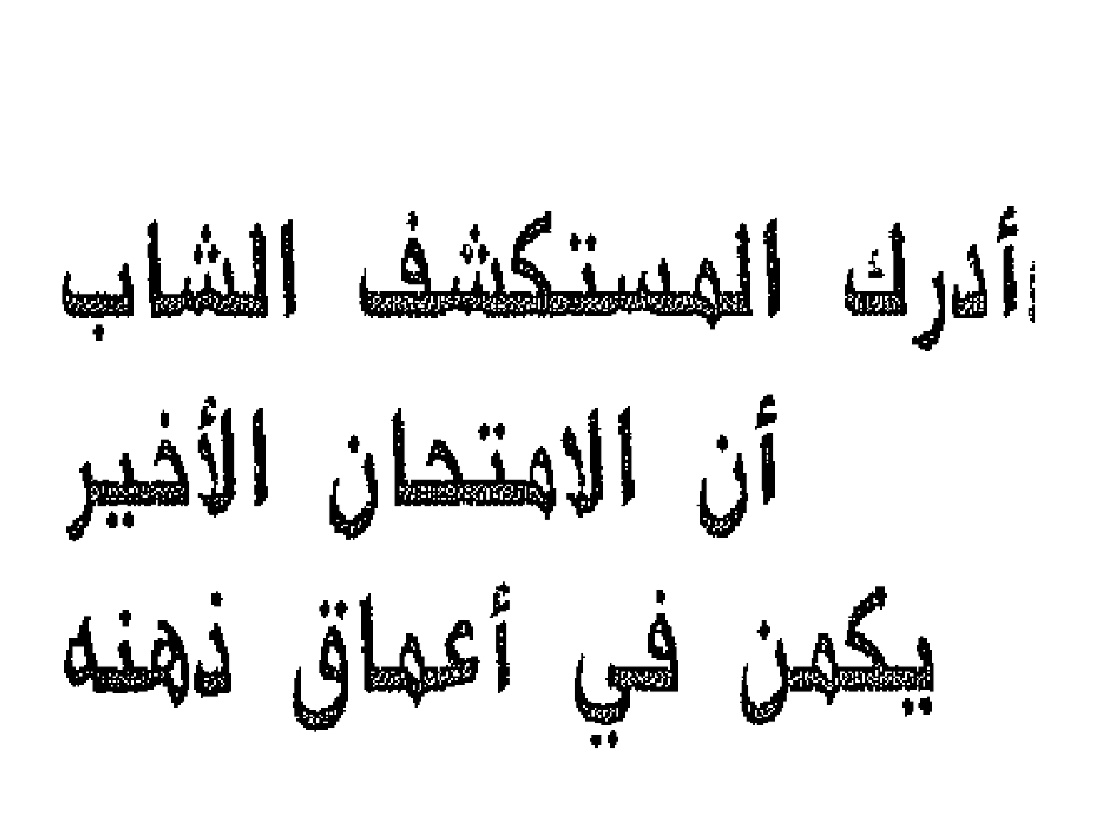
وكالة "أسوشييتد برس"

أخطار البلازما

في العقد الأخير شهد نقل بلازما الدم الى المرضى الذين يخضعون لجراحة في القلب أو علاج من صدمة أو غير ذلك ارتفاعا هائلا. الا أن البراهين العلمية قليلة حول جدوى الاكثار من هذه المادة. وقد حثّت لجنة طبية استشارية تابعة لمعاهد الصحة الوطنية في الولايات المتحدة جميع الأطباء الأمريكيين على الكفّ عن هذه الممارسة.
والبلازما هي الجزء السائل من الدم الذي يحوي عوامل التخثر مع عدد من البروتيينات والمغذيات الاخرى. وهي متوافرة في مصارف الدم على هيئة مادة مجمدة. ولكن يمكن الاستغناء عنها في ٩٠ في المئة من الحالات التي تستعمل فيها اليوم، كما يقول رئيس اللجنة الاستشارية الدكتور جيمس تاليس من كلية الطب التابعة لجامعة هارفرد. وهو يضيف أن الافراط في استعمالها يجعل الجسم أكثر عرضة للاصابات الفيروسية ويضعف جهاز المناعة أحيانا.
وتنصح اللجنة الأطباء بالتوقف عن إعطاء البلازما كما هي والاقتصار على بعض موادها التي يحتاج اليها المريض. ويجدر بالمرضى، متى أمكن، ايداع كميات من دمهم مختبر المستشفى لاستخدامها وقت الجراحة. أما البلازما الآتية من آخرين فلا يُنصح بها إلا في حال المرضى الذين يعانون نقصاً في التخثر وفي جهاز المناعة.

مجلة "أخبار العلم"





٥٧ ساعة بين الحياة والموت



يقع متنزه سبرينغ ميل على بعد ٥٠ كيلومتراً جنوب مدينة بلومنغتون في ولاية انديانا. وهو يعجّ بمجمعات المياه وتحدق به المغاور الكلسية. وقد فتن به رومان لازوسكي (٢٤ عاماً) وهو جندي سابق في البحرية الامريكية التحق بجامعة انديانا في بلومنغتون، ومايكل هال (٢٤ عاماً) وهو ضابط مشرف على إصلاح الاحداث في كراون بوينت، بفعل الممرات الجوفية المتعرّجة المظلمة الموحشة التي حفرتها السيول هناك. وكان هال استكشف الكهوف أكثر من اثنتي عشرة مرة في حين لم يدخلها رومان سوى مرة واحدة في الصيف السابق عندما عبرا معاً الممر الجوفي نفسه الذي يتأملانه الآن.

نصب الشابان خيمتهما في الأحد الاخير من شهر يونيو (حزيران) عام

Illustration: Robert Sauber

١٩٨٥. وفي تلك الليلة هطلت الامطار غزيرة. ولكن صبيحة الاثنين وعلى رغم تشبّع الارض بالماء كانت السماء المتّقدة بالنور تنذر بنهار حار ورطب. فارتدى الشابان سروالين قصيرين وأحذية مطاطية خفيفة وحملا مشعلين كهربائيين لا يتأثران بالماء وانسلا عبر مدخل الممر الجوفي الذي يبلغ طوله ١٣٠٠ متر. كانت الساعة تقارب العاشرة صباحاً في ذاك اليوم الاول من شهر يوليو (تموز). وهي بداية الكابوس بالنسبة الى رومان لازوسكي.

في ظلام الكهف - كان الكهف يتبع سيلا واسعاً ضحلا انعقد فوقه سقف كلسي كأنه قوس قوطية. ولا يلبث السقف أن ينخفض إلى حوالى متر. ويتسع الممر بعد ذلك من جديد فيعبر غرفتين جوفيتين واسعتين ليعود فينعطف نحو حوضي مياه عميقين وينتهي في شلال ينتثر أسفله على الصخور. ويبرز السيل أخيراً الى الهواء الطلق من تحت لوح صخري.

في البداية جرت الامور على المنوال المتوقع. وراح مستكشفا الكهوف يخوّضان في المياه مستمتعين ببرودتها المعتدلة. لكن الأمطار عاودت الانهمار في الخارج. فأخذت المياه تنفث في صدر الارض المشبعة وتصرف الى الكهف. وارتفع منسوب السيل قليلا وكاد الرجلان ألّا يشعرا بذلك. لكن الارتفاع لم يتوقف.

وبلغ رومان ومايكل ممراً منخفضاً وحنيا رأسيهما ليدخلاه. فلاحظا أن المياه تتدفق سريعة وجارفة وتصل الى أعلى من خصريهما. عندذاك قال مايكل: "لم أر المياه على هذا الشكل من قبل."

ولم تلبث المياه أن غمرت رأسيهما. فراحا يسبحان في اتجاه التيار ويرتدّان من جدار الى آخر متشبثين بالصخور علّها تبطىء انجرافهما. وصاح مايكل محاولا إخفاء قلقه: "بهذه الطريقة نعبر الممر بسرعة أكبر."

وأخيراً استطاعا أن يتوقفا وقد انبهرت أنفاسهما، إذ تشبّث رومان بأحد طرفي النفق ومايكل بالطرف الآخر، وكل يقاوم التيار بصعوبة. وصاح مايكل: "أظن أن المياه لن تلبث أن تنخفض."

ووضع رومان قدميه على إفريز ضيّق ناتىء من الصخور وتعلّق بالحائط بأصابع يديه. وما هي إلّا هنيهة حتى شعر بأنه يهوي الى الخلف ساقطاً في السيل الجارف. وانتزعت المياه حذاءه في تدفقها العارم. وتحطم مشعاله الكهربائي على إحدى الصخور. وشعر بأن ثمة ما يشدّه الى أسفل، ثم اصطدم وجهه بجدار صخري. لقد جُرف إلى جانب الممر الرئيسي في مجرى غير نافذ لا يبعد أكثر من عشرة أمتار عن مخرج السيل من الكهف.

وفي الظلام شعر رومان بوجود إفريز صغير على عمق حوالى متر من سطح الماء. فوضع قدميه عليه وحافظ على توازنه لئلا يجرفه التيار الدائري الذي التفّ حوله كالدوامة. ونادى مايكل فطغا صوته على هدير الماء وسمع مناداة بعيدة.

قال رومان في نفسه: "إيّاك والذعر يا ولد! حاول أن تجد رقعة جافة. وشرع يتلمّس طريقه في الظلام فعثر على إفريز

آخر عرضه ١٠ سنتيمترات وطوله متر ويعلو سطح الماء بحوالى متر. فاعتمد التدريب الذي تلقّاه في البحرية وتسلّق الافريز وقبع عليه ساحباً ركبتيه الى صدره ليوفر حرارة جسمه. وتلمّس بأصابعه السقف فوقه والمياه تحته. وبشيء من الرعب أدرك ان السيل ما زال يرتفع.

وبعيداً وراءه في الكهف كان مايكل يتشبّث بالحائط. وكانت المياه تهدر حوله فيترجّع صدى نداءات صديقه على السقف الذي تكثر فيه النتوءات. ولما كان التيار السريع يهدد بجرفه قرر أن يغوص فيه مجازفاً، علّ المطاف ينتهي به إلى حيث رومان فيكونان معاً على الاقل. وصرخ: "روم! أنا آت." وقفز في المياه الداكنة المزبدة.

قوة أب – دفع التيار مايكل حوالى ١٠٠ متر. فحبس نفسه الى أن أحسّ أن رئتيه تكادان تنفجران. وراح رومان يراقبه بهلع وهو يندفع بسرعة البرق على بعد ثلاثة أمتار منه وضوء المشعل يشعّ على وجهه بغرابة.

وبأعجوبة وجد مايكل نفسه في ضوء النهار. فخرج من المياه بصعوبة وعلى جسمه كدمات وفي ساعده الأيسر جرح بالغ. وسار مترنّحاً إلى أن وصل إلى موقف للسيارات في أعلى الوادي.

وما لبث بيل كارلايل المشرف على إدارة المتنزه أن وجد مايكل مطروحاً على الرصيف فقال له وأسنانه تصطك من البرد: "ما زال صديقي داخل الكهف. عليك أن تساعده."

وبعيد نقل مايكل الى المستشفى، بُلّغ خبر الحادث الى دون باكيت منسّق اللجنة الوطنية الامريكية لانقاذ ضحايا الكهوف. فتوجّه مباشرة من بلومنغتون الى سبرينغ ميل حيث وجد المياه مزبدة متطاحنة عند مخرج الكهف. فقدّر سرعة التيار بثمانين كيلومتراً في الساعة على الاقل، وأدرك أنه يتعذّر دخول الكهف من ذلك الطرف. وبدا أن المدخل يستحيل عبوره كذلك. ونصحه كارلايل: "الافضل أن ننتظر، فلا بد من أن تنخفض المياه قبل صباح الغد."

وداخل الكهف تمدد رومان وظهره على الافريز ورأسه يلامس الهوابط الكلسية (stalactites) المتدلية من السقف. لم يسعه أن يجزم ما اذا كان الوقت نهاراً أم ليلا. وكانت المياه ارتفعت الى مستوى الافريز. وأيقن رومان أن مايكل قضى.

ولبرهة وجيزة بدا له سهلا أن يترك نفسه ينزلق في المياه ويغرق. وعاد ففكر بعزم: كلّا، سوف أنجو.

لكنه خشي أن يسترخي لأنه لو غفا لسقط في الماء. وتذكّر وهو جاثم في الظلام صلاة بولونية كانت والدته تتلوها قبل النوم وراح يرددها من غير أن يفهم كلماتها.

وكان والد رومان أمضى ست سنوات في أحد معسكرات الاعتقال إبّان الحرب العالمية الثانية. فقال رومان في نفسه: "إن استطاع هو أن ينجو فلا شك في انني استطيع ذلك ايضاً. ففي داخلي قوة والدي."

صيحة استغاثة – صباح الثلثاء في الثاني من يوليو (تموز) لم ينفك المطر

يهطل ولم يحدث ما يشير إلى أن المياه ستنخفض. فقرر باكيت أن يجازف ويدخل الكهف مع فريق انقاذ. وارتدى الرجال بذلات غوص مطاطية وسترات نجاة وخوذات وزنروا رؤوسهم بمصابيح، وأحكموا تثبيت حبل عند المدخل وربطوا في طرفه الآخر طوفاً حُمّل معدّات إنقاذ وتركوا التيار يجرفه الى الجوف المظلم.

وكان التيار في اضطراب عظيم يفوق كلّ ما تصوّره باكيت. وكانت انوار المصابيح المثبّتة على خوذات الرجال تكاد لا تخرق الظلام وهم يتلمسون سبيلا في السيل متنقلين ببطء ومتمسكين بالحبل الذي ربطوه عند المدخل.

ولمّا اجتازو ٩٠ متراً انقلب الطوف بمن فيه وقذف الرجال فألصقهم بحائط كلسي. ثم راحوا يشقّون طريقهم بجهد عكس التيار حتى بلغوا مدخل الكهف فخرجوا سالمين ولكن مهزومين ومنهوكي القوى. لقد استغرق اجتياز ٣٠٠ متر ثلاث ساعات.

ومساء الثلثاء وصل الدكتور نويل سلون وهو طبيب ومسؤول في اللجنة الوطنية لانقاذ ضحايا الكهوف. وكان رأيه هو أيضاً أن لا جدوى من دخول الكهف مجدداً قبل انحسار المياه. لكنه كان يدرك أن مرور الوقت ليس في مصلحة رومان. فبعد قضاء ٤٨ ساعة في كهف تبلغ حرارته ١٣ درجة يبرز خطر انخفاض حرارة الجسم. ولما كان مزيد من العواصف الرعدية متجها نحو المنطقة، بدا من المستحيل انتظار انحسار المياه.

وزار الطبيب مايكل في المستشفى. وبمساعدة خريطة قدّر المستكشف انه افترق عن زميله على بعد ١٠٠ متر من مخرج الكهف وحوالى مئة متر من وسعة تشكّل ما يسمّى "الغرفة الجافة". وتبيّن وجود كهف آخر يمكن دخوله ولا يفصله عن الغرفة الجافة سوى ٢٧ متراً من التراب. فربما أمكن شق نفق للوصل بين الكهفين. وقرابة منتصف ليل الثلثاء راح فريق الانقاذ يحفر في الكلس بواسطة قضبان رافعة ورفوش.

وأحضر موظفو المتنزه آلة ثاقبة لحفر ممر من أعلى الى الغرفة الجافة. وتابع رجال الانقاذ مراقبة مستوى المياه داخل مخرج الكهف حتى أبعد نقطة تمكّنوا من بلوغها. وظلّوا منتظرين آملين أن تسنح لهم الفرصة للدخول من ذاك الطرف.

وفي الظلام راح رومان يسلّي نفسه بألعاب تشغل ذهنه وهو لا يدري ان كان أحد يبحث عنه أم لا. وخطط لائحة بالاعمال التي سينجزها حالما يخرج. وكلّما أحسّ بالنعاس يثقل أجفانه أيقظ ذهنه باطلاق صيحة استغاثة: "النجدة، ما زلت هنا!" وفكّر: ما علي الاّ أن أشغل نفسي باستمرار. سوف أنجو.

اقتحام الكهف – في الثامنة والنصف من صباح الاربعاء الواقع فيه ٣ يوليو (تموز) دهش رجال الانقاذ المكلّفون مراقبة مستوى مياه الكهف حين تناهى الى مسامعهم نداء استغاثة. وكانت المياه لا تزال تضرب اللوح المدلّى الذي يشكّل مخرج الكهف. إلاّ أن فسحة هوائية ضيّقة كانت تسمح بتسرّب الصوت بين الحين والآخر. وصرخ أحدهم: "ما زال حيّاً"

فالتقط الدكتور سلون بوقاً ونادى رومان: "هل أنت مصاب؟" وأتاه الجواب: "أنا بخير. ولكن أخرجوني من هنا."

وأدرك سلون أن الوضع ما زال خطراً. وقد يظن رومان الذي ما زال بعيداً، أن انقاذه أصبح وشيكاً فيسترخي. ومع مرور الساعات بطيئة ظل الرجال ينادونه بالبوق طالبين منه عدم مبارحة مكانه.

وفي الخامسة الا ثلثاً بعد الظهر قرر المنقذ ستيف كولينز محاولة اقتحام الكهف الى مسافة أبعد. فشقّ طريقه عبر التيار ورأى فسحة هوائية ترتفع حوالى ١٥ سنتيمتراً بين الماء واللوح العلوي. واكتشف حبلا يتموّج من الداخل هو أثر باق من مغامرة سابقة. وفكّر أن ينسلّ الى الداخل من حيث يبدو السقف أعلى. فقبض على الحبل وحبس أنفاسه ودخل ووجهه تحت المياه.

ورأى رومان الضوء يسطع من خوذة كولينز، فتمنّى لو يقفز ويعانقه. وكان كولينز يطفو على بعد خمسة أمتار في الناحية الاخرى من المجرى. فصرخ: "إبقَ في مكانك." ثم استدار نحو المخرج ليطلب حبلا آخر ومساعدة إضافية.

وسرعان ما مدّ اليه الحبل فثبت أحد طرفيه برزّة سمّرها في الحائط. ووصل سلون فيما كولينز يقذف ما تبقى من الحبل الملفوف الى رومان طالباً منه أن يربطه بنتوء في الحائط حيث هو جاثم.

وكم كانت دهشة كولينز وسلون عظيمة عندما لاحظا مدى القوة المتبقية في الشاب. وما ان أصبح الحبل مثبتاً حتى اندفع كولينز عبر التيار ووصل الى المستكشف العالق.

ارتدى رومان خوذة وسترة نجاة وتعلّق بمقعد جرار. ونقله كولينز برويّة الى الجهة الاخرى حيث ينتظر سلون. ولكن ما ان بسط الطبيب يده ليلتقط رومان حتى أفلتت الرزة التي كانت تثبت الحبل. فاندفع سلون بقوة وأمسك رومان. وحمل التيار الاثنين، فمرّا تحت اللوح وخرجا الى الهواء الطلق فاستقبلتهما أيدي رجال الانقاذ.

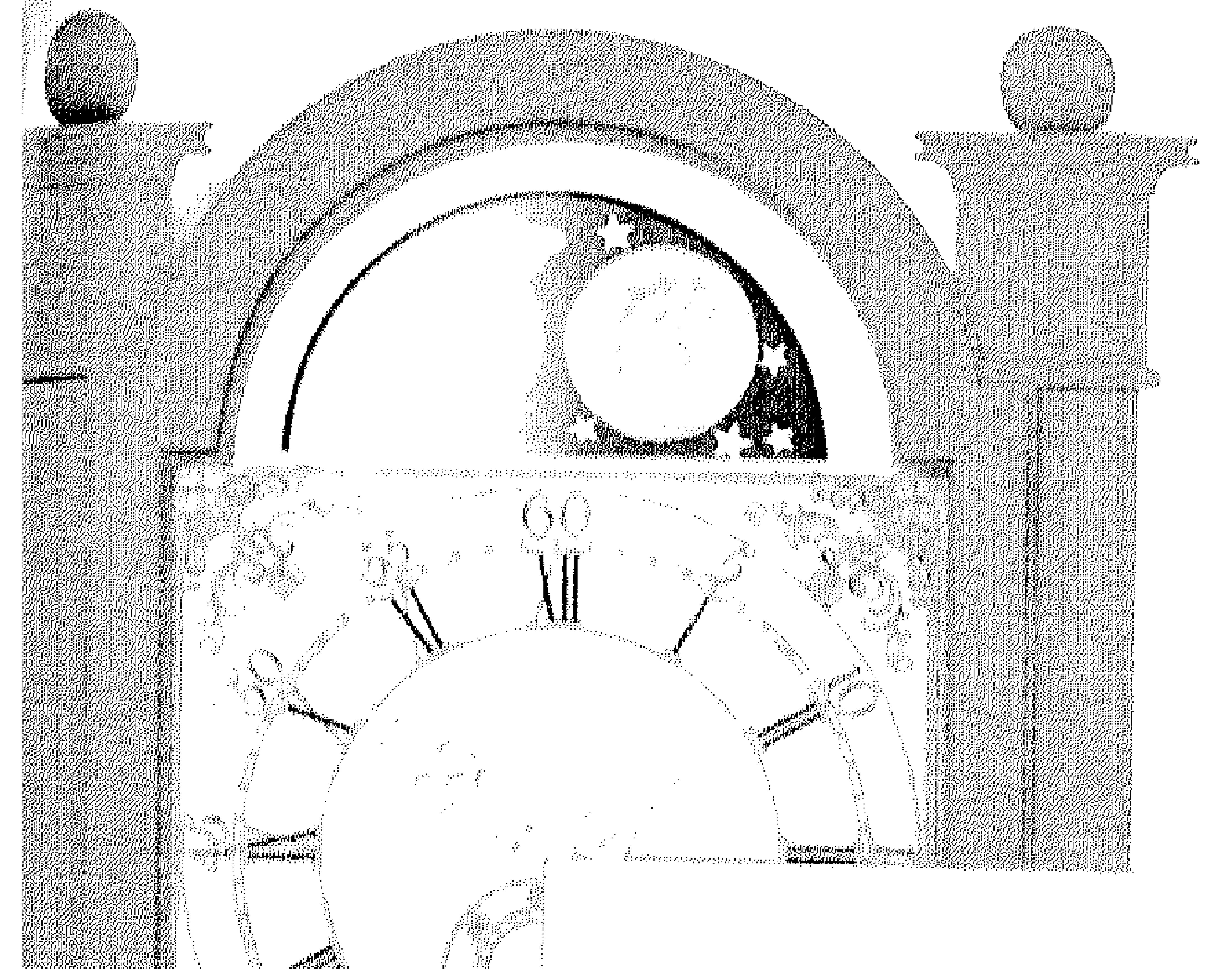
كانت الساعة السابعة والدقيقة الثالثة مساء. وبعد أكثر من يومين ونصف يوم بلا أكل ولا نوم كانت مؤشرات الحياة في جسم رومان لا تزال على ثباتها. والغريب أن حرارته قاربت الدرجة الطبيعية. لكنه أدخل المستشفى وأخضع للمراقبة ثم أرسل الى منزله للنقاهة.

ولمّا حلّ فصل الخريف عاد رومان الى جامعته في انديانا. ويقول متحدثاً عن المحنة التي قاساها: "قد أبدو الشخص نفسه الذي عرفه الآخرون، لكنني في الواقع تغيّرت. ان أشخاصاً كثيرين جازفوا بحياتهم لانقاذي. وكل يوم أحياه يبدو لي الآن أثمن مما مضى."

بيير أولا واميلي دولير ■

يقول ساندرو بيرتيني الرئيس السابق لجمهورية ايطاليا: "لطالما رأيت ان المرء يجب ان يكون صارما مع نفسه وعادلا مع الآخرين."

ل.إ.



العَودة إلى الشمْس لضبْط الوقت

مستخرجو الوقت من الضوء تشغلهم،
منذ فرض الحظر النفطي العربي على عدد
من الدول الغربية في العام ١٩٧٣،
مسألة تقديم الساعة أو تأخيرها بغية كسب
كمية من نور الشمس أو ضوء الشفق
من شأنها اطالة النهار، أي العمل والانتاج،
والتوفير في استهلاك الطاقة.
واذا كان "الزمن الامريكي" معقداً بعض الشيء،
لأن في الولايات المتحدة "شرقية" و"غربية"،
فان "الزمن العربي" مبسط لانه على وفاق
مع غرينتش باستثناء حالات صيفية محدودة.

Illustration: Bill Finewood

في الثانية من صباح ٢٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥ شدت كوابح جميع القطارات الليلية التي تنقل الركاب بين المدن الامريكية. وتجمدت على خطوط السكة ثم وقفت ساكنة مدة ساعة في الليل الخريفي. انه ليس اضرابا ولا عملية تخريب، بل اجراء لضبط الوقت.

فالأمريكيون وفقاً لقانون اقره الكونغرس(١) "يتقهقرون" ساعة من الزمن ليستأنفوا التوقيت الاساسي في الاحد الاخير من أكتوبر (تشرين الأول)، ثم "يقفزون" ويعيدون ضبط ساعاتهم بحسب التوقيت الصيفي في الاحد الاخير من ابريل (نيسان). ويمنحهم ذلك لمدة ستة أشهر ساعة اضافية من أشعة الشمس بعد يوم عمل.

والتوقيت الصيفي ليس طبيعياً اطلاقاً. فقد بدأ اعتماده في القرن الحالي كاختبار في الحرب، وما زال الكونغرس يناقش سبل تعديله.

والتوقيت كما نعرفه ترسخ زمن السكك الحديد. فحتى العام ١٨٨٣ كان لكل بلدة في شمال أمريكا توقيتها الخاص. وكانت المجالس البلدية تحتفظ بمزاول أي ساعات شمسية. واذ يشير ظل الشمس إلى الشمال في المزولة، تضبط ساعات البلدة على وقت الظهيرة. كان هذا النظام ناجعاً حين كان الحصان والعربة يمضيان يومين في الارتحال مسافة تقرب من ١٤٥ كيلومتراً.

ولكن أي توقيت ينبغي اعتماده لجدولة مواعيد القطارات؟ ففي اللحظة التي تشير المزولة إلى الظهر في العاصمة واشنطن تشير المزاول الأخرى إلى ١٢،١٢ بعد الظهر في نيويورك، و١٢،٢٤ بعد الظهر في بوسطن شمالا و١١،٤٨ قبل الظهر في بتسبرغ غرباً.

ولادة غرينتش – حسماً للفوضى حذت مصلحة السكك الحديد الامريكية حذو بريطانيا التي استعاضت عام ١٨٨٠ عن الساعات الشمسية المحلية بتوقيت واحد متسق يقاس في دائرة خط الطول الذي يقع فيه المرصد الملكي في بلدة غرينتش قرب لندن. وفي ١٨٧٦ اقترح السير سانفورد فليمنغ رئيس المهندسين العاملين في مد السكك الحديد للحكومة الكندية، تقسيم العالم ٢٤ منطقة زمنية، واحدة لكل ساعة من ساعات اليوم. وتبنت هذه الفكرة مصلحة السكك الحديد في أمريكا الشمالية. وفي ظهيرة ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٨٣ انتقل معظم المحطات إلى نظام من أربع مناطق زمنية: شرقية ووسطى وجبلية ومنطقة المحيط الهادىء.

وفي غضون أشهر اعتمدت ثمانون من كبرى المدن الأمريكية توقيت السكك الحديد. ثم في تاريخ لاحق عام ١٩١٨ سن الكونغرس قانوناً يرسخ هذا النظام.

ويبدو أن السياسي والمخترع الامريكي بنجامين فرنكلين كان مصدر الايحاء بالتوقيت الصيفي. فحين كان سفيراً في فرنسا عام ١٧٨٤ كان يهوى النهوض مع الفجر والسير في شوارع باريس. ولاحظ أن كثيراً من الناس يغلقون نوافذهم

---

(١) الكونغرس هو الهيئة الاشتراعية في الولايات المتحدة ويتألف من مجلس النواب (House of Representatives) ومجلس الشيوخ (Senate).

لحجب النور الباكر وينامون في وقت متقدم، وبعد اغفالهم النور "المجاني" يعمدون إلى انفاق المال على شموع تنير ظلام لياليهم. وأجرى فرنكلين حساباً بيّن أن الباريسيين اذا ما استيقظوا مع شروق الشمس فانهم يوفرون ٦٤ مليون جنيه سنوياً ثمن الشموع التي يشترونها.

أعرض الفرنسيون عن اقتراح فرنكلين. ولأكثر من قرن طوى النسيان فكرة حفظ نور النهار. وفي العام ١٩٠٧ ضغط المهندس المعمار البريطاني وليم ويليت على المشترعين الانكليز لاقرار التوقيت الصيفي ادخاراً للوقود وتوفيراً لساعات اضافية من النهار من اجل تدريب الجند. وفي السنة التالية ناقش مجلس العموم البريطاني الفكرة، غير أنه أرجأ اتخاذ أي اجراء. ووفقاً لنمط ما زال يتكرر، كلما دخلت مسألة التوقيت الصيفي حلبة السياسة عارضها المزارعون بشدة.

وتذهب حجتهم إلى أن قاطني المدن الذين يقيسون حياتهم بالساعات قد يفيدون من تأخر شروق الشمس وغروبها، لكن المزارعين الذين يعملون من الفجر حتى الغياب يعانون متاعب مع "الوقت السريع" وهو الاسم الذي يطلقونه على التوقيت الصيفي. اذ انه قد يعرض الغلال للتعفن حين يجنونها رطبة ندية ليرسلوها إلى السوق في الموعد المضروب. وهو يتضارب مع عادة حلب الأبقار صباحاً. وبكلام أحد أعضاء الكونغرس: "قد تبدّل الساعة وفقاً للتوقيت الصيفي، لكن الأبقار تدرّ الحليب بحسب توقيت الرب."

خلاف وشقاق – روعيت المصالح الريفية في بريطانيا حتى العام ١٩١٦ تاريخ تبني ألمانيا التوقيت الصيفي. وإذ كانت بريطانيا تخشى أن يتيح ذلك لعدوها فرصة ادخار الوقود، أعادت ضبط ساعاتها وفق التوقيت الصيفي. وأدى التوقيت الجديد إلى خفض استهلاك الغاز والكهرباء بمقدار ١٥ في المئة. وعلى الأثر رفعت شركات الوقود تعريفتها بنسبة تراوح بين ١٠ و١٥ في المئة لتعويض خسارتها.

واذ رأت الولايات المتحدة نجاح بريطانيا في توفير الطاقة، تبنت لفترة وجيزة توقيتاً صيفياً كجزء من جهدها الحربي عام ١٩١٨. ولدى انتهاء الحرب أفلح المزارعون الأمريكيون في وقف "الوقت السريع".

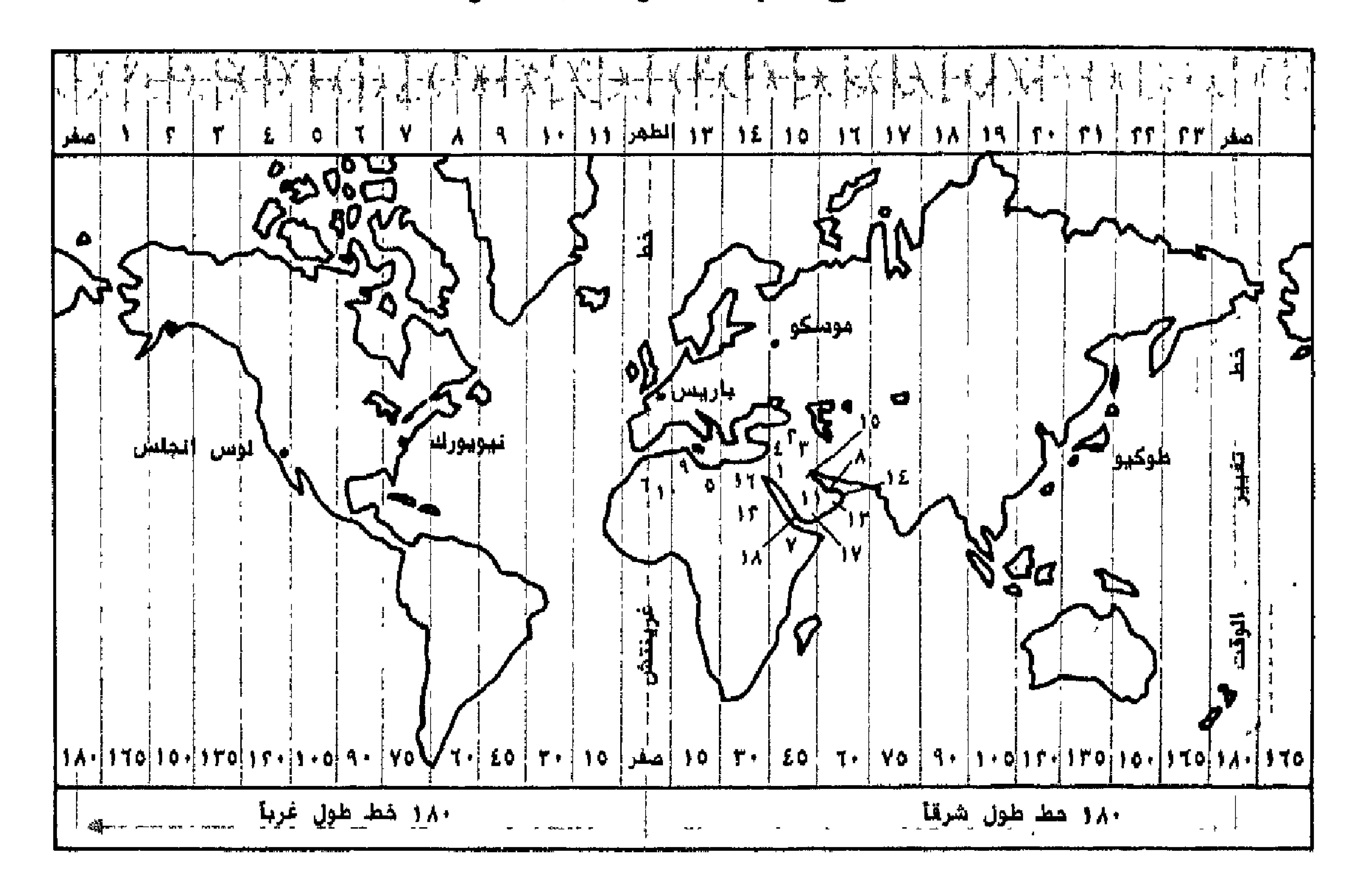
وأثناء الحرب العالمية الثانية فرضت الحكومة الاتحادية الامريكية توقيتاً صيفياً على مدار السنة. وبعد ذلك استبقت هيئات محلية عدة "الوقت السريع" واختار المشترعون المحليون تواريخ معينة لاضافة ساعة من الزمن أو إنقاصها.

وفي بداية الستينات اعتمدت ١٨ ولاية التوقيت الصيفي فيما سمحت ١٨ أخرى بقرارات محلية واحتفظت ١٤ – وهي الولايات المنتشرة في "حزام الشمس"(٢) – بالتوقيت العادي طوال العام.

وعمت الفوضى. ففي ولاية آيوا ٢٣ تاريخاً مختلفة للتوقيت الصيفي. واذا ما

(٢) Sun-belt states

المناطق الزمنية وتحديد الوقت



١. الاردن ٢. سوريا ٣. العراق ٤. لبنان ٥. ليبيا ٦. المغرب ٧. دولة الامارات ٨. البحرين ٩. تونس ١٠. الجزائر ١١. العربية السعودية ١٢. السودان ١٣. عُمان ١٤. قطر ١٥. الكويت ١٦. مصر ١٧. جمهورية اليمن الديموقراطية ١٨. الجمهورية العربية اليمنية.

ركب مسافر حافلة في رحلة من ٥٦ كيلومتراً بين ستوبنفيل (أوهايو) وماوندسفيل (فرجينيا الغربية) وضبط ساعته إلى التوقيت المحلي في كل محطة، فعليه أن يعيد ضبط ساعته سبع مرات!

وفي الولايات المتحدة التي يبلغ مجموع مدنها الكبرى ١٣٠ ويتقيد ٧١ منها بالتوقيت الصيفي فيما لا تلتزمه ٥٩ أخرى، أقر الكونغرس عام ١٩٦٦ قانون التوقيت المنتظم، ولم يعد مسموحاً بأن تضبط السلطات المحلية ساعاتها بنفسها. ونص القانون الاتحادي على أن التوقيت الصيفي يبدأ في الاحد الاخير من ابريل (نيسان) وينتهي في الاحد الاخير من اكتوبر (تشرين الأول) من كل عام. غير أن احدى الولايات احتفظت بحقها في اعفاء نفسها كلياً من التوقيت الصيفي. أما الولايات الاثنتا عشرة المجزأة بين منطقتين زمنيتين مختلفتين فقد أتيح لها أن تتبع التوقيت الصيفي في منطقة من دون أخرى.

وسبّب ذلك أحياناً خلافات وشقاقاً، خصوصاً في انديانا وهي ولاية تقاسمتها المنطقتان الزمنيتان الشرقية والوسطى. وفي فيفاي احدى بلدات انديانا يعمل العمدة وفقاً للتوقيت العادي طوال

الزمن العربي ليس واحداً

تقسم الدائرة المحيطة بالأرض ٣٦٠ درجة يمرّ في كل منها خط من خطوط الطول، وهي خطوط وهمية تحوط الكرة الأرضية في شكل أنصاف دوائر تمتد بين القطبين. وتدور الكرة الأرضية حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة، فتعرّض للشمس في الساعة خمسة عشر خطاً. لذلك، يمكن اعتبار كل ١٥ خط طول مساوية لمنطقة زمنية أو ساعة. وهكذا قسّم العالم ٢٤ منطقة زمنيّة. أمّا خطّ الطول الذي يمر في مدينة غرينتش قرب لندن فقد اتفق دولياً على اعتباره خط الطول الأساسي أو الخط الصفر. وبما أن الأرض تدور من الغرب الى الشرق، فترقّم المناطق الزمنية من - ١ الى - ١٢ شرق هذا الخط اشارة الى عدد الساعات التي ينبغي طرحها للحصول على توقيت غرينتش، ومن + ١ الى + ١٢ غرب هذا الخط، اشارة الى عدد الساعات الواجب اضافتها للحصول على هذا التوقيت.

ولا بد من الاشارة الى أن التوقيت المعتمد في كثير من البلدان لا يتوافق دائماً مع توقيت المناطق الزمنية، علماً أن المناطق الزمنية تنطبق عموماً على البحار.

ولاستغلال ضوء النهار الى أقصى الحدود، يعمد كثير من البلدان الى تقديم توقيته ساعة واحدة خلال الفصول الدافئة.

السنة، في حين تعتمد سرايا البلدة التوقيت الصيفي.

وفي بلدة رايزنغ صن المجاورة يبدّل الجميع ساعاتهم إلى "الوقت السريع" ما عدا المدارس الحكومية التي تلتزم التوقيت العادي على مدار السنة.

مدرسة تحت النجوم - من سيئات التوقيت المحلي أن كل منطقة زمنية، نظرياً، تمتد ساعة في الزمان والمكان. فالشمس تشرق على الطرف الشرقي لمنطقة ما قبل ساعة تقريباً من بزوغها في الطرف الغربي، على رغم أن الساعات مضبوطة إلى التوقيت نفسه. والحقيقة أن المدن الواقعة في الطرف الغربي من المناطق الزمنية ينطبق عليها التوقيت الصيفي نصفياً، اذ ان التوقيت العادي لساعاتها يسبق بنصف ساعة موقع الشمس في سمائها. وحين يفرض عليها التوقيت الرسمي "تقديم" ساعاتها ساعة أخرى، فإن الأثر يماثل توقيتاً صيفيا من نوع: الساعة كذا ونصف. وفي الطرف الغربي من المناطق قد لا تغرب الشمس قبل العاشرة مساء في الصيف ولا تبزغ قبل التاسعة صباحاً في الشتاء.

وأعداد الأمريكيين القاطنين في النصف الغربي من المناطق الزمنية تزيد على تلك التي تسكن النصف الشرقي. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ حين فرضت الحكومة الأمريكية التزام التوقيت الصيفي مدة عشرة أشهر رداً على الحظر العربي للنفط أرسل ملايين الآباء أبناءهم إلى المدارس تحت سماء مضاءة بالنجوم. واثر وفاة ثمانية أطفال في حوادث سير

وقد وعت بعض الدول العربية أهمية هذه العملية فاعتمدتها على الشكل الآتي:

البلد	التوقيت ★ الصيف	الشتاء	تاريخ التغيير ١٩٨٦ بدء التوقيت الصيفي	بدء التوقيت الشتوي
الأردن	+ ٣	+ ٢	٣ نيسان (ابريل)	٢ تشرين الاول (اكتوبر)
سوريا	+ ٣	+ ٢٠	١٥ شباط (فبراير)	١٨ تشرين الاول (اكتوبر)
العراق	+ ٤	+ ٣	١ نيسان (ابريل)	٣٠ ايلول (سبتمبر)
لبنان	+ ٣	+ ٢	٣٠ نيسان (ابريل)	١٥ تشرين الاول (اكتوبر)
ليبيا	+ ٢	+ ١	٥ نيسان (ابريل)	٤ تشرين الاول (اكتوبر)
المغرب	+ ١	توقيت غرينتش	٢٩ آذار (مارس)	٢٧ ايلول (سبتمبر)

أمّا الدول العربية التي تعتمد توقيتاً ثابتاً فهي الآتية:
الامارات العربية المتحدة + ٤ (بالنسبة الى غرينتش)، البحرين + ٣، تونس + ١، الجزائر + ١، المملكة العربية السعودية + ٣، السودان + ٢، عُمان + ٤، قطر + ٣، الكويت + ٣، مصر + ٢، الجمهورية العربية اليمنية (الشمالية) + ٣، جمهورية اليمن الديموقراطية (الجنوبية) + ٣.

(★) نسبة الى توقيت غرينتش.

صباحية في فلوريدا، عمدت الهيئة الاشتراعية في تلك الولاية إلى دراسة امكان ابطال التوقيت الصيفي. وكشفت دراسات لاحقة أن حوادث السير تناقصت على نحو طفيف. ووفقاً لأحد الاحصاءات فان التوقيت الصيفي وفّر نحو ١٠٠ ألف برميل من النفط يومياً.

ولكن بحلول العام ١٩٧٦ استشعر الكونغرس غضب الناخبين فقلص فترة التوقيت الصيفي إلى ستة أشهر.

الموعد الافضل – الزمن مصدر طاقة. وطريقة توزيعه تجعل منَ الناس أثرياء أو معوزين. والكونغرس هو الذي ينظم توزيع الوقت في الولايات المتحدة.

وفي أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٥ صوّت مجلس النواب الأمريكي على جعل التوقيت الصيفي سبعة أشهر من السنة. ولقي هذا الاجراء دعماً من إدارة الرئيس ريغان وسيعرض للتصويت في مجلس الشيوخ. واذا ما أصبح مشروع القانون نافذاً فان الامريكيين في العام ١٩٨٧ سيقفزون إلى التوقيت الصيفي في الاحد الاول من شهر ابريل (نيسان) وليس في الاحد الاخير منه، وسينكفئون إلى التوقيت العادي في الاحد الاول من نوفمبر (تشرين الثاني) وليس في الأحد الاخير من اكتوبر (تشرين الاول).

ترى هل اسحى الكونغرس أفضل التواريخ لمباشرة التوقيت الصيفي وانهائه؟ وهل الغاية توفير نور النهار ونشر ضوء الشمس والشفق لمصلحة معظم المواطنين؟ لا يبدو ذلك صحيحاً وفقاً لتحقيقين مستقلين نشر أحدهما

في صحيفة "سكاي أند تلسكوب" والآخر في "سيانتيفيك أميريكان"(٣) ولا مصلحة لأي من الصحيفتين في المسألة. وأشار التحقيقان إلى أنه لبلوغ أفضل استغلال لأشعة الشمس والشفق ينبغي أن يبدأ التوقيت الصيفي في الاحد الاول من ابريل (نيسان) كما ينص على ذلك مشروع القانون، لكن الوقت الأفضل لانهاء التوقيت الصيفي. والعودة إلى التوقيت العادي ليس في نوفمبر (تشرين الثاني) بل في الاحد الاخير من سبتمبر (أيلول) أي قبل التاريخ المحدد بستة أسابيع.

شمس للبيع - لماذا أقرّ مجلس النواب اذاً مشروع قانون يحدد نهاية التوقيت الصيفي بعد ستة أسابيع؟

أحد الأسباب، وفقاً لتقارير منشورة في مجلة "فورتشن" وصحيفة "وول ستريت جورنال" هو الحلوى. فاتحادات الصناعيين ألقت بثقلها في سبيل تمديد التوقيت الصيفي إلى ما بعد ٣١ اكتوبر (تشرين الأول) الذي يصادف عيد "هالوين" وفيه إحدى العطل السنوية التي توزع فيها اعظم مقادير من الحلوى ويرتدي الصغار والكبار أقنعة وثياباً تنكرية. ومن غير المحتمل أن يسمح الآباء لصغارهم بالبقاء خارج البيت بعد هبوط الليل، ولذلك فان ساعة اضافية من النهار قد تساوي ملايين الدولارات من مبيعات الحلوى.

وتتأثر أعمال أخرى بهبوط الليل باكراً. ووفقاً للدراسات التي أجرتها شركة "ساوثلاند" التي تملك سلسلة متاجر "٧ - ١١" فان النساء العاملات يقصدن المتاجر في ساعات النهار، لكنهن يؤثرن الاجواء المضاءة للمتاجر الكبرى (السوبرماركيت) بعد ان يخيم الظلام.

واستناداً إلى حسابات اتحاد صناعات الشواء (باربكيو اندستريز) فإن ساعة اضافية واحدة من النهار لبضعة أسابيع سنوياً تعني ٧٧،٥ مليون دولار قيمة مبيعات مشاو وقوالب فحم وسوائل للاشعال السريع. وفي الجانب الآخر من المزولة تقدر جمعية أصحاب المشاتل أن تطبيق التوقيت الصيفي قبل شهر واحد من موعده قد يعود عليها بمبيعات اضافية تناهز ٣١٥ مليون دولار.

وتؤيد مؤسسة «RP» لمكافحة العمى تمديد التوقيت الصيفي، اذ ان نحو ٤٠٠ ألف امريكي مصابون بالعشا، أي العمى الليلي، وساعة اضافية من ضوء النهار تعني لهم ساعة من الابصار.

ولقد تتبع أحد خبراء الكونغرس مسألة التوقيت الصيفي التي أضحت مثار جدل لسنين. وهو يقول ضاحكاً: "في غالب الشؤون، يصوت المشترعون إلى جانب أحزابهم أو ولاياتهم، ولكن في موضوع التوقيت الصيفي يصوت أعضاء الكونغرس الآتون من الجانب الشرقي للمناطق الزمنية مع التمديد، فيما يصوت أولئك الآتون من الجانب الغربي ضده."

إن بزوغ الشمس وأفولها، شرقاً أو غرباً، سيفيد بعض الناس ويضايق آخرين ويلهب جدلا قديماً لا ينتهي.

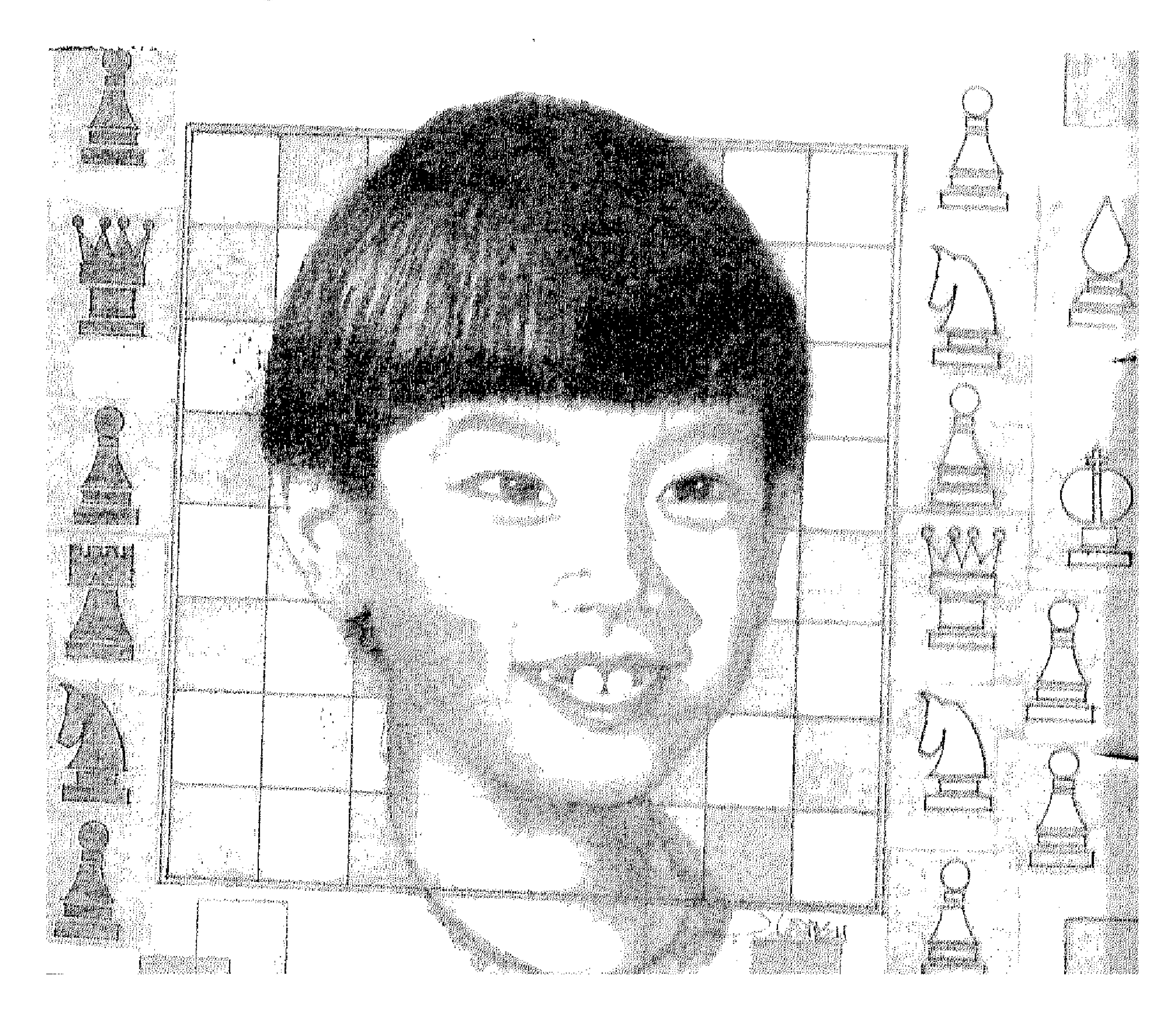
لويل بونتي ■

(٣) Sky & Telescope; Scientific American

نابغة الشطرنج

ابن تسع سنوات يهوى كرة السلة والبيتزا والدمى و... الشطرنج

في السن الخامسة اعتاد أليكس تشانغ أن يلهو سعيداً في روضة الاطفال بكتل خشبية يزعم أنها سفن فضائية ثم رأى في منزل صديق يكبره شيئاً بهره أكثر من أي صاروخ خيالي، شيئاً مدهشاً عجيباً من الكروم البرّاق والخشب المصقول يتوجه تمثال ذهبي صغير. انها جائزة فاز بها صديقه في مباراة شطرنج. وأدرك أليكس أن عليه أن يحوز تلك الجائزة أو أخرى شبيهة بها. وهرع إلى البيت ورجا أمه أن تسمح له بالانضمام إلى ناد محلي للشطرنج.



وتقول أمه لينغ تشانغ وهي طبيبة أسنان من كاوهسيونغ في تايوان: "ظننته صغيراً جداً بعد، لكنه استمر في الرجاء. فسمحت له بالانضمام الى النادي." وما ان انقضى شهر واحد حتى فاز اليكس بجائزة كتلك التي اشتهاها.

أليكس تشانغ الآن في التاسعة وفي الصف الابتدائي الرابع. وهو أفضل لاعب شطرنج بين أترابه في الولايات المتحدة، ولربما كان أكثر الامريكيين نبوغاً منذ التماع نجم بوبي فيشر بطل العالم للعام ١٩٧٢. وحاصل ذكائه الشطرنجي، أي العلاقة بين عمره ورتبته كلاعب، هو ٢٠٢٠، احدى أعلى الدرجات في الولايات المتحدة.

وبهذا المقياس يشير الرقم ٥٠٠ إلى الموهبة النادرة، فيما يعتبر اللاعبون الذين تزيد درجاتهم على ٨٠٠ الصفوة التي يأتي منها الأساتذة والأساتذة الكبار (١).

على رغم شهرة اليكس المتنامية فهو صبي طبيعي تماماً، ينظر إلى العالم لاهياً من خلف منظار جوي لديه. وتقول أمه: "الوقت الوحيد الذي يجلس فيه ساكناً هو حين يلعب الشطرنج".

واذ يتناول أليكس عشاءه المفضل البيتزا في أحد مطاعم الوجبات السريعة، يضحك حين يُسأل عن لقبه في المدرسة ويجيب: "الدماغ. يظنون أني أذكى صبي في الصف."

وفي البيت يثب عالياً أمام الباب متظاهراً بقذف كرة السلة. وهذا ليس عملا عادياً لصبي يزن ٣٢ كيلوغراماً ويبلغ طوله ١٣٥ سنتيمتراً. ثم يتفحص بقعة اليقطين في الساحة الأمامية للمنزل، ويقول بلهجة جنوبية مباعداً ما بين يديه مسافة ٦٠ سنتيمتراً: "لقد نبتت لدينا واحدة بهذا الحجم." ويجلس القرفصاء على بلاط غرفته ليعرض ألعابه الأثيرة متباهياً، وهي مجموعة كبيرة من "المتحولات" سوداء اللون تتحول من سيارات وصواريخ إلى رجال فضاء آليين.

اللعبة المفتونة – سجل اليكس تشانغ ١٩٢٠ نقطة، وتنقصه ٢٤٠٠ نقطة ليصبح أستاذاً. واذا تسارع مستقبله المذهل كما هو متوقع فسيغدو أستاذاً خلال سنتين، ويكون أصغر لاعب على الاطلاق يحوز هذا الامتياز. ولقد انضمت إلى جائزته السحرية الأولى ٤٩ جائزة أخرى موضوعة الآن في غرفة الجلوس بمنزل آل تشانغ في ريتشوود بفرجينيا الغربية.

لم يكن أي من والدي أليكس يلعب الشطرنج أو يفكر في أن ذلك الصبي البارع في تهجئة الكلمات هو نابغة عتيد. وقد ظنت السيدة تشانغ، ببساطة، أن اللعبة ستكون تحدياً لطفليها. ولذا خرجت من المنزل واشترت علبة شطرنج بأربعة دولارات. ثم قرأت التعليمات وعلمت ابنتها أنجيلا ذات الثماني السنوات طريقة اللعب.

أما والد اليكس، الدكتور هاو تشانغ من تايتشونغ وخريج كلية كاوسيونغ للطب في تايوان، فيستذكر أن أنجيلا استوعبت اللعبة بسرعة ثم لقنتها شقيقها الأصغر.

(١) Masters and grand masters



أليكس وأنجيلا، وتبدو جوائزهما في خلفية الصورة.

ويقول الدكتور تشانغ: "هي بدأت اللعب أولا. لكنه كان أبرع... وما زال، مع ان انجيلا هي أمهر لاعبات الشطرنج في الولايات المتحدة."

وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٣، بعد سنة واحدة من تعلم أليكس لعبة الشطرنج، اشترك في دورة البطولة الوطنية للمبتدئين في ممفيس بولاية تنيسي. وضمت الدورة زهاء ٣٧٨ ولداً من روضة الأطفال حتى الصف الابتدائي السادس في مسابقة من ثماني جولات. وفيما أليكس راكع في كرسيه فاز في ست مباريات "ظهْراً لظهر" وخسر في اثنتين. واستطاع بعد يومين من اللعب أن يتقاسم البطولة في المجموعة التمهيدية مع ولد في الصف الابتدائي الثالث من نيويورك.

ولدى افتتاح المباريات الوطنية للعام ١٩٨٤ آثر أليكس "اللعبة المفتوحة" متجاوزاً فئة عمره، وتبارى مع أولاد من الصف الابتدائي السادس. فتعادل في المركز الثاني بمجموع ٦ نقاط في مقابل نقطة واحدة.

وفي مايو (أيار) ١٩٨٥ اشترك ثانية في مباريات الفئة الاكبر منه سناً، فحل في المرتبة الثانية متعادلا مع تلميذ في الصف الابتدائي السادس من مدينة نيويورك. واعتبر أليكس ظاهرة الدورة ووصفته صحيفة "كريستشان ساينس مونيتور" بأنه "اكثر لاعبي الشطرنج الاولاد اثارة للدهشة."

صبي غير عادي - يبدو أليكس يلعب أفضل اذ يكون منهمكاً. وكان مدربه

Illustration: Jeff Cornell. Photo: Brian Lanker

السابق أستاذ الشطرنج رصل بوتر يحضه على اللعب في اكثر المباريات منافسة، وخصوصاً مع الراشدين ما أمكن. وبوتر يعتبر أليكس واحداً من القلة من عباقرة الشطرنج الذين يجود بهم قرن، ويعتقد أن حضه الآن سيزوده الخبرة التي يحتاج اليها للاشتراك في الدورات العالمية الكبرى حين يصبح مراهقاً. وفي العامين ١٩٨٤ و١٩٨٥ لعب أليكس مع استاذ في الشطرنج وربح، كما تعادل مع خبيرَين وفاز على ثالث، وهذا انجاز لم يسبقه اليه تلميذ في الصف الابتدائي الثالث. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٥ اشترك في دورة للبالغين ففاز في ثلاث مباريات وخسر في واحدة وتعادل في أخرى.

ويتعين على أليكس أن يسافر ليتابع الدورات، وهو وصل في ترحاله الى آيسلندا. ويأتي منافسوه الكبار من حواضر كبيرة أتيح لهم فيها أن يلعبوا مع أساتذة شطرنج. ويسبب ذلك متاعب لأسرته. فالدكتور تشانغ يرى "ان أليكس لو كان صبياً عادياً لما همَّني السكن هنا في ريتشوود."

لكن أليكس ليس ولداً عادياً، وإذا أصبح أستاذاً في الشطرنج عما قريب فقد ينتقل آل تشانغ للاقامة قرب مدينة كبيرة. وتضيف أم أليكس: "ابننا صبي موهوب، وإن لم نساعده في بلوغ أقصى طاقاته فسيتملكنا احساس بالذنب."

وريتشوود بلدة غنية بالخشب ومناجم الفحم الحجري ويبلغ عدد سكانها قرابة أربعة الآف. وهي تبعد ثلاث ساعات بالسيارة عن تشارلستون، اكبر المدن المجاورة.

والحياة في ريتشوود بهيجة. وتدر عيادة الدكتور تشانغ دخلا سنوياً يبلغ ٦٥ ألف دولار، وهو يطبب أيضاً في مستشفى هناك. وتعمل زوجته مساعدة طبية له في العيادة. وتسكن الأسرة في بيت قرميدي بسيط ولديها سيارة وشاحنة وعربة مقطورة.

[illegible] — حين لاحت جبال فرجينيا الغربية لآل تشانغ للمرة الأولى عام ١٩٧٣ أعادت اليهم الهضاب المغطاة بالصنوبر ذكرى تايوان التي هاجروا منها قبل سنة. كانوا يبغون حياة أكثر سلاماً من حياة نيويورك حيث عمل الاب طبيباً متمرناً. وبعد سنة قرأ الدكتور تشانغ اعلاناً في مجلة طبية نشرته جمعية في احدى بلدات فرجينيا الغربية، وفيه تعرب عن حاجة البلدة الى طبيب. واتصل الدكتور تشانغ بالجهة المعلنة مبدياً استعداده لتولي الوظيفة.

قام آل تشانغ بادىء الأمر بإدارة عيادة في قرية جبلية يقطنها ٢٠٠ شخص. ثم انتقلوا إلى ريتشوود.

وبحلول خريف ١٩٨٤ استرعى أليكس انتباه جون كولينز أستاذ الشطرنج الذائع الصيت ومدرب بوبي فيشر. وأثناء دورة شطرنج في جبال كاتسكيل بولاية نيويورك ذهل كولينز اذ لاحظ أن أليكس لا يدوِّن على جدوله النقلات التي يلعبها فعلا، بل كذلك النقلات المحتملة لكلا اللاعبين. فدعاه الى الانضمام إلى "فتية كولينز" وهو فريق من ١٦ عضواً يضم صبياناً وبنات أمريكيين طاروا إلى آيسلندا للاشتراك في مباريات ضد فريق

مماثل. وقد خسر الفريق الأمريكي غير أن اليكس، أصغر لاعبيه، ربح في ثلاث مباريات وتعادل في واحدة.

ورتّبت المؤسسة الأمريكية للشطرنج التي تساعد صغار اللاعبين الواعدين، نفقات انتقال فينس كمبريدج، وهو أستاذ عالمي في الشطرنج، إلى ريتشوود مرة في الشهر لملاعبة أليكس. وفي هذه الاثناء يلعب اليكس بضع ساعات يومياً ضد خمسة أدمغة الكترونية تمتلكها العائلة. وأحد هذه الادمغة يلعب على مستوى خبير شطرنج وهو قادر على لعب ما يربو على ٢٠ ألف نقلة افتتاحية. ويقول الدكتور تشانغ: "يتغلب اليكس على الدماغ الالكتروني غالب الاحيان، وقد يخسر مباراة واحدة من عشرين."

لدى الأسرة نحو مئة كتاب عن الشطرنج. ويفضل اليكس من بينها كتاب "مبارياتي الستون التي لا تنسى" للاعب بوبي فيشر. وقد اعتاد الدكتور تشانغ أن يشرح المباريات لابنه، أما الآن فيتولى أليكس التفسير والشرح. ويعترف الدكتور تشانغ: "انني حين أقرأ هذه الكتب أجدها لا تبين بجلاء لمَ تكون نقلة ما أفضل من أخرى. فألجأ الى أليكس الذي يدرك السبب بلمح البصر."

ويبتسم الدكتور تشانغ مزهواً فيما يرتبك اليكس. واذ يُسأل متى تغلب على أبيه يقهقه: "في أول مرة لعبت معه."

وتتذكر الأم كيف كان أليكس في الثالثة من عمره يحسب أسعار كل الحاجات التي تبتاعها من المتجر. وكان ينبئها بالمجموع قبل أن يصلا إلى صندوق الحساب. وتضيف: "كان اليكس يستعمل أصابعه بطريقة مضحكة لم يستطع أن يشرحها قط. ولا يسعه كذلك أن يشرح أسلوبه في الشطرنج تفصيلا. لكن هذا الأمر ليس بمستغرب في عبقري يتميز بصفات منها ذاكرة تصويرية (٢) وطاقة هائلة على التركيز الذهني ومقدرة على حساب نقلات عدة في سياقات مختلفة.

إن ركوب السيارة برفقة صغيري آل تشانغ تجربة مريحة. ففي المسافات الطويلة يمضي أليكس وأنجيلا الوقت في لعب "الشطرنج الأعمى" من دون رقعة. وهما يتخيلان الحجار ويناديان بنقلاتهما.

ويعلن أليكس أنه سيلتحق بجامعة برنستون حين يكبر، لكنه ليس متيقناً من المواد التي يرغب في دراستها. وتفصح أنجيلا عن رغبتها في أن تصبح طبيبة أطفال وقد تؤهلهما براعتهما في الشطرنج للالتحاق بالجامعة التي يختارانها. والجامعات الشهيرة، مثل هارفرد وييل وبرنستون، ترحب بالطلاب الذين يتمتعون بتلك المواهب.

واذ يتكوّم اليكس في سريره مع خمس دمى من رقع القماش، فان لديه أهدافاً أكثر أهمية في الحاضر: "أود أن يكون لي تلفاز في غرفتي، وسأحصل على لاقطة تلفزيونية لبث القمر الاصطناعي(٣) أو على بركة سباحة اذا فزت في الدورة المقبلة." ثم يعقد حاجبيه للحظة ويضيف: "أنا مصمم على حيازتها جميعاً."

جون تومكينز ■

---

(٢) الذاكرة التصويرية (photographic memory) قادرة على الاحتفاظ بانطباعات حية عن كل ما يراه صاحبها.

(٣) Satellite TV dish

أوشك الكلب الجريح على الموت في صحراء كالاهاري اللاهبة.
ثم وجد خيمة فى ظل شجرة شوك



كان يتمتع باستقلالية ردعته عن الدنوّ من النار التي أضرمتها ليعرّف بنفسه، لذا أقام مخيّماً خاصاً به. وكانت خيمتي ترخي الظل الحقير الوحيد ضمن كيلومترات عدة، ؛ بها شجرة سنط وبقعة خضرة ما في قلب المساحة الرمادية لصحراء كالاهاري. أما هو فقد اختار أجمة صغيرة من الشجيرات الصحراوية تبعد ٢٠ خطوة عن خيمتي. ورأيته ينسل تحتها زاحفاً ويتمدد متثاقلا وقائمته المصابة إلى أعلى. أظنني عرفت من أين أ... ـي الأمس مررت بمجموعة ميادين



Illustration. Tony Ribton

المحليين، كانوا رجالا ناحلي القوام على أكتافهم بنادق ويمتطون حميراً هزيلة أثقلت بالأحمال. وتبعتهم قافلة من كلاب صيد تفوقهم هُزالا، جلودها صفراء وعيونها صفراء.

يا لها من حيوانات بائسة. لقد رأيت حميراً صغيرة على أبدانها ندوب خلفتها الاثقال وقد شدّت قوائمها أحياناً بالاسلاك. وبعد عناء نهار طويل عبر رمال الصحراء تراها تكاد لا تقوى على الحراك لتعتلف. أما الكلاب فكانت من الهزال بحيث يسعك أن تعلّق قبعتك على عظام أوراكها.

كنت أدرك تماماً أن صاحبنا في خطر داهم. فأقرب نقطة ماء تقتضي من الكلب المعافى القوي أن يسير ساعات طويلة. فكيف لكلب أعرج أن يمشي مترنحاً على ثلاث قوائم فوق هذه الرمال اللاذعة؟ كيف له أن يصل؟ وخيّل إليّ أنه أصيب في رحلة صيد، وربما رفسته مهاة جريحة كان يطاردها فتعذّر عليه اللحاق بأصحابه فتركوه. ومن حظه أنه وجدني، هو الجريح المنبوذ.

الهجين الشنيع

أحالفه الحظ حقاً؟ تلك الكلاب الهجينة ليست بالحيوانات الأليفة. ولانها كافحت من أجل البقاء منذ يوم ولادتها، تراها غير حنونة ونزّاعة الى الارتياب وصاحبة مزاج غير سوي. لذا لا شك في انني لن استطيع ابقاء ذلك الكلب الى جانبي، ولم أكن أريد ذلك. فمدة عقدي في الارض التي تدعى اليوم بوتسوانا شارفت الانقضاء وسأعود قريباً الى مزرعة والدي في جنوب غرب افريقيا. هناك يربّي أبي كلاباً رعاة من أصل ألماني. فكيف لذاك الهجين الشنيع أن ينسجم معها.

وفي تلك اللحظة قررت أن أساعده. ففي النهاية هذه هي الطريقة الفضلى. سأعلفه جيداً، فذاك ليس سوى مجاملة سائدة بين رحّالة الصحراء. وفي الصباح أطلق عليه النار.

أما هو فكان مستلقياً تحت أجمته يتفحص ما حوله بعينين صفراوين خاليتين من أي تعبير، عينين لم تصادفا نظرة عيني، فالكلب لم يلحظ وجودي بعد. وبينما طاهيتي تعطيه الماء وتحضّر له وجبة طعام ملوكية، رحت أراقبه بنظرة انتقادية. وعزمت على ألاّ آتي أي حركة وديّة.

لم يكن في وسعي أن أخفف من ألم قدمه المصابة. ولما كان داء الكَلَب سارياً وتلك الكلاب لا تلقّح أبداً، فقد بدا لي من التهوّر أن أجازف بعضّة من فكيه. لكنني أخذت له طعامه ووضعت الطبق الكبير أمامه.

رأيته ينكمش على نفسه مرتعداً وأنا أقترب منه وكأنه خشي أن يكون في نيتي ضربه، لكنه عاد فتجاهلني. ولما وضعت الطبق على الارض استشمه للحظة ثم أشاح بعينيه وانتظر حتى أجلس لينقضّ على الطعام ويلتهمه بعضات سريعة وكأنه يخشى أن ينتزع منه.

ومع انني كنت أحظى بخيمة وسرير صغير مريح، فقد طاب لي أن أرقد الى جانب النار. فتلك الليالي الصحراوية يغلّفها السحر. وبدت السماء الشاحبة نظيفة والنجوم قريبة بحيث يكفيك أن

تمدّ يدك لتقبض على واحدة منها. وكانت الليالي باردة. فحرارة النهار المزعجة تنخفض مع غروب الشمس، والرمال التي تلذع قدميك عند العصر قد تفقدهما اللحس من شدّة البرد في ساعات الصباح الاولى. لكن النار التي أضرمتها ظلّت متّقدة مدة طويلة. فحطب الصحراء الجاف قاس يشتعل ببطء ويخلّف طبقة كثيفة من الفحم المتوهج.

تعوّد خدي ملامسة أنوف الكلاب الرطبة، فلم أروّع عندما استيقظت على ملامسة أحدها في برودة ذاك الليل.

ولا شك في أن البرد تسرّب الى قائمته المصابة فأتى ليسألني هل يستطيع مشاركتي في دفء ناري. ونسيت في رقادي عزمي على عدم مصادقته، فرحت أتحدث إليه بهدوء ومددت يدي نحوه لكنه مال عني واستلقى في الناحية المقابلة. وسمعته يئنّ فأدركت أنه يتألم.

وصباح اليوم التالي انشغلت فلم أجد الوقت لأطلق عليه النار. ولما حزمنا أمتعتنا لنغادر المكان وضعناه في مؤخر العربة وأخذناه معنا. وبعد ظهر ذلك اليوم ربطت فمه بحذر ورحت أتفحّص قائمته. فبدا لي العضل بالغ الاصابة لكن العظم لم يكن مكسوراً. وكانت هذه البادرة الاهتمام الوحيد الذي خصصته به. وأصبح رفيق السفر غير المرغوب فيه، يتجاهلني وأتجاهله وطاهيتي تواصل علفه.

ومرّت الاسابيع، وكنت قلقاً لا أدري ما السبيل الى التخلص منه بعدما استعاد عافيته وكفّ عن العرج. وكان غير فضولي، يبتعد عن طريقي في النهار ولا ينضم إليّ إلّا في المساء قرب النار. كان هادئاً، لا ينبح أبداً ولا يظهر شعوره. ولم أرَ أي تغيّر في تعبير تينك العينين الكئيبتين الصفراوين. وتذكرت أن عقدي سينتهي بعد شهرين فلا بد أن أخلص منه عندئذ.

عرفان الجميل

ذهبت في عطلة الى دلتا نهر أوكافانغو الكبيرة التي توزّع مياه الفيضان المتدفقة من جبال أنغولا على مساحة ١٥ ألف كيلومتر مربع في الصحراء الشمالية. فكأنه مشهد معجزة. واذ لم يكن هناك مكان أترك الكلب فيه، فقد اصطحبته.

كم كان ذلك الجزء من المنطقة مختلفاً: عشب أخضر ومساحات واسعة من المياه الحقيقية عوض الألوان التي لا توصف وبحيرات السراب في الصحراء. فنصبت المخيّم وجمعت خشباً لنضرم النار. ولكن لن يمكننا أن ننام في هذه الناحية ملء جفوننا. فما ان تميل الشمس الى الغروب حتى تباشر الضباع عويلها والاسود زئيرها. وبدأت أشعر بالارتياح لانني اصطحبت الكلب.

ولما أصبح الظلام وشيكاً توجهت الى الخيمة لآتي بمشعل كهربائي، فرافقني الكلب. وفتحت ستار الخيمة فسبقني إليها. ومن الداخل تناهت الى مسمعي جلبة هائلة وكأن شيئاً يُهزّ بعنف ويُقذف بقوة. ثمّ خيّم السكون ورجع الكلب إليّ وجلس عند قدميّ. وأشعلت عود ثقاب فرأيت الى جانب سريري أفعى من نوع الصّل. كان الجزء العلوي من جسدها ملتوياً بشكل غير طبيعي وكانت نافقة. ولو دخلت الخيمة وحدي لدستها.

وللمرة الاولى منذ تعارفنا أظهرت المودّة للكلب. فجثوت ووضعت ذراعي حوله، وللمرة الاولى استجاب لبادرتي وراح طرف ذنبه يرتجّ بسرعة على الارض. لكنه سرعان ما ابتعد عني وألقى برأسه جانباً ليتمكن من فرك خده بكفّه. عند ذاك لاحظت أن رأسه متورم. ولما كان لم يصدر أنيناً فلم يخطر في بالي أنه أصيب.

وضعته على حصيرته وتمددت الى جانبه بحيث أضمه إليّ. ورحت أتساءل: هل يمكن أن ينجو بعدما لدغه الصّل في رأسه. يا لغرابة الامر! كيف لي أن أكتئب اليوم لكلب حاولت مراراً أن أجد طريقة للتخلص منه. وغلبني الارهاق والنعاس، لكنني كنت أصحو لأطمئن عليه. ولم ينفق تلك الليلة، وفي الصباح كان لا يزال حياً.

وقضى أياماً في مرض شديد ثم بدأ يسترجع عافيته. ولربّما ساعده عناده الطبيعي وصحته الممتازة على اجتياز تلك المرحلة الخطرة. فهو لم يعد ذاك المخلوق الهزيل الذي وقع عليه نظري في المرة الاولى، بل انه تخطّى الوزن المطلوب. وبعد أسبوع لم يبق من أثر الحادث في خدّه سوى بثرة صغيرة، وعاد الى عالم الصحراء.

أصبح الكلب رفيقي الدائم حتى انني وهبته اسماً فدعوته "كون"، وهو تصغير كونفوشيوس، لما لمسته في عينيه من نظرة بعيدة ملؤها التفكير، وكان عقد عملي على وشك الانتهاء. سأعود إلى بلادي، لكنني لم أعد أفكّر في ترك كون. فعليه أن ينسجم ما استطاع مع الكلاب الرعاة الالمانية.

ثم وقعت الواقعة، اذ مرّ بمخيمي راع وتوقّف للتحدث معي. ولا أعرف ان كان الرجل تعرّف الى كون أو سمع قصته فجمع الاحداث، لكنه قال لي: "أعرف هذا الكلب. انه لصديق لي يصطاد في هذه المنطقة. وهو يقود حميره لتشرب من المكان ذاته الذي أقود اليه ماشيتي. وسأخبره بالامر، وسيسر لانك حافظت على كلبه جيداً."

وفاء الكلب

بعد ظهر اليوم التالي زار الصيادون مخيمي. وتقدم رئيسهم مني ممتطياً حماره فرفع ذراعه وحيّاني. ثم ترجّل وتوجّه إليّ.

قال لي وهو ينظر إلى كون: "ان كلبي في حوزتك. وأنا مدين لك بالامتنان لاني ظننته نافقاً. لكنك حافظت عليه أفضل مما يجب. وستمضي أيام قبل أن يعود ناحلا بحيث يمكنه أن يصطاد مجدداً."

فأجبته: "الكلب كلبي. فلولاي لقضى."

قال الرجل: "كلّا. فهو كلب جيّد وعليّ استعادته. لكنني سأعوضك عناء السهر عليه."

ونظرت إلى كون الجالس بيننا وكأن الامر لا يعنيه. وفكّرت: ابداً، لن أسمح بعودتك الى نمط الحياة ذاك.

واستدرت نحو الرجل قائلا: "بل أنا من سيعوضك فقدانه."

فصاح: "إنه كلبي المفضّل."

واحتدمت المشادة بيننا ثم حدّد الثمن وانتقلت النقود من يدي الى يده. وهكذا أصبح كون لي حقاً. ووقف الرجل وتصافحنا وهو ينظر الى كون ويهزّ برأسه. ثم توجّه

الى حماره بخطى واسعة فامتطاه. وقال ضاحكاً وهو يبتعد: "أنصحك بأن تبقيه مربوطاً."

وقلت في نفسي: "فعلا." ووضعت ذراعي حول كلبي وضممته الى ركبتي.

تلك الليلة رقد كون في مضجعه المألوف على جلد الظبي قريباً من النار، ولكن في الصباح لم أجده. فتملّكني غضب شديد. كنت متأكداً من أن الرجل عاد ليلا وأغراه ليتبعه. سألحق به، فمن السهل اقتفاء آثار حماره في الرمال.

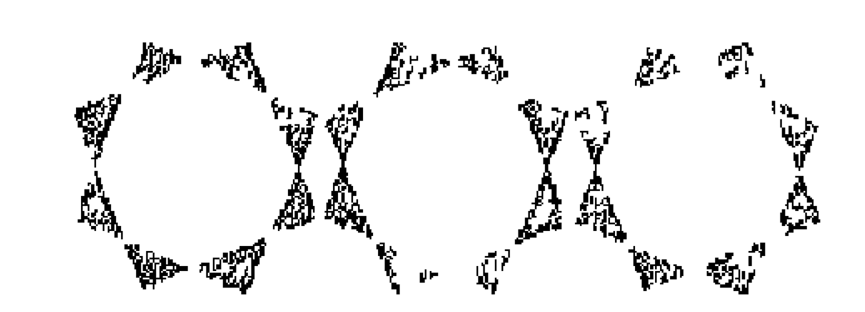
وتحضّر رجالي السود متلهفين لمساعدتي. وبينما أنا أقود العربة كانوا يركضون متتبعين الآثار. ولكن سرعان ما اتضح لنا أن الرجل لم يعد. فلقد غادرنا كون بملء ارادته.

لم يلزمنا وقت طويل لنبلغ المكان الذي خيّم فيه الصيادون. وهناك رأيت كون. فترجلت من العربة وفي يدي حبل لأربطه بينما راح صاحبه السابق ينظر إليّ وكأنه وجد المشهد مسلياً، وقال لي: "نصحتك بأن تربطه."

ومشيت نحو كون الذي حيّاني هازاً طرف ذيله في الرمل. عندئذ رميت الحبل وأخذت أذنيه بيدي وقلت له: "لترافقك السلامة يا رفيقي!"

والتقطت الحبل وعدت الى العربة.

جوستان أوركار ■



التأمل يحمي القلب

الى الحمية (الرجيم) والتمارين الرياضية والفحص الطبي، هل التأمل يساعد في الوقاية من امراض القلب؟

الاختصاصي الايطالي بامراض القلب فرانكو فونتانيني يجيب:

"انني متأكد من ان التأمل يساعد، لذلك أؤيد ما ورد في مخطوطة "دعاء القلب" للقديس غريغوريوس التي كتبها في سيناء في القرن الرابع عشر ووجدت في دير جبل آثوس. وهو يقول فيها: لكي يسهل عليك الوصول الى حالة السكينة الداخلية، اجلس لوحدك في مكان هادئ والتزم عدم الحركة وثبت النظر العقلي نحو القلب، حتى يشترك العقل مع القلب اولا في ترديد الصلاة ثم يدخل العقل في النهاية تحت سيطرة القلب ويتوقف حينئذ عن تسلطه. والتدريب بهذا الوضع لا يخرج عن كونه محاولة واجتهاداً للتحرر من العوامل الخارجية والداخلية الضاغطة على العقل والنفس والتي صارت جزءاً ملازماً لنشاط الانسان وكأنها طبيعة له تعمل على حرمانه الهدوء والسكينة الروحية التي كانت أصلا من صميم طبيعة النفس البشرية. وبترديد اسم الرب او آية صغيرة تعود النفس البشرية والذهن البشري الى حالتهما الاولى حالة السكينة الروحية التي فيها يستطيع ان يسمع الانسان ويرى صوت الله ونوره في القلب، اي حالة تأمل."



حديقة أفكار

■ الامّة التي تجلّ شيئاً أكثر من الحرية تخسر حريتها. وهي ان قدّرت الرفاه والمال اكثر فانها تخسرهما أيضاً.

و.سومرست موم، روائي وكاتب مسرحي بريطاني

■ اللباقة هي فن اقناع الناس بأنهم يعلمون أكثر مما تعلم.

ريموند مورتيمر

■ إذا استطعت تمضية بعد ظهر ضائع بأسلوب تافه تماماً، تكون قد تعلمت فن الحياة!

لين يوتانغ، كاتب وفقيه لغوي صيني

■ تبقى شاباً، أيا تكن سنك، ما دمت تخطط للغد.

س.ر.

■ هناك ثلاثة أشياء، القليل منها نافع والكثير منها ضار: الخميرة والملح والتردد.

ت.ل.

■ الضمير هو ذلك الصوت الداخلي الذي لا يتكلم لغتك.

م.ك.

■ العمل الذي لا يستأهل الارهاق لا يستحق المتابعة.

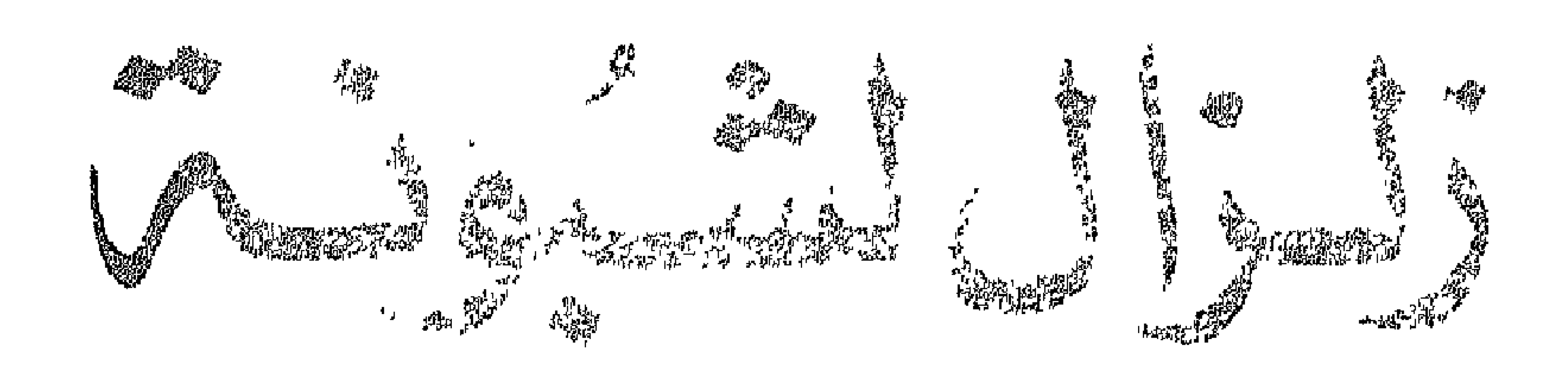
هنري ماسكلز

■ انّه لأمر عجيب أحياناً كيف أن عرض قضية ما على الورق يساعد في رؤية الطريق، ليس بالضرورة طريق الخروج ولكن بالتأكيد طريق الدخول.

أ.س. بنسون

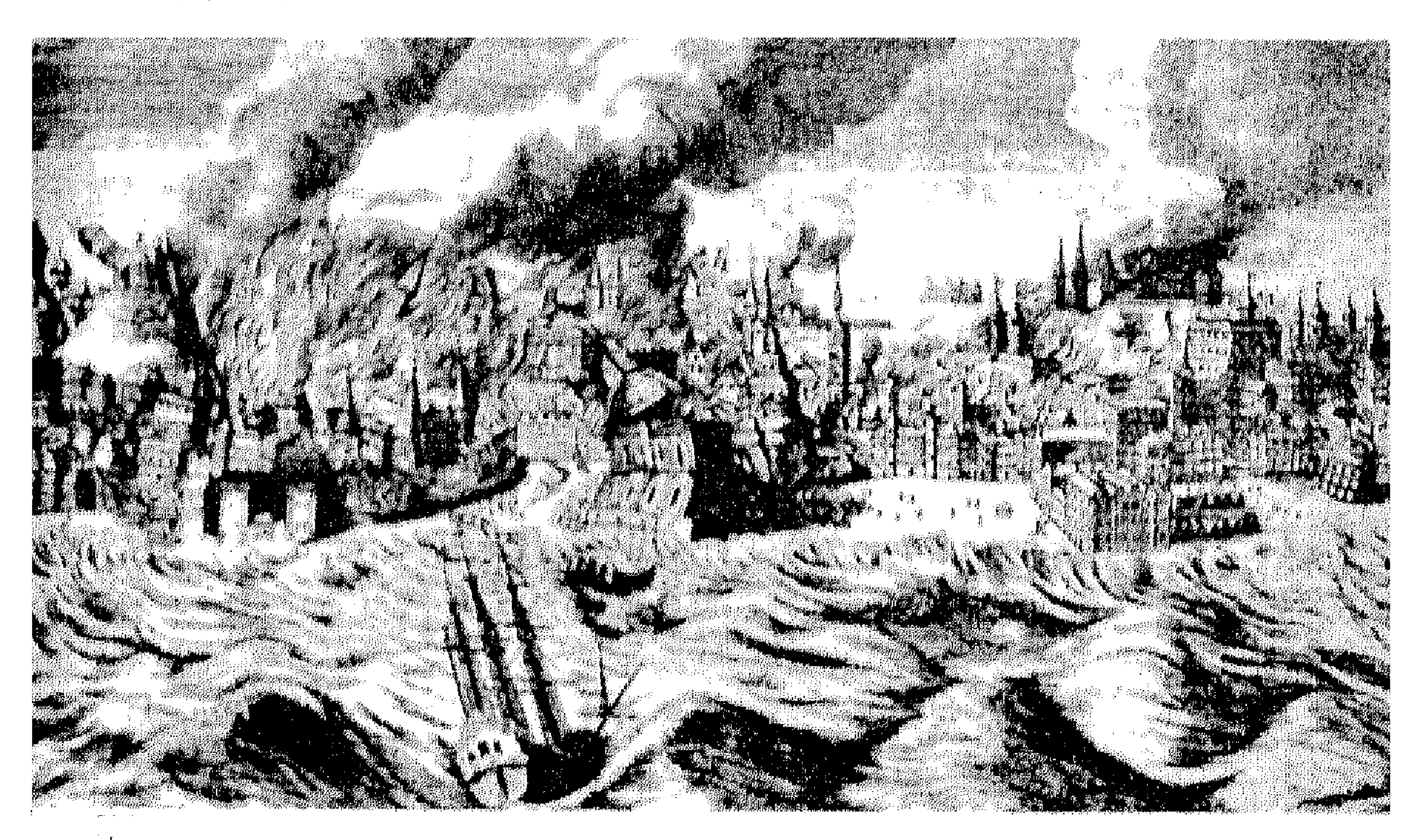
■ بعد الصمت، فإنّ أقرب الامور الى التعبير عمّا لا يمكن وصفه هو الموسيقى.

ألدوس هكسلي، روائي وناقد بريطاني



زلزال لشبونة

انه أعنف زلزال في تاريخ أوروبا. وهو حصل قبل ٢٣٠ سنة لكن آثاره لم تمحِ بعد



لشبونة خلال زلزال ١٧٥٥. وهذه واحدة من مجموعة منحوتات لفنانين اجانب مجهولين.

لشبونة في الاول من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٧٥٥.

جلس تاجر بريطاني الى طاولة مكتبه يخط رسالة، وفجأة رأى الطاولة تنزلق امام عينيه وتستقرّ في الجانب الآخر من الغرفة.

وظن ربان سفينة كانت تعبر نهر تاغوس أن سفينته جنحت عندما اهتزت وكاد أن ينطرح ارضاً.

Illustrations: Courtesy of the Museum of the City of Lisbon / Photos: João Freire

خلال دقائق نكب سكان لشبونة البالغ عددهم ٢٥٠ ألفاً باحدى اسوأ الهزات الارضية التي عرفها التاريخ، وخلال هذا القرن الذي بدأ فيه العلماء يقيسون قوة الزلازل علمياً، لم تسجل أي هزة أكثر من ٨،٩ درجات على مقياس ريختر(★). أما قوة الزلزال الذي ضرب لشبونة فقدرها الخبير ج.أ. ايبي بأضعاف هذا الرقم.

عقب الهزة اجتاحت المدينة أمواج مدّية وعواصف نارية قضى فيها اكثر من ٣٠ ألف نسمة وربما ٦٠ ألفاً. وتحوّل قلب احدى أروع مدن العالم ركاماً أسود.

والمضاعفات التي نتجت من زلزال لشبونة ما زال تأثيرها ملموساً حتى اليوم. فالمدينة كما نعرفها أعيد بناؤها بعد الكارثة التي تسببت في اندثار أعمال فنية تعود الى عصر النهضة ولا تقدّر بثمن، ومخطوطات لو بقيت لغيّرت النظرة الحديثة الى الحقبة التي سبقت كريستوفر كولومبوس. وشكلت الهزة حافزاً للعلماء على السعي الى فهم أعمق لتحركات الارض، كما اشاعت نوعاً جديداً من الفكر الساخر والتهكمي بين فلاسفة العصر.

ومع أن الهزات الارضية عرّف بها كل من فك الحرف في القرن الثامن عشر، الا أنه لم يسبق أن دمر زلزال مركزاً للحضارة الغربية. ومن بين جميع المدن بدا كأن لشبونة هي الاقل عرضة لهذا المصير. فتلك المدينة تعتبر الى اليوم خارج نطاق المناطق المعرضة للزلازل الخطرة.

"البحر يقترب!" – بنيت لشبونة على منحدرات التلال الصخرية المشرفة على ميناء هادىء. وكانت فيها منازل يعود تاريخها الى القرن الثاني عشر. أما كنائسها وكاتدرائياتها فلقد عمّرها شعب تقي. وحاطت المدينة هالة من السلطان. وبفضل الذهب الذي تدفق عليها من البرازيل ومهارة ابنائها التي لا تضاهى في الملاحة، أصبحت لشبونة أهم مركز تجاري في العالم.

وفي صباح الاول من نوفمبر (تشرين الثاني) كانت السماء زرقاء صافية والشمس ترسل أشعتها الذهبية، وكان الطقس دافئاً والهواء عليلا. وكان الملك خوسيه الأول والعائلة المالكة أمضيا الليلة في القصر الريفي في بيليم، وهو

(★) مقياس ريختر يسجل قوة الزلازل متدرجة من صفر الى ٨،٩ درجات. وكل زيادة من درجة واحدة تعني زيادة قوة الزلزال عشرة أضعاف.

أمر اعتبر في ما بعد عناية الهية. الا أن معظم أهل لشبونة ارتدوا ذلك النهار أفخر ثيابهم استعداداً للتوجه الى الكنائس ومنها سان فيسنتي دي فورا.

وما حدث ذلك الصباح في تمام العاشرة الا ثلثاً رواه قبطان بريطاني مجهول هو نفسه الذي شعر بالارتجاج الغريب فيما سفينته راسية في نهر تاغوس. وهو كتب: "راحت المباني الاكثر ارتفاعاً تتداعى وتنهار وسط زئير يصم الاذان، خصوصاً بين سان بول وبيرو ألتو وشرقاً في محاذاة النهر وصولا الى المشنقة وشمالا الى سان خوسيه وروسيو. تلك المناطق جميعها مُسحت تماماً في الهزات الثلاث التي تعاقبت." واستغرق ذلك كله نحو عشر دقائق. ورأى القبطان "جميع القصور والكنائس العظيمة تتصدع وتنهار."

أما السيد بلير، التاجر الذي كان يخط رسالة في مكتبه في الطبقة الاولى من أحد مباني المدينة، فسمع أصواتاً "كهزيم الرعد" وشعر بالبناء يهتز وسمع جدران الغرف في الطبقات العليا تنهار.

وهو كتب: "كنت متأكداً أنني سأقضي سَحقاً. فالجدران من حولي كانت تترنح على نحو بعث الرعب في قلبي. ثم بدأت الشقوق تظهر فيها ورأيت أطراف دعائم السقف، كل ذلك دفعة واحدة. واكفهرت السماء فجأة ولفّ المكان ظلام مطبق حجب عني الرؤية. ذلك الظلام الغريب، الملموس تقريباً، سببته سحب الغبار والكلس المنبعثة من المنازل المنهارة ومن تلك الهزة العنيفة.

"واندفعتُ نحو ضفة النهر طلبا للخلاص. ووجدت هناك حشوداً من الناس جاثمين على ركبهم يبتهلون الى الله ويقرعون صدورهم يلتمسون الرحمة والهلع مرسوم على وجوههم. فجأة قطعت الصلوات صرخة: البحر يقترب! اننا هالكون! وظهرت موجة ناطحت السماء وراحت تقترب وهي تزبد وتكسّرت حولنا جارفة معها كثيرين. ولو لم أتشبث بعارضة ملقاة في الشارع لجرفتني المياه قبل أن تعود الى طبيعتها بالسرعة التي اندفعت بها."

بطل الساعة – على امتداد ١١ كيلومتراً في محاذاة الضفة الشمالية لنهر تاغوس وضمن كيلومترين ونصف كيلومتر الى الداخل كان الدمار سريعاً وشاملا ورهيباً. وتحولت الكاتدرائيات قبوراً جماعية من صخر. وعندما بدأت الثريات تهتز بعنف هرع المصلون الى ساحة صغيرة أمام كاتدرائية سانتا ماريا ليجدوها تغصّ بمن سبقهم اليها من جموع فرّت من الكنائس طلباً للنجاة. ومع الهزة الثانية اختفت الساحة ومن فيها.

من لم يقضِ بالهزة في لشبونة ذاك النهار قضى بالنار التي أشعلتها الشموع المضاءة في المذابح والجمر المعد للطهو. وتجمّع اللهب في عاصفة نارية نفخت فيها ريح شمالية شرقية. واستحال على فرق الاطفاء الوصول الى الحرائق، وعاقها الركام الذي سدّ الشوارع، فظلت النار متقدة أسبوعاً كاملا.

تجمّع الناس في باحات المدينة وساحاتها المفتوحة هربا من النار ومن الحجار المتساقطة من الابنية المنهارة.



مركيز بومبال، لوحة لفنان مجهول.

ونصبوا شوادر أقاموا تحتها. وفي بيليم أخلت العائلة المالكة القصر الحجري واقامت في خيمة ريثما ينتهي العمال من تشييد قصر خشبي. ولم يكن أحد مستعجلا الرجوع الى المنازل، اذ ظلت الارض تهتز طوال تسعة أشهر بعد الزلزال الكبير. وسُجّلت ٥٠٠ هزة قبل أن تهدأ الأرض وتستكين.

في تلك الاثناء سيطر على الملك ذهول أربكه. غير ان وزيره سيباستياو خوسيه دي كارفالو ايميلو الذي كان في السادسة والخمسين من العمر وأصبح في ما بعد المركيز بومبال، غدا بطل الساعة. فراح

وال ايام يجوب المدينة في عربة كسوها الرماد متفقداً الاضرار ومعطياً تعليمات ومصدراً الاوامر. وهو أمر بدفن جثث وأصدر مرسوماً بانزال عقوبة شنق الفوري بكل من يقترف أعمال سلب والنهب. وفي الايام القليلة التي لت الكارثة نُفّذ ٣٤ حكماً بالاعدام. والى لك أمر الوزير بمصادرة المواد الغذائية لتي تحملها السفن الراسية في الميناء توزيعها على الناجين، وانتشر الجنود ول المدينة لمنع فرار العمال الذين حتاج أعمال الانقاذ الى خدماتهم.

وفيما بومبال تلملم جروحها وتستعيد النظام بعد الفوضى التي عمّت، بدأ العالم الغربي يعي فداحة الكارثة التي حلت ويشعر بهول الصدمة التي أحدثتها خسارة أعمال فنية مهمة وجزء من المعرفة ما زال العالم يفتقده حتى اليوم. ففي قصر الماركيز دي لوريكال ذهبت ٢٠٠ لوحة طعاماً للنار، وبعضها لفنانين عظام مثل تيتيان وكوريجيو وروبنز، وتحوّل نحو ١٩ ألف كتاب ومخطوطة رماداً. وأتت النار على ٧٠ ألف كتاب في قصر الملك. وفي أماكن أخرى فقدت وثائق وخرائط وجداول إيجار لو بقيت لألقت ضوءاً على الرحلات الاستكشافية التي قام بها البرتغاليون الى الشرق والعالم الجديد (أمريكا).

آراء مختلفة – قبل الزلزال كان المناخ النفسي السائد بين المفكرين أصحاب "العقول النيّرة" في القرن الثامن عشر مزيجاً من التفاؤل والايمان بطروحات الفيلسوف الالماني غوتفريد فيليم بارون

فون ليبنز، أن عالمنا هو أفضل عالم ممكن. ومع سقوط لشبونة هوى الصالح الى جانب الطالح. والتقط موضوع الكارثة الفيلسوف الشكوكي الفرنسي فولتير الذي عزاها الى أسباب طبيعية مستخلصاً أن العالم ليس مثالياً ولا هو بالكمال الذي نظن. وفي روايته الشهيرة "كانديد" يُصاب البطل وأستاذه بانغلوس بجروح وهما بين الخرائب في لشبونة. ويقبض عليهما رجال محكمة التفتيش بتهمة الهرطقة. ويجلد كانديد ويشنق بانغلوس على مرأى منه، فيقول: "إذا كان هذا أفضل عالم، فما شكل العوالم الاخرى يا ترى؟" وقضت كتابات فولتير وسواه من الشكوكيين على مناخ التفاؤل وغيّرت مجرى الفكر الفلسفي.

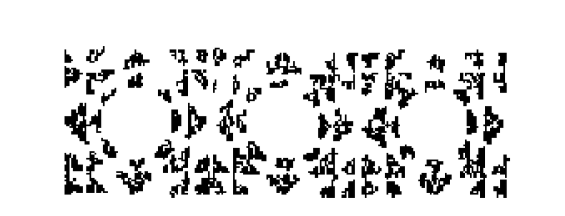
وفيما الفلاسفة يتحاورون حول مغزى الزلزال أكبَّ العلماء على دراسة أسبابه. وفي العام ١٧٦٠، بعد مراجعة التقارير الواردة من لشبونة، خلص الفلكي البريطاني جون ميتشل الى أن "الزلازل أمواج يحدثها تحرُّك الكتل الصخرية على عمق أميال في جوف الارض." ومع أن العلماء لم يتابعوا عمله إلا بعد قرن، فان دراساته كانت المفتاح لفهم الزلازل.

على أن معظم الناس رأوا في زلزال لشبونة تحذيراً للبرتغال لانها سمحت لمحكمة التفتيش، التي انهار مركزها الرئيسي في روسيو مع أول هزة، بالاستمرار في تحقيقاتها. ورأى آخرون في الزلزال ادانة للترف الذي رفلت به لشبونة.

ومنذ العام ١٧٥٥ يحتفل أهالي بلدة كاسيلهاس كل سنة بذكرى الزلزال وما رافقه ويسير الالوف في موكب ويتذكرون أمواتهم. ولهذه المناسبة، وتكريماً للناجين، تعزف الفرق الموسيقية وتطلق الاسهم النارية وتقرع الأجراس وتختلط أصواتها بصفارات المراكب.

ومع الغموض الذي لا يزال يحوط تحركات الارض، ربما كان هذا الاحتفال أفضل طريقة لاحياء ذكرى حادث ما زال يعتبر أحد أهم التحدّيات في التاريخ.

صاموئيل شراينر الابن ■



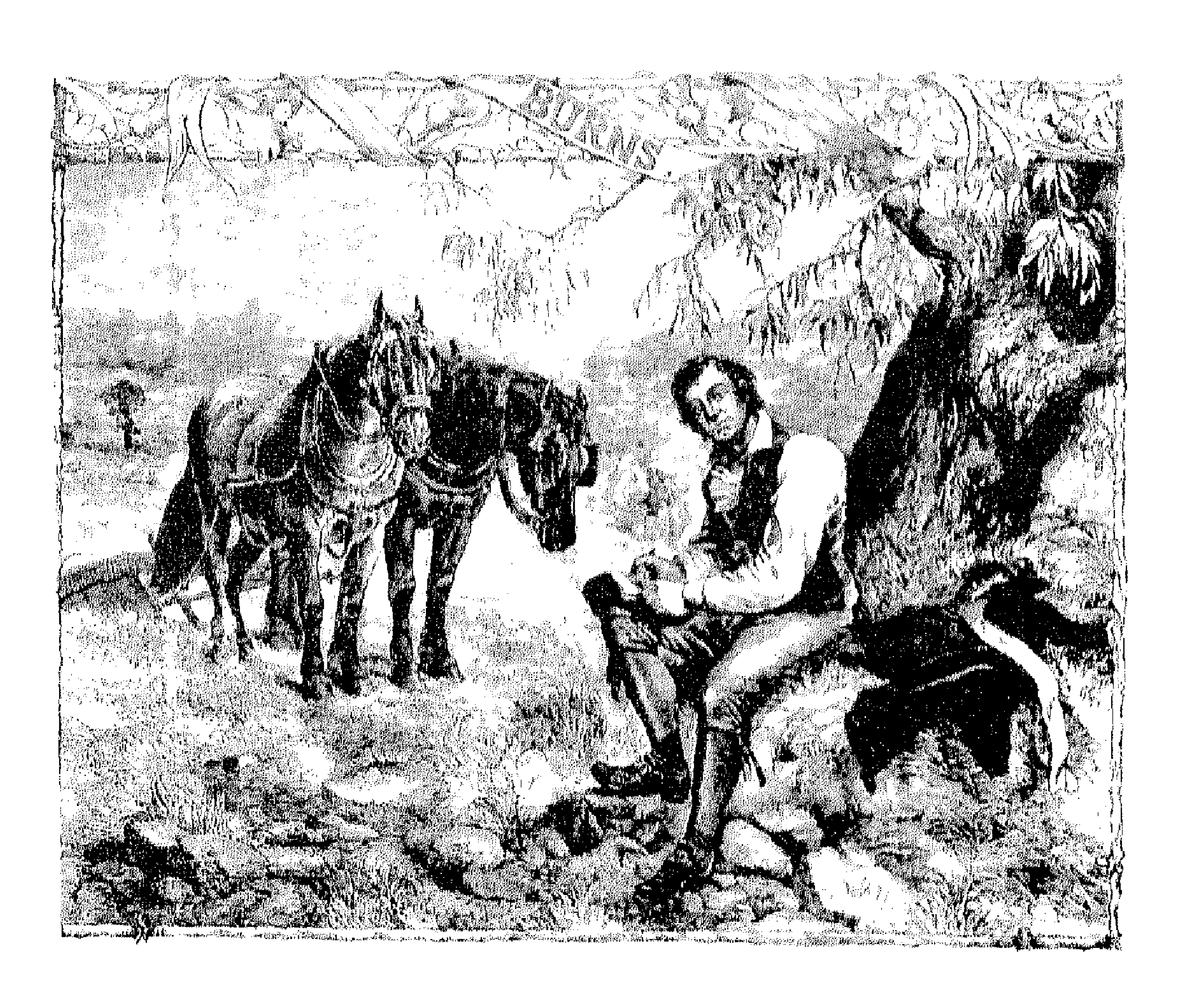
أسباب قاهرة!

ذات صباح كان عدد من رجال الاعمال الذين يركبون القطار الى أماكن عملهم ينتظرون في المحطة حين تعالى صوت مدير المحطة عبر المذياع. وتهيأ المسافرون لسماع الاعتذار العادي لتأخر الانطلاق. لكن صوت المدير فاجأهم: "لأسباب خارجة عن ارادتنا، سيتحرك قطار الساعة السابعة في الموعد المحدد تماماً."

ا.س.

الروح المرحة أجمل ثوب يمكن أن يرتديه المرء.

وليم ثاكري، روائي بريطاني



قصيدة إلى فأر

لقاء فاجع في حقل اسكوتلندي تعصف به الريح
ألهم الشاعر احدى القصائد الأكثر حناناً في الادب العالمي

يقع الحقل على حافة مرتفع تذروه الريح في منطقة ارشاير في اسكوتلندا. وعندما نظرت فوق شجيرات الزعرور الانيقة رأيت جرّاراً أصفر يقطر ناشرة سماد تتجول في الحقل وتذرّ السماد على العشب. ووراء الحقل رأيت مزرعة موسفيل الحجرية العتيقة بزريبة أبقارها ومخزن تبنها.

في هذا الحقل الخالي من أسباب الراحة بنى فأر الحقل قبل مئتي سنة مأوى يقيه عصف الشتاء. ولكن يبدو أنه شعر يوماً بهزّة أرضية عظيمة. ففي أسفل الحقل كان حصانان كبيران مسرجان ينتعلان حوافر حديداً ويجتازان بتثاقل الارض الموحلة المشبعة بالماء. وكان فلاح شاب صاحب حاجبين

Photo: Historical Pictures Service Inc.

أسودين يسير في ثلم يشقه محراث يوجهه هو بقوة منكبيه. وراح الفلاح يكدح مقترباً مع فريقه الى أن... "كراش"!
ولاذ الفأر بالفرار اذ شطر رأس المحراث سريره. وراح الفلاح ينظر اليه وهو يهرب مذعورا، وامتلأت عيناه السوداوان بنظرة تأمّل وتفكير. وفي ذاك المساء، في ضوء شمعة، جلس الفلاح روبرت بورنز الى طاولته تحت قش سقف بيته الصغير في موسغيل ونظم واحدة من أحبّ القصائد الى القلوب، وهي بعنوان: "الى فأر قُلب مأواه بالمحراث في ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٧٨٥."
أما اليوم فقد انتقلت المزرعة في موسغيل الى أليك ويلي (٦٣ عاماً) الذي امتلكها جد جده في منتصف القرن الماضي. وتعلّم أليك القصيدة في المدرسة مثل كلّ فتى وفتاة في اسكوتلندا ومثل أولاد كثيرين من هونغ كونغ الى لنينغراد. وأنا ايضاً تعلّمتها في المدرسة في مدينة تنيرانجي بنيوزيلندة. لكنني لم أسمع قط أبياتها الشهيرة تنشد بالنكهة الكاملة للهجة أليك من ارشاير.

ويل لك أيها الصغير الهارب.
أي خوف عظيم يعتمر في صدرك!

اعتذار رقيق – أصبح روبرت بورنز شاعراً في عين العالم بأسره. ونقلت أغانيه وقصائده الستمئة، بما فيها "الى فأر"، الى ٣٧ لغة على الأقل منها الصينية والبنجابية. ويحتفل العالم كل سنة بذكرى ميلاده في الخامس والعشرين من يناير (كانون الثاني) ١٧٥٩. فتقام الامسيات المرحة حيث يتناول الناس الطعام والشراب ويلقون الخطب وينشدون الأغاني، ويحيّون عبقرية بورنز الادبية الخالدة ولباقته المرحة في صنع الصداقات وروحه النزاعة الى الاستقلال.
كان بورنز رجلا محبوبا أولع به الكثيرون لانه كتب وقدمه راسخة في الارض بين اصدقائه وجيرانه الذين شاطروه قدره الشاق في تلك الارض البائسة والايام الحالكة. كتب بقلب مفعم بالحرارة والتفهّم حتى تكاد تسمع خفقاته، وخصوصاً في قصيدة "الى فأر".
فمن ناحية، تعتبر القصيدة اعتذاراً رقيقاً الى فأر أرعبه محراث الفلاح وطرده من منزله. ومن ناحية أخرى، هي تلميح حنون الى اتحاد الانسان بالطبيعة والصلة التي تربطه بفأر.

كم هو شديد ذاك الأسف الذي ينتابني
لان الانسان حطم بسلطانه
اتحاد الطبيعة الاجتماعي.
وراه يبرر ذاك الرأي السقيم
الذي دحلل لك ان دروّعني هجيدا
أنا رفيقك المسكين الذي ولدته الارض،
أنا السائر مثلك الى الهلاك!

كفاح مر – في منطقة الاراضي المنخفضة على بعد ساعة في السيارة جنوب غرب غلاسكو تظهر أرض بورنز في حلّتها الريفية وقد طوتها الخضرة ودرجت على جنباتها الجداول. أما الحجر الرملي الخاص بمنطقة بالوشمايل فبني اللون أشقر يضفي على المنازل الكئيبة ذات السقف القرميدي الاسود اشعاعاً حاراً.

وأهل المنطقة يتحلّون هم أيضاً بخدود متوردة.

وطيف الشاعر في كلّ مكان. فمنطقة ألواي يزورها سنوياً ٩٠ ألف سائح فيشترون فطائر الشوفان وتذكارات من مركز بورنز ويؤمون كوخ القش الذي ولد فيه الشاعر. وعلى مقربة منه جسر بريغودون الصغير ذو القناطر الذي يعود الى القرن الثالث عشر. فهذا الجسر في قصائد بورنز القصصية الرائعة يشهد هروب تام أوشانتر من الساحرات الشريرات بعدما فقدت فرسه ذيلها. وكل فصل من حياة الشاعر دوّن باعتزاز على الابنية والمتاحف والنصب التذكارية.

اما مزرعة موسغيل فليست من الاماكن التي تسهل السلطات السياحية زيارتها، لكن مئات الاشخاص يقصدونها. وفي العام ١٨٧٢ افتتح كتاب عائلة ويلي الضخم المغلّف بالجلد والذي يدوّن فيه الزوار أسماءهم. وهو يدل على أن المعجبين ببورنز أتوا من أنحاء العالم على متون السفن والبواخر وطائرات الجمبو ليقفوا في الحقل حيث اكتشف الشاعر الفلاح الفأر.

لكنك لا تشعر باندفاع قلب الشاعر والحرارة النابعة منه إلّا اذا نظرت الى موسغيل بمنظار القرن الثامن عشر. ففي ذاك الحين كانت الامور سيئة بالنسبة الى أناس كثيرين. فالحرب المستعرة ضد الثوار الامريكيين استنزفت الاقتصاد. وكان اصحاب الارض يفرضون ايجارات مرتفعة على أراض جرداء حافلة بالمستنقعات. وكان انتصار بورنز في الارتفاع فوق قدره الشاق. لكنه في العام ١٧٨٥ كان لا يزال يفلح ثلماً وحيداً. ولمّا بلغ السادسة والعشرين من عمره لم يكن وصل الى عتبة مجده، وكان مستقبله لا يبشر الا بالقلق والكفاح.

السنوات العجاف – قبل سنتين من ذلك امتلك شخص آخر مزرعة العائلة الواقعة على بعد خمسة كيلومترات في لوكليا، وتوفي والد بورنز مفلساً.

واستطاع روبرت وأخوه أن ينقذا من الكارثة ما يكفي للاستقرار في مساحة ٤٨ هكتاراً في موسغيل على التلة وعلى بعد كيلومتر ونصف كيلومتر من قرية موشلين. وكان المكان بارداً وغير مثمر، وكان في المزرعة ثمانية أفواه يجب اطعامها، اضافة الى ثلاثة عمال فتيان ينامون في الاسطبل. واذا نظرت اليوم الى بقرات أليك ويلي السمينة المرقطة بالابيض والبني، صعب عليك أن تتصور كم كانت الحياة مقيتة أيام بورنز.

فنقص العلف شتاء كان يعوق نمو بعض البقرات، الامر الذي حتم حملها لاخراجها من الزريبة في فصل الربيع. ذاك كان "وقت التنشيط". وكان الحليب نادر الوجود فكان الأهالي يحضّرون العصيدة بالماء. أما السكر والشاي فكانا من الكماليات المقصورة على الاغنياء. ونمت نبتات الشوفان واهنة هزيلة، ومع أن بورنز كان مزارعاً كفياً فانه خسر نصف غلّته الاولى في موسغيل بسبب البذور السيئة. وها هو يحرث في جذامة غلّة السنة الثانية وقد أمعن البرد والمطر في اتلافها اسبوعاً بعد اسبوع.

وكان بورنز ينتصب في حقله ببنيته

الصلبة وشعره الطويل وسمات وجهه أكثر فظاظة مما تبدو في رسومه، ما عدا عينيه السوداوين الكحيلتين. ولطالما شوهد يفرك كتفيه المفتولي العضلات وكأنه يريحهما من ألم ينخرهما. وكان يعاني أيضاً نوبات اغماء، وقد نصحه الطبيب بأن يغطس في الماء البارد. لكن ذلك كان يسيء إلى صحته لانه كان مصاباً بالحمى الرثيية (حمى الروماتيزم) التي ابتلاه بها سوء التغذية والكدح.

وبدا انه حكم على بورنز بصراع غير مجد مع الارض وبأن يكون أبداً فلاحاً معدوم الحال. حتى فأر الحقل الذي قلب مأواه في الثلم كان أفضل منه حالاً، وفاجعته لم تكن سوى فاجعة موقتة:

ولكن آه! ها أنا أحسب
حظي غداً في النجاح والسعادة.
ومع أني لا أرى أبعد من اللحظة،
فاني أتكهن وخوفي كبير.

قلب نابض - غير أن الخريف كان بالنسبة الى روبرت بورنز فصل النشاط والحيوية. وعلى رغم أعبائه كان الشعر يفيض منه. وفي الامسيات عندما لم يكن يهبط التلة بحثاً عن الرفقة في موشلين، كان يبتلع عشاءه ثم يتسلّق السلم الى العلّية حيث يجلس الى مكتبه تحت المنور، فيمسك قلمه بالبراعة التي يقود بها محراثه. وكان يتحدث باللغة المحكية، لكنه تلقّى دروساً في الادب الانكليزي الكلاسيكي. فراح ينظم القصائد التي صنعت شهرته الادبية بانكليزية ذات اسلوب مباشر منعش تنمقه بين الحين والآخر ألفاظ باللهجة الاسكوتلندية. ويتحلى معظم هذه القصائد بالفطنة الشديدة والسخرية اللاذعة كقصيدتي "صلاة ويلي" و"الوسيم التقي". أما هو فكان يؤمن بطيبة القلب وكرم الاخلاق.

وفي الصيف الذي تلا ذاك الشتاء الحافل بالكتابات الخصبة، عمد صاحب مطبعة في كيلمارنوك الى طبع ٦١٢ نسخة من كتاب بعنوان "قصائد، معظمها باللهجة الاسكوتلندية، للشاعر روبرت بورنز." فلاقى هذا المجلد الناحل الذي يضمّ ٤٤ قصيدة بما فيها "الى فأر" نجاحاً فورياً باهراً. وما لبثت "رابطة الادب" ان كرّمت الشاعر في ادمبره. وفي السنوات القليلة التي تبقت له أخذ بورنز ينفخ روحاً جديدة في هيكلية الاغنية الشعبية الاسكوتلندية ويكتب قصائد من الشعر الغنائي.

لكن نهايته أتت مبكّرة ومفجعة اذ قضى بمضاعفات الحمى الرثيية التي اصابت قلبه. فمات عن ٣٧ عاماً، لكن قلبه ما انفك ينبض في أغنيات اسكوتلندا وفي الابيات الصريحة والرقيقة التي نظمها وهو يحرث أرض الحقل الرطب الذي تذروه الريح، حيث التقى الفأر الصغير في ذاك اليوم البارد من شهر نوفمبر (تشرين الثاني).

جون دايسون ■

كثيرون من المتهكمين يتوهمون انهم اغنياء بذكائهم، بينما هم فقراء بكياستهم.

ل.ب.

قصة قصيرة

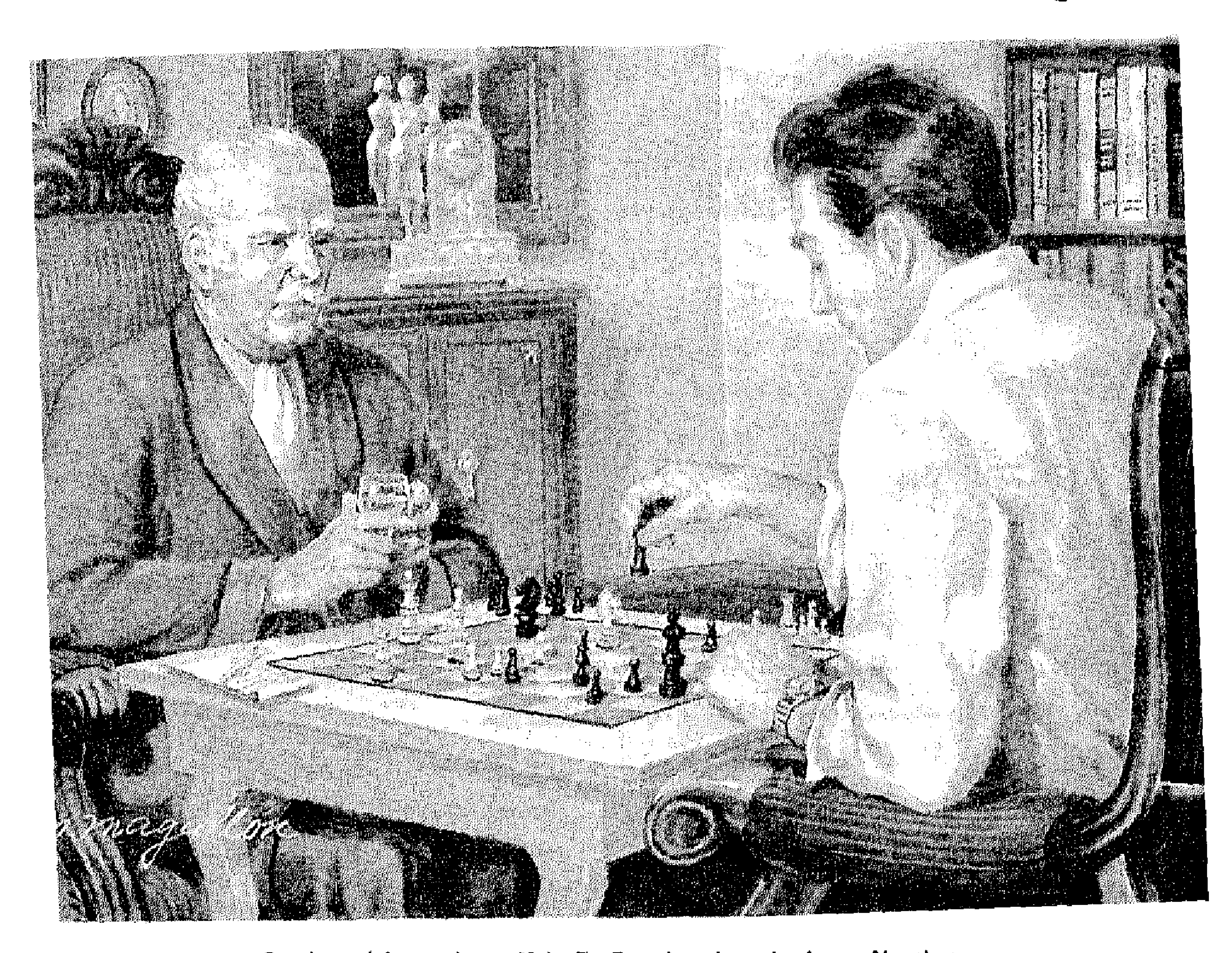
جريمة في القصر

كرهت خالي بكل جوارحي. فبحثت عن حل لمشكلتي... ووجدته

دسست له السم. بعد ساعتين أكون طليقاً. تركت خالي نستور في الساعة العاشرة ليلا. وخز في وجنتي. شفتاي ساخنتان. ثم سكن روعي وذهبت أتنزه.

شعور بالسعادة والانعتاق. غييرمو سينتفع هو الآخر. غييرمو المسكين، البريء جداً. كان علي دوماً أن أفكر وأنفذ عن كلينا... منذ ذلك اليوم الذي اصطحبنا فيه الخال الى بيته. كان قصراً، لكنه خال من الحب. ليس فيه سوى رنين العملات المعدنية.

كان لسان حاله: "عليك أن تعتاد



Condensed from «Jaque Mate En Dos Jugadas,» by Isaac Aisenberg.
This material appeared in «Diez Cuentos Policiales Argentinos,» © May 1953
Published by Libreria Hachette, Buenos Aires. Illustration: Victor Magallon

الاقتصاد لا التبذير. فيوماً ما سيكون كل هذا لك. لكن اليوم الذي طال انتظاره لم يأتِ، على رغم أن خالي كان مصاباً بمرض القلب."

وذات يوم وقع غييرمو في الغرام. ولم ترق الفتاة خالنا وقال: "انها ليست كريمة الاصل، ها!" وجاءت اشارة غييرمو الى خلالها النبيلة غير ذات جدوى، فالعجوز عنيد يطلق الأحكام اعتباطاً.

كانت طباعه وطباعي متضاربة. فهو أصر على أن أحوز شهادة دكتوراه في الكيمياء الحيوية. وكنت أصبحت متضلعاً من لعبة البوكر وسباق الخيل. ولم يزودني الخال المال لممارسة هذه الرذائل. وتعين علي أن أستغل كل براعتي لاستخراج البيزو(*) منه.

وكانت احدى وسائلي للحصول على المال أن أتحمل ألعابه الشطرنجية التي لا تنتهي. فهو اذا فاز أطال نهاية اللعبة، مدركاً اني في عجلة من أمري كي أذهب الى النادي. كان يستطيب بؤسي وهو يتذوق الشراب المنشط.

العجوز العنيد

ذات يوم قال لي الخال متلطفاً: "أرى أنك شغوف بالشطرنج، مما يدل على أمرين: أنك ذكي، وأنك تافه عديم القيمة. في أي حال، سيلقى شغفك مكافأة. فأنا عادل، ولكن بما أنك لن تأتيني بشهادة، فسنعدّ منذ الآن مدوّنة موجزة عن كل المباريات. وسيحتفظ كل منا بسجل ونقابل بين السجلين. فما رأيك؟"

العرض فحواه بضع مئات بيزو. لذا قبلت. ورحنا ندوّن نقلاتنا كل ليلة.

الآن انتهى ذلك كله. فعندما يجد المرء نفسه في زقاق غير نافذ، يبحث العقل عن السبيل مرة اولى ثم ثانية فيجده. وضعت بضع قطرات من خلاصة عشب سام في قدح الشراب الذي يحتسيه خالي فيما نحن نتحدث. كان لطيفاً، وأعفاني من الشطرنج تلك الليلة. قال: "سألعب مباراة بمفردي. أود أن أكون وحدي. لقد صرفت الخدم هذه الليلة. وفي وسعك أن تذهب."

السم مفعوله بطيء، ينفذ بعد ساعة او اكثر. والنتيجة نوبة قلبية من دون اي امارة للجريمة. وسيمهر الدكتور فيغا شهادة الوفاة بتوقيعه. ولكن ماذا اذا افتضح أمري؟ هذا مستحيل!

وماذا عن غييرمو؟ أمره مشكل. وفيما أنا أغادر القصر كان غييرمو يهبط السلم وقد بدا مهموماً.

سألته: "ما الخطب؟"

أجاب: "لقد سئمت حياتي. العجوز يدفعني الى الجنون. فمنذ أرضيته أنت بلعب الشطرنج بدأ يزعجني. وماتيلد..."

– ماتيلد؟ ماذا دهاها؟

"لقد أنذرتني: اما خالي واما هي."

– حسناً، اخترها هي.

وحدجني يائساً. الأحمق المسكين لن يلتمس سبيلا الى حل مشكلته.

وصرّ بأسنانه: "كنت سأفعل. لكن بماذا نعتاش؟ أنت تعرف العجوز، فهو عنيد وقد يوقف مخصصاتي."

قلت ملمحاً: "قد تنحل الأمور بأسلوب آخر. فما أدراك..."

وكشر قائلا: "لا رجاء لي. لكني

(*) البيزو وحدة النقد في الارجنتين.

سأتحدث الى الطاغية العجوز. أين هو؟"

أحسست بخوف. ربما كان مفعول السم سريعاً جداً. وأجبت: "انه في المكتبة. ولكن دعه، فقد انتهينا قبل ثوان من مباراة شطرنج، وهو صرف الخدم الليلة. جد سلواك في ناد أو برنامج تلفزيوني."

هز غييرمو كتفيه غير مبال: سأحدثه مرة أخرى. وفي أي حال..."

ودمدمت: "في أي حال، لن تجسر على ذلك."

وحملق فيَّ مغضباً.

[illegible]

نظرت الى ساعة يدي. انها الحادية عشرة والدقيقة العاشرة ليلا. لا بد من أن السم بدأ يعطي مفعوله: "في البدء انزعاج بسيط." قد يلعن خالي الطاهي، فالسمكة تسبب له عسر هضم. كم ذلك سهل. ليلة رطبة. البرق يومض في السماء المتلبدة. حجار الشارع المرصوفة تمتد في أشكال ألماسية. وفي البعيد تلوح أنوار خضراء وحمراء وبيضاء.

عزمت على العودة. هبطت الجادة ثانية نحو شارع ليندرو آلم ومنه الى بلازا دو مايو. ساعتي تشير الى الحادية عشرة والدقيقة السادسة والثلاثين. اذا كان السم فاعلا فقد انتهى كل شيء. سأمتلك الملايين. سأصبح حراً. سأصبح... قاتلا.

أنا قاتل! ركبتاي واهنتان. كفاي تعرقان. زجاجة السم في جيبي أحسبها طناً. زجاجة تافهة بقطارة تحتوي على الموت. قذفتها أبعد ما أستطيع.

انا قاتل. انه سر بين خالي نستور وضميري. وتذكرت أعراض السم: "وخز وخدر في اللسان يبدأ في نقطة الملامسة ثم ينتشر الى اللسان بأجمعه فالى الوجه وبقية الجسم."

وقصدت حانة. الفونوغراف يهدر صادحاً بلحن زنجي.

"حرقة حادة في المريء والمعدة." الملايين من أوراق النقد الكبيرة. البوكر. السباقات. الرحلات.

"شعور بالقلق، بموت وشيك. قشعريرة عميقة عامة. اضطرابات في الحواس. ضعف عضلي. تقلصات. شلل."

وحده في القصر أمام رقعة الشطرنج وعليها الملك الاسود والوزير والرخ. كش ملك!

طلبت كأس شراب. من خلال النافذة كان المنظر هو هو. تكتكة ساعتي تعلو كل الأصوات، حتى نبضات قلبي. انها الاولى بعد منتصف الليل.

"تغيّر في النبض، وضغط دم منخفض نتيجة فعل السم في العضو الرئيس. وفي المرحلة الاخيرة يتوقف القلب."

تجرعت الشراب.

[illegible]

وصلت الى البيت في الثانيِة والنصف صباحاً. لم أشاهد ضابط الشرطة حتى اعترض سبيلي. ووثب قلبي.

"أنت السيد كلوديو ألفاريز؟"

أجبت متواضعاً: "نعمْ يا سيدي."

قال: "ادخل."

وسألته لا أدري كيف: "ماذا تفعلون هنا؟"

أجاب: "سيشرحون لك كل شيء في الداخل."

رجال في بزات نظامية استولوا على القصر. لم أر غييرمو. أما كبير الخدم فبدا ممتقع اللون وحاول أن يخاطبني. وأسكته أحد الرجال بايماءة ومشى في اتجاهي وهو يتفحصني كأني جرذ مختبر.

"أنت ابن اخته الأكبر، أليس كذلك؟"

- أجل يا سيدي.

"يؤسفني أن أخبرك يا سيدي أن خالك توفي... مقتولا."

كان صوته وقوراً هادئاً. وتابع: "أنا المفتش فيلاغاس المسؤول عن التحقيق."

- رباه، هذا رهيب!

كان لكلماتي جرس أجوف زائف. السم اللعين ترك آثاراً. لكن كيف؟ كيف؟

وسألت المفتش: "هل... هل يمكنني أن أراه؟"

أجاب: "ليس في هذه اللحظة. أود أن تجيب عن بعض الاسئلة اولا."

ووافقت مذهولا: "سمعاً وطاعة."

تبعته الى غرفة الجلوس. وانسلّ مساعدان الى الداخل من ورائي.

قال: "أخبرنا ماذا فعلت الليلة."

- تناولنا العشاء، نحن الثلاثة، كالعادة. وذهب غييرمو الى غرفته ولعبت أنا وخالي بالشطرنج. ثم تمنيت له ليلة سعيدة وانصرفت. وفي الردهة التقيت غييرمو وتبادلنا بعض الكلمات ثم خرجت."

"وها أنت عائد الآن."

- نعم.

"والخدم؟"

- أراد خالي أن يبقى وحده، فصرفهم بعد العشاء.

معظم أقوالك ينطبق على شهادة كبير الخدم. فهو عند أوبته تفقد المنزل ولاحظ أن باب المكتبة مفتوح جزئياً والنور مضاء. دخل. فوجد خالك أمام رقعة الشطرنج ميتاً. المباراة لم تنته. اذاً لعبتما مباراتكما الليلة، هاه؟"

اجتاحني احساس بالالم كفتيل مشتعل. قد يتفجر البارود في أي لحظة. تلك المباريات الفردية!

- نعم يا سيدي.

لم يسعني أن أناقض أقوالي. ثم اني اخبرت غييرمو الامر نفسه، وغالب الظن انه أخبر المفتش فيلاغاس. فأخي يجب ان يكون في مكان ما. انه أسلوب الشرطة، ان تعزلنا وتبقينا وحيدين مشوشين من دون حماية، لتوقع بنا.

"علمت أنك تدون تفاصيل المباريات. هلا أطلعتني على دفتر ملحوظاتك يا سيد ألفاريز؟"

- دفتر الملحوظات؟

"بالطبع. اود ان اراه. وكما يدور في ذهنك، علي ان أتثبت من كل امر، مما قلت ومما فعلت وهل لعبت كالعادة."

الدموع احرقت عيني. وتملكني خوف فظيع، كما احس الخال نستور ولا شك حين غلبه ذلك "الشعور بالموت الداني". كانوا يستحثونني. الصمت طاغ وصلد. عينان، ست عيون، ثماني عيون، الف عين...

لقد أمسكوا بي. انهم يتلاعبون بيأسي، يتلذذون بما اقترفت من إثم. ثم قال المفتش: "حسناً".

كلمة واحدة تعني الكثير.

"حسناً. أنت آخر من رآه حياً، كذلك ميتاً. السيد الفاريز لم يدون ملاحظات هذه المرة."

وصرخت في النهاية بصوت لم يكن صوتي: "كفى! ان كنتم تعلمون، فلمَ تسألون؟ أنا قتلته. كنت أمقته بكل جوارحي. كنت برماً بطغيانه. أنا قتلته. أنا قتلته."

وشهق المفتش فيلاغاس: "يا الهي! لقد نطقت باسرع مما توقعت. والآن، بعدما حللت عقدة لسانك، أين المسدس؟"

تعبير وجهه لم يتغير. وأصر: "هيا، لا تمثل دور المغفل. أين المسدس؟ أنسيت يا صاحبي أنك أصبته في وسط جبهته تماماً؟ يا له من هدف لا يصدق!"

ايزاك أزنبرغ ■

كاتب أرجنتيني من أبرز مؤلفي الروايات البوليسية في أمريكا اللاتينية.



الموظفة الموقتة وكاسر الصخور

استخدمت شركة تجارية فتاة في وظيفة موقتة. وبدا على الفتاة أنها قانطة، فتقدمت منها زميلة سائلة: "ماذا تفعلين؟" فأجابت: "لا شيء." حينئذ روت لها الموظفة القديمة هذه القصة علها تفيد منها:

كان ثلاثة رجال يعملون في تكسير الصخور، وأراد متعهد استخدام أحدهم. فتقدم من الاول وسأله ماذا يفعل فأجاب: "اني أكسر الصخور." وانتقل الى الثاني وطرح عليه السؤال عينه فأجاب: "اني أحطم صخوراً ستستخدم لتشييد بناية."وحمل السؤال الى الرجل الثالث الذي أجاب: "اني أبني معبداً."

وظنت الموظفة القديمة أن الفتاة فهمت مغزى القصة فسألتها أياً من الرجال الثلاثة تستخدم لو كانت هي المتعهد، فأجابت: "لا أدري، ربما اخترت الأكثر جاذبية."

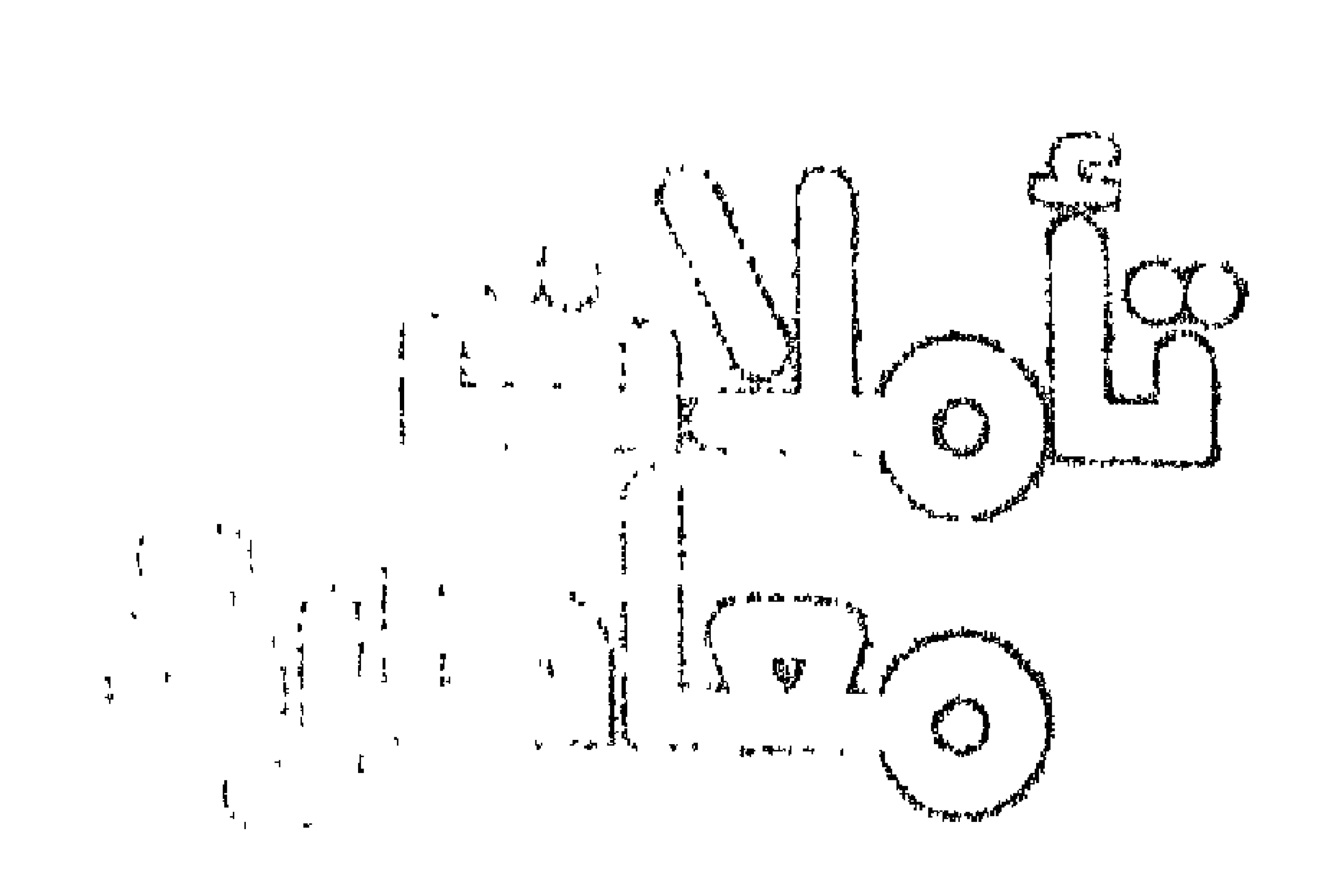
ج.هـ.

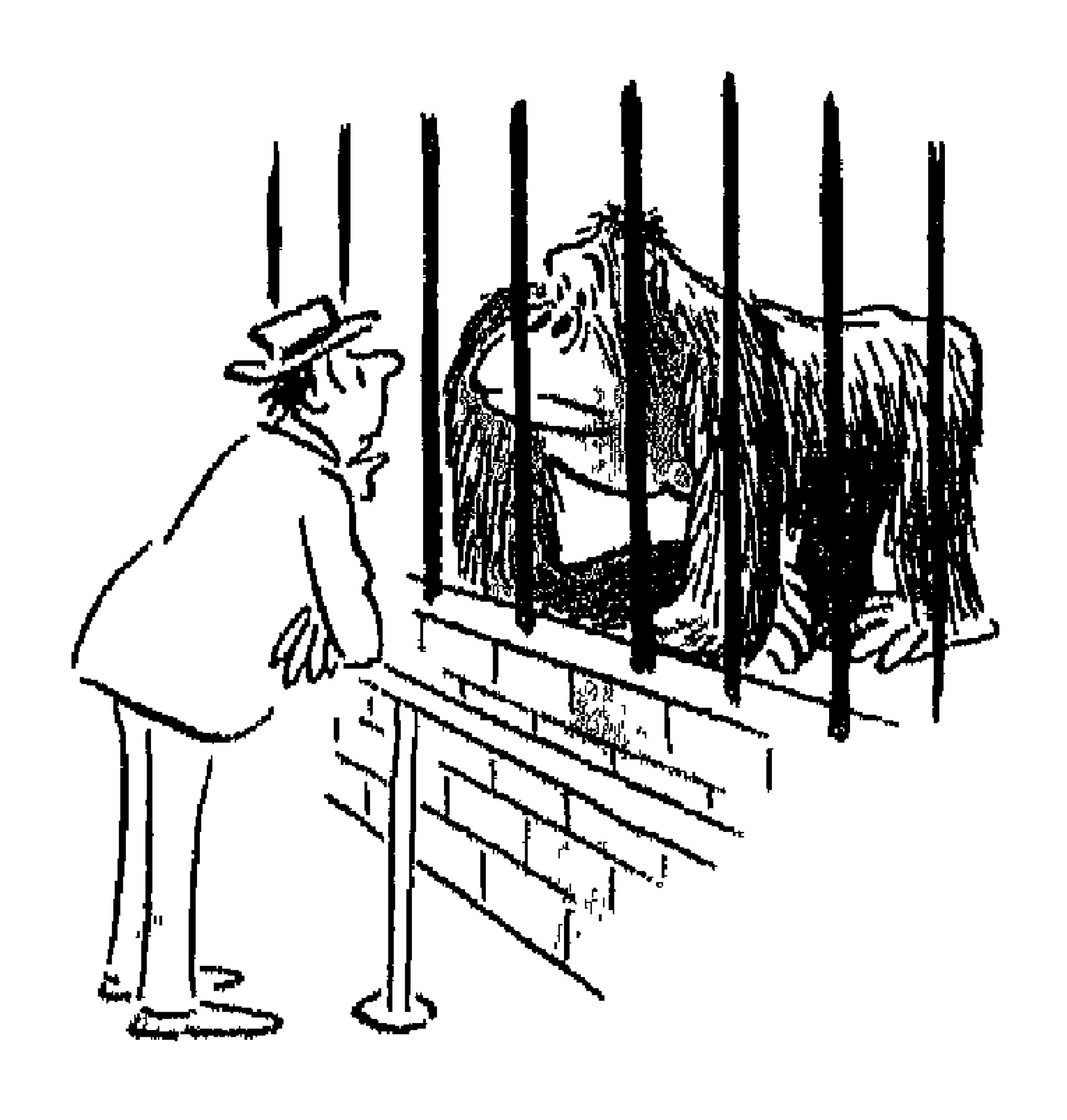
مزحة على الهواء

كان مذيع يقدم برنامجاً غنائياً ذات ليلة حين أخذت الاسطوانة تنزلق من مكانها. وقبل أن تتاح له فرصة معالجة الامر قفزت الابرة فوق الاسطوانة وانقطع البث. وهذا أسوأ ما يصيب مذيعاً. وأمسك صاحبنا بالمذياع وهتف: "حسناً، من منكم أيها المستمعون خبط جهاز الراديو في بيته وجعل الاسطوانة تنزلق من مكانها؟"

وعقب هذه المزحة التي شاء بها أن ينجو من المأزق تابع البرنامج بأغنية ثانية. وبعد دقائق جاءه عامل الهاتف يقول ان ثلاثة أشخاص اتصلوا بالمحطة ليعتذروا عمّا بدر منهم.

ر.ر.





التراث

ما زلت أذكر نزهة قمت بها قبل نصف قرن مع عالم الطبيعة جون باروز. في ذلك اليوم اشرفنا على منظر بديع لوادي نهر هدسون والمرتفعات وراءه. وفي أثناء الحديث ضرب باروز الصخرة التي جلسنا عليها وقال: "هذه تبقى." اليوم فهمت سبب بهجته بما يبقى في هذا العالم.

نحن مرتبطون بما يدوم في كل فن. شعرنا ورسومنا الفنية وعقائدنا تحمل فكرة الخلود. في أعماق الاسى وفي ذرى الفرح نتذكر تراثنا. فهو الذي يبقى.

ت. موريس لونغستريث

لحظة الانسجام

حين يحدد المجذفون أسعد اللحظات في الزورق فانهم لا يختارون لحظة الفوز في السباق بمقدار ما يختارون لحظة تكون المجاذيف كلها في الماء في وقت واحد تتحرك في تناسق تام. في مثل هذه اللحظة يبدو الزورق كأنه يعلو فوق المياه. والمجذفون يدعونها لحظة الانسجام.

المجذف الاولمبي جون بيغلو أحب هذه اللحظة أيضاً، لكن أكثر ما أحبه فيها انها كانت تقيّض له أن يثق برفقائه الذين هم معه في الزورق. الانسجام لا يتم الا اذا أدى كل فرد دوره بدقة متناهية. وبهذا فقط يمكن أن تقوم الثقة الحقيقية بين المجذفين.

د.هـ.

الكتب الخالدة

كلنا نعرف أن الكتب يمكن أن تحترق، ومع ذلك فاننا ندرك أن الكتب لا تقتلها النار. الناس يموتون، أما الكتب فلا تموت. لا يستطيع اي انسان ولا أي قوة الغاء الذاكرة.

فرنكلين روزفلت، رئيس أمريكي راحل

المحبة

ما هي المحبة؟
هي الصمت حين تؤذي الكلمات.
هي الصبر حين يجفو جارك.
هي الصمم حين تنتشر الاقاويل.
هي التعاطف مع آلام الآخرين.
هي المبادرة حين يدعو الواجب.
هي الشجاعة حين تقع المصيبة.

كاتب مجهول

نعمة النظر

تأمل القدرات الكامنة في التمشي على الرصيف. دع جانبا تلك الاعتبارات كالتوازن والتنسيق يبقَ عليك أن تنظر الى حيث تسير. وهذا يعني، على نحو ما، أن تستخرج عبرة من الدوامة المتبدلة دائماً حولك من الحركة واللون والضوء والظل.

ولكي تفعل ذلك تجد في تصرفك نحو ١٠٠ مليون خلية حساسة لاقطة هي العصيات والمخاريط التي تتألف منها شبكية كل من عينيك. والشبكية تحوي كذلك أربع طبقات من الخلايا العصبية. وهذا الجهاز بمجمله قد يقوم بما يوازي عشرة مليارات عملية حسابية في الثانية، حتى قبل أن تصل الصورة الى العصب البصري: وحين تصل التفاصيل البصرية الى الدماغ، ثمة قشرة دماغية تحوي ما يزيد على اثني عشر مركزاً بصرياً منفصلا تقوم بتحليلها. ويقدر ان الرؤية، بشكل أو بآخر، تشغل نحو ٦٠ في المئة من القشرة الدماغية.

أما أنت فتبقى هانئاً في غفلتك عن كل هذا الذي يجري وتكتفي بالقاء نظرة عبر الشارع وتقول: "أوه، ها هي زوجتي."

ميتشل والدروب

دكتوراه فخرية!

تساءل الكاتب المسرحي نيل سيمون عن قيمة الدرجة الفخرية حين منح واحدة في حفلة تخرج في جامعة وليمس بولاية مساتشوستس. قال:

"اعلم أن الدرجات الفخرية تمنح عادة لأناس كانت علاماتهم في مباراة الدخول الى الجامعة أدنى من أن تسمح لهم بالدخول بالطريقة العادية. والواقع ان علاماتي في مباراة الدخول كانت السبب في تحولي الى هذه المهنة... الكوميديا.

"ماذا توفر لي درجة الدكتوراه الفخرية في الحياة حقاً؟ هل أصبحت الآن أوفر ذكاء، أم اني أكثر براعة فخرياً.

"في الواقع، الناس لا ينظرون برضا الى حاملي الدرجات الفخرية". هل تسمح لميكانيكي فخري بأن يصلح سيارتك الجديدة؟"

وكالة "أسوشييتد برس"

ركوب الدراجة


ان الناحية الاصعب في تربية الاولاد هي تعليمهم كيف يمتطون الدراجات. ويجوز أن يركض الاب بجانب الدراجة أو يقف ويصرخ بالتوجيهات بينما ولده يسقط أرضاً. ان الطفل المترجرج على دراجة للمرة الاولى يحتاج الى الدعم والحرية في آن. والادراك ان هذا ما سيحتاجه الولد دائماً يقع صدمة مذهلة على الوالدين.

سلون ولسون

السمعة

السمعة مجموعة وعود يقطعها المرء ويبّر بها. انها تتألف من الصدق والاخلاص والامانة والكفاية في العمل. وباختصار، السمعة هي صورة الشيء الذي ندعوه الشخصية. وتتساءل: "ماذا في السمعة؟" فأجيب: "فيها كل ما تفعله."

موريس ماندل


اللؤلؤة ملكة الجواهر

كنز الانسان اللآلئ منذ ألوف السنين، وقصة تكوّن اللؤلؤ لا تبرح مخيلاتنا. لكن اللآلئ الاصطناعية هي التي تنعم بالشعبية اليوم

فيما الشمس ترسل أشعتها الحارقة حرّكت نسمة المياه الزرقاء الصافية في خليج تايلاند. وعلى الرصيف الخشبي المتداعي الممتد في البحر ضمن مزرعة اللآلىء التي تملكها شركة "ناغا" في بانكوك، جلس ميتشياكي ايتشيمورا يحدق من خلال فتحة صغيرة في صدفة محارة عملاقة فضية الحافات. واستعان بأداتين جراحيتين لينتشل بخفة من داخل الصدفة حبة مشعة تتوهج بألوان قوس قزح وراح يتفحصها.

قال: "انها جميلة." وكانت الحبة رائعة فعلا. فتلك الجوهرة البراقة البالغ قطرها حوالى ١٥ مليمتراً كانت من اللؤلؤ المستنبت اصطناعياً والمعروف باسم لؤلؤ بحر الجنوب، وقُدّر ثمنها لاحقاً بأكثر من ٦٠٠٠ دولار. وهذا الثمن مرشح للارتفاع حالما تصل الجوهرة الى الشاري، وربما بلغ ٤٠ ألف دولار. وسيتهافت عليها الزبائن بلا ريب، ولن تعدم من يقتنيها حتى بهذا السعر الباهظ، لأن اللآلىء مطلوبة اليوم أكثر من أي وقت مضى.

في الولايات المتحدة، البلد الاكثر اقبالا على شراء اللؤلؤ، ازدادت كمية اللآلىء المستوردة ١٣ ضعفاً بين العامين ١٩٧٧ و١٩٨٤. وقفزت أرقام البيع من ١٩ مليون دولار الى ما يزيد على ٢٤٥ مليوناً. وتجارة اللؤلؤ في ازدهار مستمر في معظم البلدان، وعدد كبير من التجار مقتنع بأن الطلب عليها سيشتد.

وتشكل اللآلىء جزءاً رئيسياً في أي مجموعة مجوهرات تقتنيها سيدة ثرية. على أن الشاري اليوم ربما كان أقل ثراء منه في الماضي. وفي حين يراوح ثمن حبل من اللؤلؤ طوله ١٦ انشاً(١) وقطر حباته سبعة مليمترات (في حجم حبة البازيلاء) بين ٣٠٠ دولار و٣٠٠٠، فإن ثمن القطع الارخص نسبياً يراوح بين ١٠٠ دولار و٣٠٠.

ما السبب في ازدهار تجارة اللؤلؤ؟ انه مقتضيات الاناقة العصرية بالدرجة الاولى. ولطالما اعتُبرت "ملكة الجواهر" من الحلى الكلاسيكية. والمظهر الرسمي "موضة" هذه الايام، ومعظم الجواهر ذات جمال مبهرج بخلاف اللآلىء ذات الجمال المكبوح بأناقة والاستجابة الرقيقة

---

(١) في تجارة اللآلىء يقاس طول حبل اللؤلؤ بالإنش (البوصة) وليس بالسنتيمتر. ويوازي الإنش سنتيمترين ونصف سنتيمتر.

للضوء. وتراوح ألوان اللآلىء بين الزهري والفضي والعاجي والذهبي والاخضر والازرق وحتى الاسود.

عرق اللؤلؤ – كَنَزَ الانسان اللآلىء منذ القدم. وربما عاد تاريخ أقدم عقد من اللؤلؤ ما زال موجوداً حتى الآن الى العام ٣٥٠ قبل الميلاد، وهو وجد دفيناً في موقع بالقرب من القصر الشتوي لملوك فارس في ايران الغربية. ولقد درج الاقدمون على استخدام اللآلىء كرموز شعائرية. ولطالما أسر جمالها الكتاب والشعراء: ولم يقتصر الامر على ذلك، بل ان اللؤلؤ استخدم لاهداف طبية. ويقال ان امبراطورة صينية عجوزاً كانت تشرب خلاصة اللؤلؤ المطحون لتحتفظ بمظهرها الشاب، وان ملك فرنسا شارل السادس فعل الامر نفسه انما ليستعيد سلامة عقله.

وعرف الزمن الغابر نظريات خيالية حول أصل اللؤلؤ. غير أن التفسير الحقيقي هو غاية في البساطة، اذ ان في وسع كل رخوية ذات صدفة أن تنتج "لؤلؤة". وهي تنزع الى ذلك كلما دخل جسدها جسم غريب، فتروح تطلي ذلك الجسم المهيِّج بطبقات من المادة نفسها التي تكوِّن صدفتها. على أن الاصداف ليست كلها مصنوعة من مادة عرق اللؤلؤ(٢)، وحدها الرخويات التي تبطن أصدافها بهذه المادة تنتج ما نعرفه باللؤلؤ.

وليست جميع حبات اللؤلؤ بالجودة نفسها. فحبات اللؤلؤ التي تنال اعجاب الصاغة وتقدّر بأثمان مرتفعة لا ينتجها الا محار من نوع بنكتادا وصنف من بلح البحر يعيش في المياه الحلوة.

تبدأ عملية انتاج اللؤلؤ الطبيعي حين ينزلق جسم غريب عَرَضاً داخل المحارة. قد يكون هذا الجسم حبة رمل أو دودة طفيلية أو سمكة صغيرة أو سرطاناً صغيراً. أما الجوهرة التي انتشلها ميتشياكي ايتشيمورا فكانت من اللؤلؤ المستنبت، أي ان نواتها أُدخلت عمداً على نحو اصطناعي.

لؤلؤة ميكيموتو – ترتكز صناعة اللؤلؤ الحديثة على الجواهر المستنبتة التي تنتجها على نطاق واسع ألوف المزارع المنتشرة في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية. وقبل وقت ليس ببعيد كانت اللآلىء الطبيعية وحدها متداولة في تلك التجارة الغريبة، وكان معظمها يجمع في الخليج العربي. وهناك مصادر اخرى للؤلؤ الطبيعي المتكون في المياه المالحة، كالبحر الاحمر وسري لانكا وأرخبيلات جنوب المحيط الهادىء والمياه الدافئة في الامريكتين. أما لآلىء المياه الحلوة فكانت في الماضي تُستخرج من البحيرات والانهر في أجزاء كبيرة من آسيا وأوروبا ونصف الكرة الغربي.

لكن التلوث والصيد الذي جاوز الحدود ساهما في توقف استخراج اللآلىء من المياه المالحة والحلوة على حد سواء. على أن التطور الابرز كان في انزال اليابانيين الى الاسواق كميات كبيرة من اللؤلؤ الاصطناعي. ويرتبط اسم كوكيشي

(٢) Nacre or mother-of-pearl material

أكبر لؤلؤة في العالم

في العام ١٩٣٤ وفيما كان رجال من قبيلة داياك يغطسون بحثاً عن رخويات مائية بالقرب من شواطىء جزيرة بالاوان جنوب الفيليبين، عجز أحدهم عن الخروج من الماء. وتبيّن لاحقاً أن بطلينوساً عملاقاً (clam) يزن أكثر من ١١٥ كيلوغراماً أطبق بصدفته على قدم الغطاس كمصيدة من فولاذ. ومن أجل انتشال الغريق كان على الداياك أن يخرجوا الرخوية من الماء. ووجدوا داخلها لؤلؤة ضخمة في شكل دماغ بشري تزن أكثر من ستة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام. وأصبحت الغنيمة مُلك بنغليما بيسي أقوى رؤساء القبائل في المنطقة.

في ذلك الوقت كان ويلبورن دويل كوب، وهو عالم آثار أمريكي، يجري حفريات في بالاوان. ولدى عودته بعد سنتين، علم أن ابن بنغليما على شفير الموت بسبب مرض الملاريا، فأعطاه عقار أتابرين الجديد آنذاك. وما ان تناول الفتى الدواء حتى شفي على نحو شبه عجائبي. ولمكافأة كوب على صنيعه أهدى اليه بنغليما أثمن ما يملك: اللؤلؤة العظيمة.

تلك اللؤلؤة هي اليوم في حوزة رجل من كاليفورنيا ويقدر ثمنها بأربعين مليون دولار.

ميكيموتو بهذا الفتح التجاري. ففي العام ١٨٩٣ أدّت تجاربه في استنبات اللآلىء الى انتاج نصف لؤلؤة أو ما يسمى "نفطة" (blister). وفي العام ١٨٩٦ منح براءة هذا الاختراع. وبعد اثنتي عشرة سنة منح براءة أخرى لاستنبات لؤلؤة كروية.

لم يكن ميكيموتو أول من انتج اللآلىء الاصطناعية، إذ يبدو ان الصينيين بدأوا ادخال أجسام غريبة الى أصداف بلح البحر منذ القرن الثالث عشر. على أن عناد ميكيموتو وحيويته وحسه المرهف للعلاقات العامة كانت وراء نجاح تجارة اللآلىء الاصطناعية.

أحدثت لآلىء ميكيموتو ضجة كبيرة عندما طرحها في السوق خارج اليابان قرابة العام ١٩٢٠ بأسعار ادنى من أسعار اللآلىء الطبيعية. فما كان من التجار في انحاء العالم إلا أن شنوا عليه حملة تشهيرية ووصفوه بالافّاك. لكنهم خسروا المعركة ضده لان الحق لم يكن الى جانبهم. فحبة اللؤلؤ المستنبتة الجيدة هي لؤلؤة أصلية، والطريقة الوحيدة لاظهار الفرق بينها وبين اللآلىء الطبيعية تقوم على استخدام الاشعة.

ان جميع اللآلىء المعروضة حالياً في أسواق العالم، باستثناء نسبة مئوية صغيرة، هي من اللآلىء الاصطناعية ومعظمها من اليابان.

تكوّن فنّان – لسنوات طويلة اقتصر جمع المحار الذي تستخدمه اليابان لاستنبات اللآلىء، على غطاسات محترفات عُرفن باسم "آما". أما اليوم

فيتولى المزارعون تربية محاراتهم بأنفسهم، بدءاً ببيض غير مكتمل النمو. وعندما تبلغ المحارة ثلاث سنوات من العمر تنشل من الماء ويتولى اختصاصي اجراء شق في لحمها، بواسطة مبضع، ويدخل فيه مربعاً صغيراً من نسيج طية (mantle) الجدار المبطن لرخوية بحريّة حيّة. والى جانب هذا المربّع يضع النواة، وهي كناية عن كرة صحيحة يراوح قطرها بين مليمترين وثمانية مليمترات محضرة من صدفة بلحة بحر (mussel). بعد ذلك تُعاد المحارة الى البحر في سلال تتدلى من أطواف من الخشب أو القش، أو من البلاستيك كما درجت العادة هذه الايام، وتبقى نحو ثلاث سنوات أخرى.

في غضون عشرة أيام، إذا سارت الامور على ما يرام، تبدأ قطعة النسيج الدخيلة في النمو حتى تغلّف النواة. ومادة عرق اللؤلؤ التي يفرزها هذا الكيس تتجمع كل يوم في طبقات عدة. وعلى هذا فإن عدد الطبقات حول نواة لؤلؤة مكتملة ربما بلغ الألف أو اكثر.

وقد تحدث أعطال عدة بينها اضرار الاعاصير الاستوائية والتلوث والعوائق التي تتجمع في "تيارات حمراء" فتاكة.

وفي المعدّل تكون نسبة ٢٠ في المئة فقط من محصول اللآلىء من الصنف الرفيع، بينما تبلغ نسبة اللآلىء غير الصالحة لصوغ المجوهرات ٤٠ في المئة.

معظم اللآلىء من أقطار أخرى في العالم يتم انتاجها بمشاركة مؤسسات يابانية. وهي ترسل الى اليابان حيث تعالج ثم تصدّر. الا أن حكومة بورما، من أجل بيع لآلئها المستخرجة من البحر الجنوبي ومئات القطع غيرها من اليشب والحجار الكريمة الاخرى، تقيم مزاداً علنياً سنوياً في عاصمتها رانغون. اما المشروع التجاري المتمثل في مزرعة "اللآلىء السوداء" الاصطناعية التي انشأها الفرنسي جان - كلود بروبيه في بولينيزيا الفرنسية منتصف السبعينات والذي انضمّ اليه لاحقاً المستورد سلفادور أسابيل من نيويورك، فيراوح انتاجه الآن بين ٢٠ و٣٠ ألف حبة لؤلؤ صالحة للعرض في السوق.

لكن رواج اللآلىء الاصطناعية لا يعني أن اللآلىء الطبيعية اختفت عن المسرح. الا أن أسعارها فاحشة ولا تشجّع على الشراء، إذ تباع الواحدة منها التي هي في حجم حبة البازيلاء بنحو ١٥٠٠ دولار.

ولا تحتفظ اللآلىء الطبيعية بقيمتها دائماً. ففي العام ١٩١٧ قايضت سيدة بارزة من نيويورك اسمها مي بلانت منزلا يقع في تقاطع الجادة الخامسة والشارع ٥٢ بعقد من اللؤلؤ من صنع كارتييه قُدِّر ثمنه آنذاك بمليون و٢٠٠ ألف دولار. وفي العام ١٩٥٧ بعد وفاة السيدة بيع العقد في مزاد علني بـ١٥١ ألف دولار في حين أصبح ثمن البيت يُقدر ببضعة ملايين.

نيجل سيتويل ■

لا يمكنك ان تخدع كل العالم، في كل الاحيان، لكن لافتات السير تقارب جداً هذه الحقيقة.

ك.غ.



سنفور الذكي يضع نظارتين
وسنفور المغرور لا يفارق المرآة،
أما سنفور الكسول فلا شيء يرضيه.
فمن هي تلك السنافر الصغيرة
التي يحبها أطفال العالم قاطبة؟

السنافر

لونه أزرق، طوله يوازي ارتفاع ثلاث تفاحات، يسكن بيتاً في شكل نبتة الفطر، له رأس مستدير وذنب كعرف الديك وأربع أصابع في كل من يديه وقدميه. ما هو؟ الاجابة الصحيحة تعرفها حتماً اذا كان في بيتك ولد بين الخامسة والثانية عشرة من عمره. انه السنفور.

أبصرت السنافر النور في العام ١٩٥٨ على يدي رسام كاريكاتوري بلجيكي يدعى بيار كوليفور ويفضل لنفسه اسم "بيو" المختصر. وهو أمضى معظم سنوات المدرسة "يخربش" أشكالا مثيرة في هوامش كتبه، فبدا طبيعياً أن يقبل وظيفة في بروكسيل وهي المدينة التي تعتبر عاصمة الكتب الهزلية المصورة في أوروبا. وقبل بلوغه الخامسة والعشرين من عمره كان له مسلسل هزلي يروي مغامرات صبيين من العصور الوسطى اسمهما يوهان وبيرلوي. وذات يوم عثرا في مرج أخضر على مخلوقات صغيرة زرقاء اللون تطل برأسها من العشب.

في الاصل أوجد بيو تلك المخلوقات

ليستخدمها في خلفيات رسومه. ولكن ما ان وقعت أنظار الاطفال عليها حتى نسوا كل شيء عن مغامرات يوهان وبيرلوي ووقعوا في غرامها وطالبوا بالمزيد منها. ولبى بيو الطلب بسرور، وسرعان ما تحولت تلك المخلوقات الصغيرة أبطالا لمسلسل هزلي مستقل. أما يوهان وبيرلوي المسكينان فاستقرا في درج خلفي.

ما تحب يحتاج دائماً الى اسم، والاسم الذي أطلقه بيو على اصدقائه الزرق وقع عليه مصادفة. فذات يوم أثناء تناوله طعام الغداء غابت عن باله كلمة "ملح" ولم تسعفه ذاكرته حتى ليتفوه بعبارة "ما اسمه هذا؟" وفجأة صاح: "ناولني الشترومبف." وهكذا أصبح "شترومبف" الاسم الذي قر عليه اختياره. وراح الاسم يتحول كلما انتقل من بلد الى آخر فأصبح "سميرف" بالانكليزية و"بوفو" بالايطالية و"بيتوفو" بالاسبانية و"سو - ما - فو" باليابانية و"شلومبف" بالالمانية و"سنفور" بالعربية.

مغامرة جريئة - منذ البداية كان جميع السنافر متشابهين باستثناء "بابا سنفور" صاحب اللحية البيضاء وعمره ٥٤٣ عاماً. أما بقية السنافر فيمكن تمييزهم من طريق تصرفاتهم وملابسهم. "سنفور الذكي" مثلا يضع نظارتين ويحاضر في الآخرين باستمرار. و"سنفور المغرور" لا يفارق المرآة. و"سنفور المرح" يوزع المفرقعات في علب الهدايا. أما "سنفور الكسول" المتأفف فلا شيء يرضيه وهو يردد على الدوام: "لا أحب هذا!!"

أي تركيبة كيميائية خاصة تضفي على تلك الاشكال جاذبيتها التي لا تقاوم؟ لا أحد يعرف، لكن الاطفال يعشقونها. في البدء اقتصرت ظاهرة السنافر على أوروبا، ولكن في العام ١٩٧٨ وفيما كان لاري ايلينز في بريطانيا، وهو مقاول من كاليفورنيا، اكتشف في أحد المتاجر تماثيل بلاستيكية صغيرة للسنافر. وقرر للحال ان ينطلق في مغامرة تجارية جريئة. فاشترى حقوق توزيع أصناف عدة من منتجات السنافر في أمريكا الشمالية كلها، بما فيها التماثيل الصغيرة والدمى المصنوعة من القماش وحققت مغامرته أرباحاً طائلة اذ باع في السنة الاولى، (عام ١٩٨٢) بقيمة ٦٥٠ مليون دولار. وكمن سبقوهم من أطفال أوروبا، شعر أطفال أمريكا بلذة ضم تلك الدمى الصغيرة الى صدورهم.

ولعبت احدى الفتيات دوراً تاريخياً في نمو مملكة السنافر. ففيما كانت تسير ذات يوم في أحد شوارع فيل بولاية كولورادو مع والدها فريد سيلفرمان رئيس شركة «NBC» آنذاك، وهي شبكة تلفزيونية كبرى في الولايات المتحدة، لمحت سنفوراً في واجهة أحد المتاجر. ولم تدع

والدها يرتاح حتى أصبحت الدمية بين يديها.

وبعد ذلك بوقت قصير شاهد سيلفرمان شريطاً تجريبياً لمسلسل تلفزيوني عن السنافر من انتاج "سيب" وهي شركة مستقلة مركزها بروكسيل تنتج اسطوانات واشرطة تلفزيونية للسنافر. وراح يفكر: بما أن ابنته أحبت السنافر بهذا المقدار، فمن المحتمل أن يحبهم الاطفال الآخرون بالمقدار نفسه. وتناول سماعة الهاتف وطلب للموسم التالي ٢٦ شريطاً مسجلا من الرسوم المتحركة يستغرق الواحد منها نصف ساعة، وعهد في تنفيذها الى هانا - بربارة المنتجين الشهيرين لاشرطة الاطفال في هوليوود.

امبراطورية السنافر–عرض البرنامج الأول للسنافر صبيحة السبت في ١٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٨١، والصباح توقيت ممتاز لبرامج الاطفال في الولايات المتحدة. وحالياً هناك اكثر من ٣٥٠ محطة تلفزيونية في الولايات المتحدة تعرض برامج السنافر. وتتبختر السنافر في البرامج نفسها على شاشات التلفزيون في نحو ٦٠ بلداً آخر. وهي غدت من البرامج المفضلة في كل بلد عرضت فيه.

هذا غيض من فيض عن صناعة السنافر. ولقد صدر الى الآن ١٢ كتاباً عنهم في اكثر من ١٥ لغة، وأنتج اكثر من ٢٣ مليون أسطوانة فوتوغرافية وشريط مسجل بأصوات ممثلين شهيرين. وتطبع رسوم السنافر، بموجب ترخيص، على أشياء كثيرة، من قمصان الاطفال الى مباري الاقلام.

ومن أجل ادارة امبراطورية السنافر المترامية الاطراف خصص لها بيو شركتين في بروكسيل. ويرئس ابنه تييري الذي ورث عنه موهبته الفنية، شركة التدقيق في رسوم السنافر التي ستظهر في الكتب حيث تعطى شكلها النهائي، وفي تلك الشركة أيضاً يتم التحقق من ان الدمى جميعها والرسوم التي ستظهر على علب طعام الاطفال تفي بالمطلوب من ناحيتي حجم الذنب وعدد الاصابع في كل من الاطراف الاربعة. أما ابنته فيرونيك وزوجها فانهما يديران الشركة الاخرى التي تتولى شؤون التراخيص والاجازات لاستخدام رسوم السنافر في نحو ٤٠٠ صنف تجاري.

ويعيش بيو الآن في لوزان بسويسرا. انه رجل في منتصف العمر، له شاربان وخطهما الشيب وعينان فيهما بريق الشباب. تجده دائماً منهمكاً في مشاريع ومغامرات تجارية جديدة للسنافر. يتخيل حبكات الكتب ويضع رسومها الرئيسية

ويخطط أحداثها ويكتب حواراتها ويصمم حتى عدد الاطر المخصصة لكل تطور في سلسلة الاحداث. أما زوجته جانين فانها تختار الالوان.

قرية الاطفال – مع أن جميع قصص السنافر متشابهة في جوهرها فانها لا تخلو من الاثارة والتشويق. يكون السنافر منصرفين الى أعمالهم برضا تام في قريتهم التي تشبه نباتات الفطر، فيطرأ أمر غير متوقع، كأن تلسع أحدهم نحلة خبيثة فيتحول لونه الى الارجواني وينقض على كل من حوله ينهشهم بأسنانه، أو أن يقبض الساحر الشرير شرشبيل (غارغاميل) وقطته الخبيثة ازرايل على أحد السنافر ويسحرانه. ومن حسن الحظ ينهزم الساحر الشرير في النهاية بفضل دهاء "بابا سنفور" وخططه المحكمة وعقاقيره الخارقة. وبعد أن تستوي الامور وتعود الى نصابها يستأنف السنافر أعمالهم العادية. فيعود "سنفور العداء" الى الجري و"سنفور الخباز" الى الخبز و"سنفور الكسول" الى التأفف وترداد "لا أحب هذا!"

ولا يتوانى بيو عن ادخال شخصيات جديدة عند اللزوم، مثل "سنفور الرياضي الهوائي" (١) وذلك تمشياً مع آخر الصرعات. ومع أن شخصيات السنافر لا يزيد عددها على العشرين حالياً، فان القرية تتسع لمئة. وقد ولد أخيراً سنفور جديد حمله طائر لقلاق بمنقاره الى القرية. وما لبث هذا الوافد الجديد أن تحول مصدر ازعاج لكل من في القرية.



بيو

وقبل سنوات، وربما ارضاء لزوجته التي مافتئت تتهمه بأنه يكره النساء لأن جميع سنافره كانت ذكوراً، جعل بيو الساحر شرشبيل يصنع "سنفورة الصغيرة" من مواد مختلفة بينها ألسنة الافاعي ودموع التماسيح. وما لبثت سنفورة ان تحولت من شخصية مستبدة طائشة ثرثارة ذات شعر أسود، الى شقراء جذابة تتولع بها الفتيات الصغيرات.

ويقول بيو انه سيدخل يوماً شخصية جديدة هي "سنفور الصيرفي" الذي سيخترع شيئاً اسمه "نقود". على أن هذا الاختراع لن يكون مفيداً لان الفرد لا يحتاج الى المال ليعيش سعيداً في قرية السنافر. والقرية لا تعرف الكحول ولا المخدرات ولا الجنس ولا الساعات. فلا عجب اذاً أن أحبها الاطفال وأقبلوا عليها، فهي توفر الدفء والنظام والراحة.

عالم جديد – يقول بعض النقاد ان برامج السنافر التي تصور الحياة الهانئة هي مؤذية للاطفال لانها لا تهيئهم للحياة الحقيقية التي لا تخلو من القساوة. ورداً على هذا الانتقاد يبتسم بيو ويفتل شاربيه، ويشتد تعلق الاطفال البريء بأحبائهم السنافر يوما بعد يوم.

---

(١) Aerobic Smurf

Photo: C. Cabrol / KIPA

لكن مهلا! ألم يعلن على شاشة التلفزيون في شهر يونيو (حزيران) ١٩٨٥ أن تلك المخلوقات الصغيرة ستنقذ بلدة حقيقية من كارثة مالية حلت بها؟ فلقد توقف العمل في مصنع الصلب الضخم في آغوندانج بمنطقة اللورين في فرنسا وصرف ٤٠٠ عامل. والآن، وبفضل صاحبي متجرين شديدي الملاحظة، سيتحول معمل الصلب قريباً متنزهاً يصور فيه مسلسل جديد. فلقد لاحظ التاجران الشبه بين الهياكل الفوقية الزجاجية والفولاذية للمباني في "ديزني لاند" في طوكيو وهياكل مباني معامل الصلب في اللورين.

وأوصت وكالة الاعلانات الباريسية "بوليسيس" أن يطلق على المتنزه اسم "عالم السنافر الجديد". وسيبدأ تنفيذ المشروع قريباً. وعندما يفتح متنزه آغوندانج أبوابه في العام ١٩٨٨، سيجد الزوار أنفسهم في قرية كبيرة من قرى السنافر تتألف من مساحة مسقوفة تبلغ حوالى عشرة هكتارات تحوطها رحاب مكشوفة تبلغ مساحتها ٨٥ هكتاراً. وتضم القرية معارض لتقنيات متطورة وأخرى تثقيفية وقطارات سريعة (٢) وألعاباً شتى. والادلاء رجال آليون (ربوطات) في شكل سنافر. والمتنزه سيستقبل الزوار على مدار السنة ويوفر العمل لعدد من الناس يفوق عدد الذين كانوا يعملون في مصنع الفولاذ. حتى "سنفور الكسول" سيجد نفسه مضطراً الى تغيير لهجته فيقول: "أحب هذا!"

روبرت فرنك ■

(٢) Roller — coasters



بين الحصان والكرة

قبل سنوات من "بيعه" فريق "سان دييغو تشارجرز" لكرة القدم، كان الثري الامريكي يوجين كلين يملك حصاناً ربح بضعة سباقات كبرى.

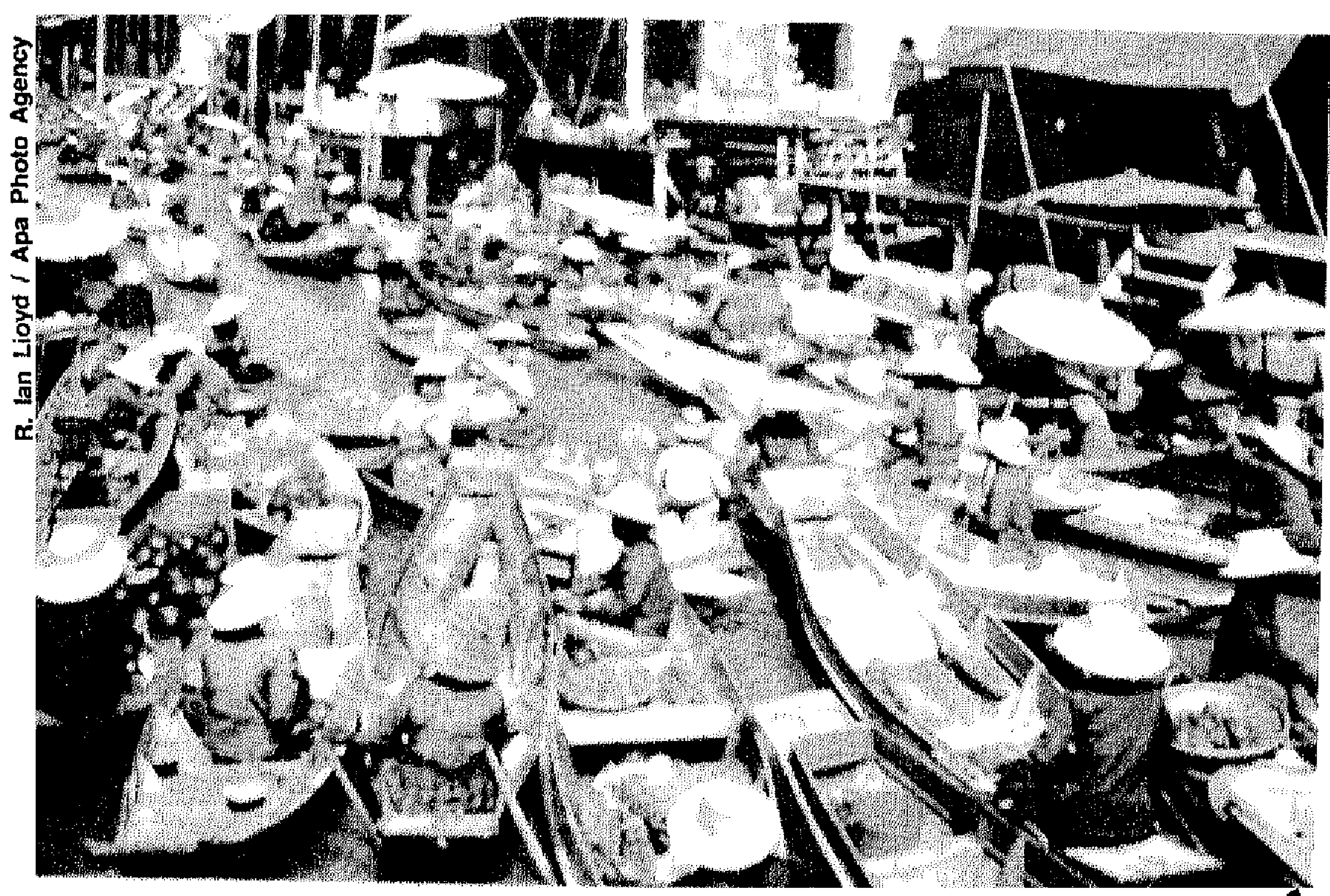
وذات يوم سأله أحدهم ما الفرق بين أن يمتلك المرء حصان سباق أو فريق كرة قدم، فأجاب: "الفرق الاعظم هو انه حين يفوز الحصان في السباق فانه لا يأتي الى مكتبي مبكراً صباح الاثنين التالي مطالباً باعادة النظر في عقده."

ج.د.

الذين يعرفون أن الحياة يمكن ان تكون حافلة بالسعادة هم أعمق تأثراً بالآلام التي تصيب الناس أحياناً.

ن.أ.

بَانكوك


R. Ian Lloyd / Apa Photo Agency

سوق عائمة في احدى قنوات المدينة.

كُل مَافيهَا منعِشٌ!

على رغم الفوضى في كل زاوية من زوايا هذه المدينة، فان عشاقها يستمتعون بمباهجها وعثراتها على السواء

بدأ غرامي ببانكوك حين جئتها زائراً عام ١٩٥٩. وكان حد معرفتي بالمكان ما ورد في قصة "انا والملك." ولم تمض سوى ايام قليلة حتى تبددت الهالة الرومانسية التي حاكتها تلك القصة الخيالية الجميلة. ازدحام السير والتلوث في المدينة اسطوريان، اخاديد الشوارع تصطاد المارة المطمئنين وتلتهم بين الفينة والاخرى دراجات ساملور النارية الثلاثية العجلات. في كل مكان اسلاك كهربائية بشعة، واشجار توقف نموها واكداس من الفضلات المبعثرة.

وبانكوك، مهما جهدت السلطات السياحية التايلاندية ان توحي انها مدينة محببة الى النفس فهي ليست كذلك. لكني سرعان ما خدعت بالسحر المميز لبانكوك الحقيقية.

كان الفندق الذي أقمت فيه غريباً في كل أمر، بدءاً بعماره الذي استغلت فيه الى أقصى حد قطعة الارض الضيقة بين القناة والزقاق المزدحم. ويتألف الفندق من صف طويل من الحجرات الشبيهة بالصناديق والقائمة على دعامة متقلقلة مشرفة على الزقاق بحيث تقعقع جلبة السير فعلا بمحاذاة السرير وكأنها تكشط البلاط كشطا. الا ان معظم النزلاء لا يبدون اي انزعاج من هذا الامر. والنزل، عفوَ الكلمات، هو ما يعرف بـ"فندق الوقت الخاطف"، اذ يستأجر غرفه الصغيرة ازواج حالمون ساعة فساعة.

أمضيت قرابة شهر هناك، ولعلي احد الضيوف القلائل الذين اطالوا المكوث في ذلك النزل. بادىء الامر نظرت إليه وكأنه تحفة عجيبة ذات نكهة محلية. لقد قدم إلي فيضاً مستمراً من التجارب التي لم تبعث على السرور دوماً، لكنها بالقطع لم تكن مملة: رعشات كالزلازل حين تمر الشاحنات تحت الفندق، طرق على الابواب منتصف الليل، ومخابرات هاتفية غامضة نادراً ما تكون لأجلي تضاف الى عراك في الغرفة المقابلة. وهناك تعلمت اول كلمة تايلاندية "كاموي" وتعني "لصاً".

على رغم ذلك نمى الى إدراكي تدريجاً، ان الفندق هو انعكاس للمدينة المضطربة، الممتدة على غير نسق. فبانكوك هي الأخرى، مدينة غريبة، مجنونة، وملأى بالمفاجآت.

مدينة المغامرات

عندما غادرت المدينة، بعد زيارة اولى، ادركت ان علي ان أعود كي اقيم مدة اطول. واذ عدت لم تكن لدي مشاريع للبقاء الدائم. لكن الأشهر المعدودة استطالت فأضحت سنة ثم عشراً. وعلى حين غرة، ومن دون ان اعي ذلك، أصبحت وكأني مقيم في المدينة منذ أمد. ان ما



اطفال يلهون في الماء. Apa Production

حجزني ويستبقيني، بصرف النظر عن الأصدقاء الخلّص والعمل الذي ارغب في مزاولته، هو الجو العام للأشياء التي لا يمكن التنبوء بحدوثها، والفوضى القريبة

مني في ناحية الشارع المجاور. لا شيء تقريباً في بانكوك يجري كما هو مخطط له، أو يبدو كما هو. فقد تبين أثناء عرض ازياء اقيم لمصلحة نادي المرأة العالمي، ان العارضات الأنيقات لسن سوى... وعندما دعوت السفير الامريكي الى مأدبة عامرة قبل بضع سنين، تحول الأمر مهزلة. فقد فتحت ابواب السماوات لتقذف بأغزر مطر رأته عيناي. وعلقت سيارة السفارة في مصرف للمياه وانطفأت الانوار، وفي حلكة الظلام وضع الطاهي ملحاً بدل السكر.

لقد وجدت كارول هولينغر، التي قدمت الى تايلاند أواخر الخمسينات برفقة زوجها وهو وزير للخارجية، ان اضطراب المدينة منعش. وفي زعمها، ان قيادة السيارات في تايلاند ابداع: "عليك ان تكون متيقظاً، حاد اليقظة، كي تتجنب الاصطدام والا تهتاج لمرأى الخلائق المتمسكين بأهداب القانون والذين يتوقفون عند رؤية الضوء الاحمر." في ما يتعلق بي، كان انطلاقي في مهمة بسيطة مغامرة، اذ ينتهي بي المطاف بعد خمس ساعات وانا تائه اشتعل حراً وأغالب الانهاك واليأس. في تلك اللحظات الساخنة المحمومة كنت اعي تماماً اني قد اغرقت الضواحي.

والمزايا التي راقت زوجة الوزير في بانكوك، هي نفسها تلك التي تحتجزني. اني اهوى، للمثال، الطريقة الفوضوية الخالية من الهموم التي يعرض فيها جزء من حياة بانكوك على الارصفة، لا تحول دونها الشمس الذاوية، ولا حركة السير الصاخبة أو الامطار الموسمية.

والتايلانديون من مدمني المطاعم التي تقدم الوجبات الخفيفة المبثوثة على الارصفة، وثمة عشرات الوف منها تلبي الحاجات المستعجلة لتناول المعكرونة في زبدية، أو قطعة جوّافة محلّاة، او كوب من القهوة المثلجة وقد تكثفت باضافة الحليب المحلى. وغالبية هذه المطاعم غير قانونية، لكنها تنبت فجأة في اي مكان يلوح فيه زبون محتمل.

وقد تولى أحد هذه المطاعم، القريب من منزلي، تقديم الطعام الى العمال الذي يشتغلون في مستشفى خاص ملاصق. وكان المطعم في البداية مؤلفاً من كشك معكرونة نقّال تجره كل صباح امرأة بهيجة. ثم توسع تدريجاً حتى أصبح مكوناً من ست موائد ذات مقاعد بلا ظهر أو ذراعين، ومظلات تقي الزبائن حرارة الشمس، وهو بذلك يملأ حيزاً كبيراً من الطريق الضيقة. وقد انغرزت فيها ذات مرة عجلات سيارة اسعاف فتوجب نقل المصاب على نقّالة في ما تبقى من الطريق، فمرت النقالة بجوار الممرضات اللواتي كن يتناولن وجبة خفيفة في المطعم.

لقد اضحى المطعم جزءاً لا ينفصل عن الجوار، حتى ان احداً لا يفكر في التخلص منه، ولاسيما رجال الشرطة الذين يتغدون هناك يومياً.

ضد الجاذبية

وخطر للبعض ان يتخلص من باعة الارصفة الذين يسدون الشوارع المفضية الى الاسواق المهمة. وقد بذلت جميع الادارات البلدية جهدها لضبطهم في حمّى

قصيرة كانت تنتابها لفرض سيادة القانون. لكن جهودهم باءت بالفشل لأن سكان بانكوك يهوون انتهاك القوانين بمقدار ولعهم بتناول الوجبات الخفيفة.

وأنا استمد متعتي من الاستعمال المجازي البارع للغة الانكليزية في قوائم الطعام. وها هي شركة خطوط محلية تعدك بـ"مضيفات فاتنات يقدمن إليك اكثر مما تتوقع." كما يقدم اليك مطعم كانتون "سلطة تافهة ومقالي." وكان أحد المقاهي الذي، واحسرتاه، لم يعد موجوداً، يعلن عن "طعام لذيذ المذاق في انتظارك في مقهى مخصص للراشدين". ويبعث في نفسي الغبطة ان في استطاعتي ان اخيط ملابسي في محلات خياطين ذات اسماء جذابة.

حتى الحوانيت الوضيعة تتسم ببهرج مضحك ان رغب المرء في رؤيتها. وألوانها مزوقة وزخارف معمارها البديعة تتحدى قوانين الجاذبية والذوق السليم.

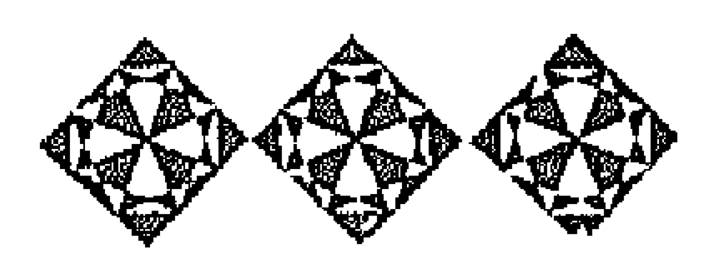
وثمة متجر لا يتجاوز عرضه المترين نسبة الى طوله، وآخر يعلو خمس طبقات فقط ويمتاز بحديقة مورقة على سطحه يعترش فيها نبات البوغاينفيللا، وفيها شجرات كاملة النمو. وهناك حانوت ثالث غير بعيد من مسكني على سطحه قفص ضخم يحوي مئات الطواويس البيضاء.

أساوم بائعي الأرصفة خارج سوق براتونام (وهي السوق الأثيرة عندي)، وأتمدد على كرسي طويل وأراقب الطائرات الورقية في سانام لوانغ، وأضيع في ازقة تشايناتاون المكتظة ثم ارتاد مطعماً متخصصاً بلحم الأفاعي.

نحن الذين نهوى بانكوك سرعان ما نتعرف إليها، وعادة ما يكون ذلك، كما حدث لي، بعد ايام قليلة.

انه ولع بالفوضى يجذب البعض، وجاذبية الى الثقافة تشدّ آخرين، لكن معظم الذين يحبون بانكوك لديهم احساس غريب باعث على السرور وهو انهم ينتمون الى ذلك المكان. وقد أفصح سومرست موم عن هذه المشاعر في كتابه "القمر والبنسات الستة"، وهي روايته المستندة الى قصة حياة بول غوغان الذي وجد السعادة في مكان عجيب: "ها هو البيت الذي كان ينشده، سيستقر في الامكنة التي لم ير مثلها قط، بين رجال كأنه يألفهم منذ مولده، مع انه لم يعرفهم قط."

وليم وارن ■



اذا كنت تعتقد أن أعمال المرأة وحدها لا تنتهي فانك لا تعرف الكثير عن مشاريع شق الطرق.

م.ب.

لولا استطلاعات الرأي لما قيض لنا أن نعرف ما لا يعطي فيه الناس رأياً قاطعاً.

صحيفة "وول ستريت جورنال"

تربية الأولاد بالعقل والصبر



نصائح طريفة لتربية الاولاد تسديها أم حاولت أن تكون ربة بيت مثالية

● التربية ●

منذ البداية رفض زوجي السماح لي بأن أثقفه، ولن أعرف ما اذا كان الحظ حليفي مع ولديّ الاثنين الا بعد ٤٠ أو ٥٠ سنة. لذلك أتجرّأ على ابداء اقتراحين تربويين لا غير:

١. كُوني بارعة في النقد حين يتعلّق الامر باختيار كتب من نوع "كيف تفعل كذا". والواقع ان هذه الكتب يجب أن تؤلفها الأمهات. الا ان الوقت ينقصُهُنّ لانشغالهنّ في تربية الاولاد. ولهذا السبب يؤدي العلماء التربويون هذه المهمة، فالوقت متّسِعٌ امامهم اذ ليس عليهم أن ينشئوا اولادا.

٢. كُوني نزّاعة الى الشك حين تسدي احدى الامهات نصيحة لم تُسألِ عنها،

وضاعفي تحفظك اذا استعملَتْ ألفاظاً مثل "مبدئيا" و"أبدا"، والاّ فستجدين نفسك تواجهين المشكلة التي واجهتُها مع والتر الصغير.

أعلنت والدة والتر ذات يوم: "في عائلتنا يأوي الصغار الى الفراش قبل الساعة الثامنة مهما كلّف الامر. وفي اليوم التالي سألَ والتر الصغير ابني الأكبر منه سناً: "هل شاهدت البرنامج الخاص ليلة أمس؟ كان رائعاً حقاً!"

وأثناء الغداء قال ابني وفي عينيه نظرة تلمّح الى أن ما من أحد يمكنه أن ينمو على نحو طبيعي مع أمّ تشبهني: "لقد سهر الجميع لمشاهدة البرنامج التلفزيوني الخاص ليلة أمس." وكان "الجميع" يعني والتر الصغير.

ولكن حين ألتقي أماً اكتسبت خبرةً وافرةً، فانها تقول بكل تواضع: "الامر واحد مع كل الاولاد، ففي المساء يأبون ان يأووا الى الفراش وفي الصباح يرفضون النهوض." عندئذٍ أعرف أن في امكاني تقبّل شيء من نُصحِها بكل ثقة. إلا ان الامهات من هذا الصنف نادراً ما يسدين نصيحة.

● المدرسة ●

حين يعود ابنك من المدرسة متذمراً: "ان فرضنا صعب جداً وأنا لا أفهمه،" فقد يعني ذلك أموراً عدة منها:

١. "لقد سئمت، فلتفكر أمي عني اليوم."

٢. "كنت أبصر حلماً جميلا، وصحوت فجأة حين قال الاستاذ: "عساه أصبح واضحاً الآن."

٣. الامران الاول والثاني معاً.

٤. الحقيقة.

ومهما تكن حقيقة الامر، قاومي رغبتك في المساعدة على النحو الآتي:

تجلس الام والولد معاً الى الطاولة. يسألها الولد: ٦ × ٧ = ٤٢؟" فتومىء الام برأسها ايجاباً. ويكتب الولد "٦ × ٧ = ٤٢." ثم يسأل: "٨ × ٨ = ٥٦؟" وينظر الى أمّه التي ترمقه بنظرة استهجان. ويتابع الولد تخميناته من دون أن يكتب شيئاً.

بهذا النوع من "المساعدة" لا يتقبّل الولد أي مسؤولية في أي سطر من الفرض. وتبقى كتب التمارين الخاص به نظيفة ومرتبة ومع ذلك فان الامهات من هذا الصنف غالباً ما يشتكين: "في المنزل يعرف ابني جميع الاجوبة، لكنه يحصل على علامات سيئة في المدرسة." ويجدْنَ المتّهم سريعاً... انه الاستاذ الذي لا يفهم الولد.

يمكننا مد يد العون الى أولادنا بوسائل شتى، كأن نصحّح لفظهم وهم يقرأون أمامنا ونضبط لهم التهجئة والمفردات ونسرّي عنهم حين يخفقون في أحد الامتحانات ونكافئهم بوجبة خفيفة بعد ساعات طوال أمضوها مكبين على كتبهم. انما لا يجدر بنا البتة أن نفكر عنهم.

● مساعدة من الاولاد ●

أكره أن أتحمل وزوجي جميع الاعمال المنزليّة. لذلك أوكلُ الى الاولاد بعض المهمّات الصغيرة، كترتيب المائدة. ولا يجدر تحميل الاولاد أعمالا كثيرة، انما عليهم تأدية العمل من دون التماس

معيّن. فانك حين تطلبين المساعدة من ولد فانه يجيب عادة: "عليّ أن أذهب الى الحمّام" أو "اني أحلّ مسألة رياضيّة صعبة." وريثما يصبح جاهزاً لتأدية العمل تكونين أنجزته بنفسك.

وقد أدهشني ابني الصغير حين أعلمني أنه أدّى من الاعمال المنزلية أكثر ممّا أدّاه جميع زملائه في الصف. فلم أستطع تصديق هذا الامر حتى اكتشفت في ما بعد أن تلاميذ الصف كتبوا عن المساعدات التي يؤدونها في البيت، وقد ذكر ابني كل حالة منفردة قدّم فيها أي عون.

ومنذ ذلك الوقت وأنا أعيش في خشية دائمة من منظمات حماية الاطفال ومن اي امرأة قد تقضي على عامل متمرّس في الاعباء المنزلية، الا وهو زوج شاب.

● الطبخ ●

الطبخ الجيّد هو في معظمه مسألة تنظيم. ويجب توقّع الاسوأ اذا ما سألت نفسك في الحادية عشرة الا عشر دقائق: "بربّك، أي طبق أقدّم اليوم على المائدة؟" ولا تحوي الثلاجة سوى بيضة واحدة وجزرتين ذابلتين وسمكة سردين وصحفة حلوى صغيرة. فلا يمكن أي خيال مهما اتّسع أن يحول هذه وجبة لائقة. لهذا السبب أنت مجبرة على التسوّق.

لكن طفلك نائم، وهو يجيد المشي بخطى قلقة، لكنه يقظ الى حدّ بعيد مما لا يسمح لك بتركه في المنزل وحده. عليك اذاً أن تلبسيه ثيابه. ونظراً الى البرد القارس في الخارج فيجب أن تلبسيه قفازين أيضاً. وللقفازين ابهامان... كذلك للأولاد. انما يبدو أن ابهام القفّاز وابهام الطفل لا تلتقيان ابداً. ولا تصيبين الّا في المرّة الثالثة، وذلك في الايام التي يحالفك فيها الحظّ. لكن اليوم ليس منها.

وبطريقة أو بأخرى تنجحين في تجهيز نفسك والوصول الى الملحمة في الحادية عشرة والدقيقة العاشرة. واذ ينصرف اللحام الى خدمتك تشعرين فجأة أن ثمة أمراً على غير ما يرام. كل الانظار تحدّق في الاتجاه نفسه، حيث طفلك يقضم نقانق نيئة. وعلى مرأى من جميع النساء المستنكرات تضربينه على يده.

ولكن ماذا تفعلين بالنقانق؟ انها محفوظة في كيس من البلاستيك عجزت أسنان ابنك عن ثقبه. لكنك تترددين في اعادة الكيس الى مكانه. لذلك تقرّرين أن تكون النقانق عشاء الليلة، على رغم أنك وزوجك تكرهان مجرد رؤيتها.

كان في وسعك التصرف على نحو أفضل لو فكّرت قليلا. خذي الطفل الى الحديقة العامّة بعد الظهر، وتسوقي بهدوء وسلام في طريق عودتك الى المنزل في وقت لا تكون الدكاكين مكتظة. وفرّي طاقتك للاوقات المحمومة التي لا بد من حدوثها.

● المزاج ●

لنقل ان طفلك أسقط كوباً من الحليب والشوكولاته فانساب المشروب على السجّادة. أمامك طريقتان لمعالجة الموضوع:

١. ضبط الاعصاب: تمسكين أقرب قطعة من القماش وتمسحين المكان المتّسخ ثم تشطفينه بالماء البارد،

.فيكاد لا يبقى أي أثر للحادث المؤسف. عندئذ يمكنك أن تشرحي لطفلك أنه لا يجوز وضع الكوب قريباً جداً من حافّة الطاولة، أو غير ذلك.

٤. فقدان الصواب: تطلقين صرخة ثاقبة وتعلنين أنك تحمّلت ما فيه الكفاية وان هدفك في الحياة ليس مجرّد الغسل والتنظيف. أنت على شفير الجنون. فيحدّق اليك طفلك غير فاهم وفي ظنّه أن أمّه تتكلم الصينية وتبدو كالدينوصور المرسوم في كتابه الملون. وفي هذه الاثناء تكون السجّادة امتصّت كل الحليب والشوكولاته وبات من الصعب تنظيفها.

وقد تكون لهذه الحالة الاخيرة عاقبة في مرّة تالية حين يقلب أحد الضيوف كأساً من الشراب، فتهونين عليه الامر وهو يقدّم اليك الاعتذار وتقولين ان السجّادة ليست سريعة العطب وان هذا الامر قد يحصل مع كل واحد منّا. عندئذ قد ترين طفلا يقف عند الباب وفي عينيه الجاحظتين ألف سؤال. بالنسبة اليه لم يعد للعالم في تلك اللحظة أي معنى!

● التلفزيون ●

"أمي، أيمكن أن أشاهد برنامج الرعب؟"

– لا، لا يمكنك مشاهدة هذه البرامج بعد!

"لم لا؟ أنت تسمحين لأخي بمشاهدتها."

– اخوك في الثانية عشرة من عمره.

"الا يمكن أحداً أن يحضر برنامج الرعب قبل بلوغ الثانية عشرة؟"

عندئذ أشرح له بكل صبر: "اسمع. يحبّ أناس كثيرون تناول القنبيط المطبوخ باللحم. ولا يسبب لهم هذا الطبق أي أذى. لكن اذا أطعمت منه طفلا فانه يسبّب له ألماً حادّاً في المعدة، لأن معدته حسّاسة جداً، ولا تتحمّل طعاماً كهذا. وينطبق الامر نفسه على برامج الرعب. فحين يشاهدها ولد صغير يعجز دماغه عن هضمها، فيصيبه الذعر ولا ينام."

وبعد هنيهة سألني ابني: "هل يفعل الناس ذلك غالباً؟"

– يفعلون ماذا؟

"يطعمون طفلا طبق القنبيط باللحم."

– بالطبع لا. لا يفعل ذلك اي شخص صاحب ادراك!

– "اذا كيف تعرفين أن القنبيط باللحم يسبّب وجع معدة للطفل؟"

وذات ليلة حصلت أعجوبة. عدنا الى المنزل لنجد كومة متألمة تتمتم: "كنت على حق يا أمي."

في البدء عجزت عن تصديق أذني. ثم أخبرني بما حدث. لقد سمحت لابني بمشاهدة برنامج تلفزيوني بعدما وجدت احدى حلقاته مناسبة، لكني لم أستطع التكهن بأن الحلقة التالية ستضم وجهاً يملأ الشاشة وقد تشوّه نصفه بالطلقات النارية. وتنهّدَ ابني باكياً وقال: "أعرف الآن ما معنى أن أشاهد شيئاً لا يمكنني هضمه!"

● الارهاق ●

في معظم حالات الارهاق يقع اللوم على ربّات المنازل أنفسهنّ. لنقل ان عمتك ستمر لزيارتك. انك حقاً مبتهجة

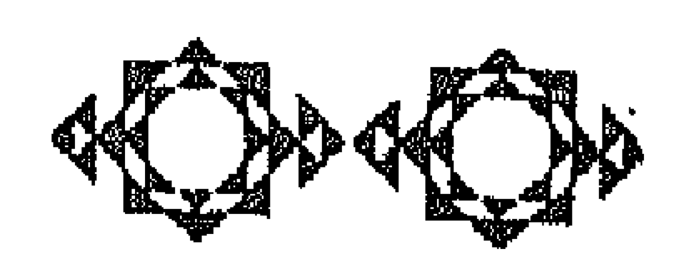
للامر. وصباح اليوم الذي ستزورك فيه يصاب ابنك الأكبر بالزكام وتطلع سنٌ لابنك الاصغر. وبعد الفطور تعتزمين فجأة تنظيف البيت كله بالمكنسة الكهربائية. وقبل البدء تضعين الكعكة التي حضرتها من فورك داخل الفرن وتملأين الغسّالة بالثياب المتّسخة. لكنك تغفلين فتح صنبور الماء. وتدور الغسالة "على الناشف" كل دورتها، فتضطرين الى ادارتها ثانية. في هذه الاثناء يبلل ابنك الاصغر حفاضه ويصنع ابنك الأكبر "رجل ثلج" بمسحوق الغسيل.

ولا يزال كل شيء على ما يرام حتى الآن. وبعد حين تتّصل بك احدى الصديقات لتسألك هل ترغبين في زيارة معرض للفنّ الصيني القديم. لكنك ترفضين بلطف، كونك لا تشعرين في الوقت الحاضر بأي اهتمام حقيقي للفن الصيني القديم. ولا تلبث أن تبلغك رائحة مألوفة من المطبخ تنذرك بأن الكعكة نضجت. وبينما ينقلي السمك على النار ترفعين الكراسي على الطاولة لتنظفي المكان بأسرع وقت ممكنٍ بينما تأخذ الاولاد سنة من النوم.

وأخيراً تصل العمّة. فترى أمامها ابنة أخٍ منهوكة ترتدي كنزة تنبعث منها رائحة سمك تعمُّ المكان، وولدين متجهمي الوجه. واذ تمسح يديها خفية بمحرمتِها، لعدم وجود مناديل على الطاولة، تسأل نفسها هل هي حقاً على الرحب والسعة.

كان يجوز أن تكون الامور مختلفة تماماً لو قمت بالاعمال الضرورية فقط من غير أن تستسلمي للاغراءات. فلا بأس اذا غسلت الثياب لأنه لم يعد لأحد قطعة واحدة يرتديها. ولا بأس في أن تحضري كعكة اذا لم يتوافر مخبز واحد على مقربة من منزلك. ثم اغفلي الكنس الكهربائي على رغم وجود فتات خبز وغبار تحت طاولة الطعام، فالناس يغضون الطرف عن الفتات والزغب في منزل أمّ لولدين صغيرين لا تملك سوى يدين اثنتين.

رينات غيرلاك ■

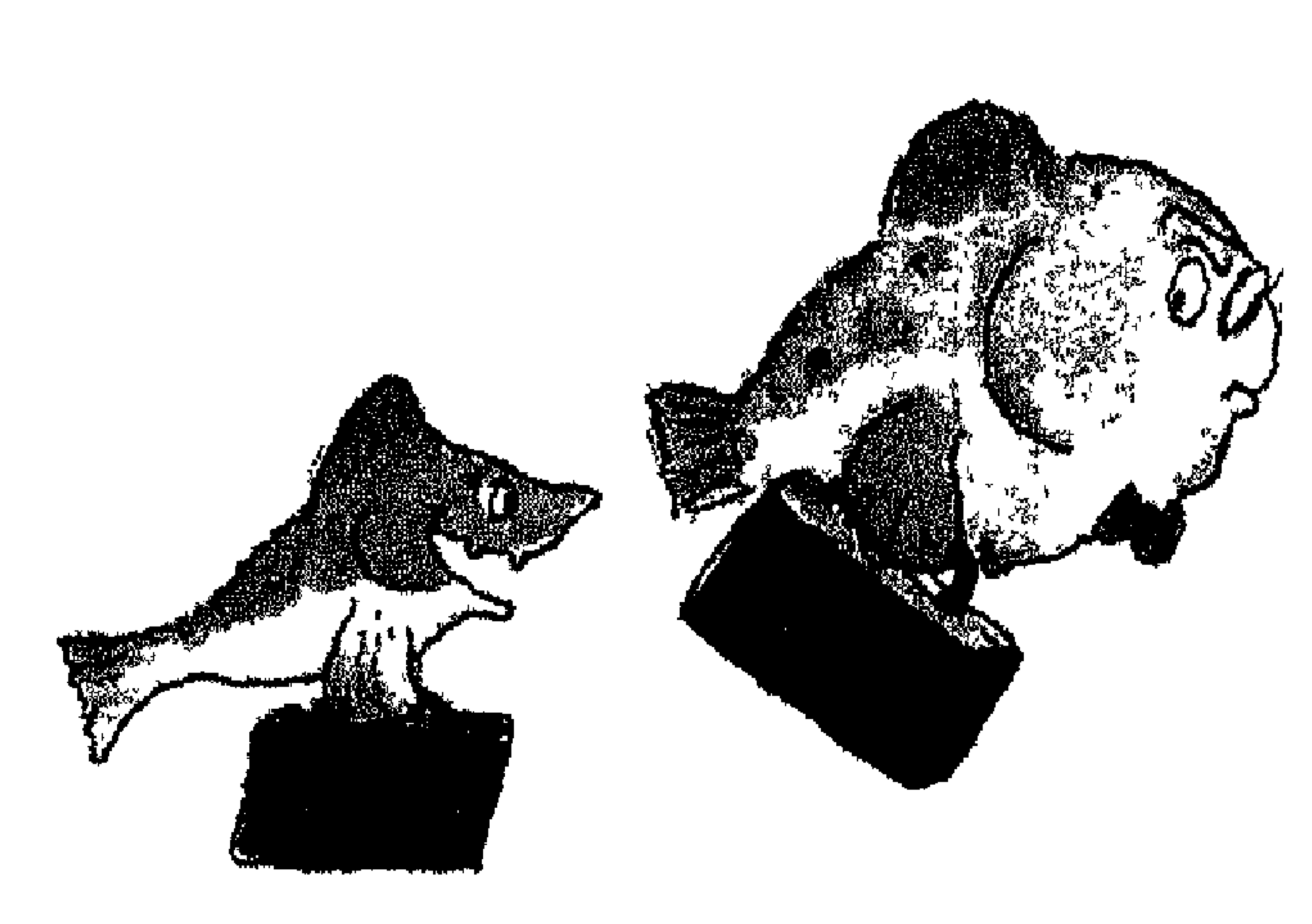


حلوى مثلجة

بعد عاصفة ثلجية شديدة عمد رجل الى جرف الثلج عن الطريق المؤدية الى بيت جاره. وفي اليوم التالي طرق الجار بابه وهو يحمل طبقاً من الحلوى. وكان الرجل يعرف مهارة زوجة الجار في اعداد الحلوى، فقال لها بصوت خافت: "لم يكن ثمة داع لهذا."

وفي وقت لاحق بينما العائلة تتلذذ بالتهام الحلوى الشهية قال الرجل لزوجته مازحاً: "حبذا لو تتعلمين من جارتك طريقة اعداد هذه الحلوى." وعندئذ تدخل الابن قائلا: "أظن أن الطريقة المتوافرة لنا جيدة جداً: نصف ليتر من الوقود ونصف متر من الثلج المتراكم. اجمعهما في جرافة ثلج وترقب النتيجة."

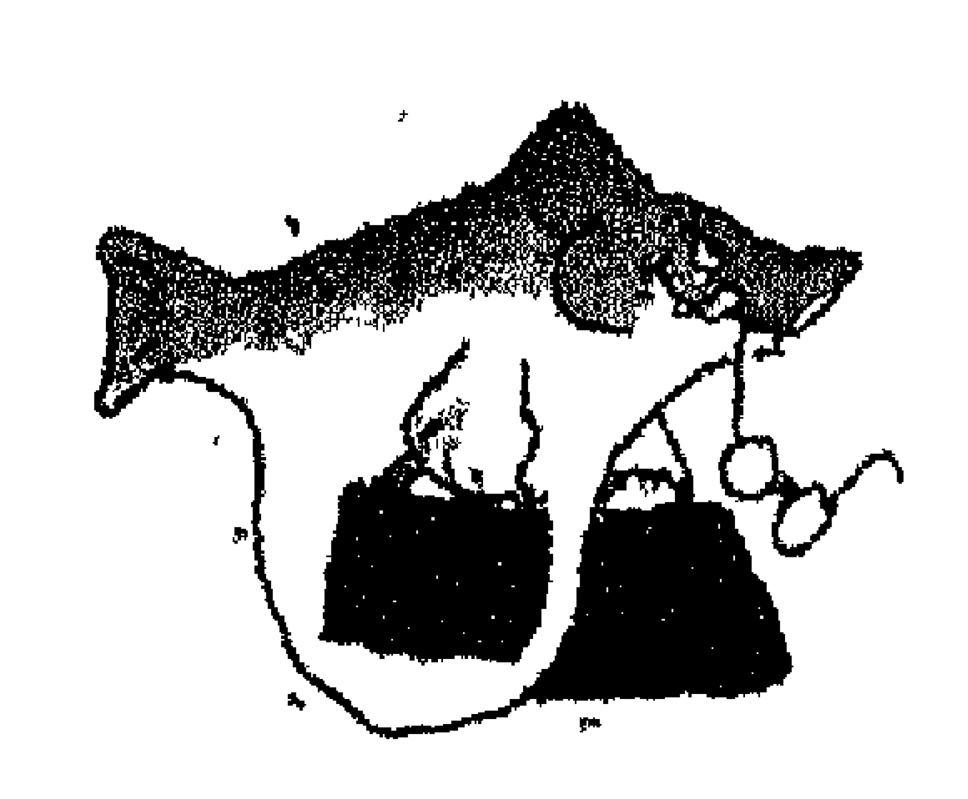
هـ.هـ.



دائرة المعارف

للعرب أقوال مأثورة في وصف الاكثار والتفضيل على أنواعهما. قالوا: "أمضى من السيف" و"أبعد من الثريا" و"آلف من الحمى" و"أعدى من العقرب" و"أحلّ من لبن الام" و"أفسد من السوس" و"أبكر من غراب" و"أجوع من ذئب" و"أجرد من صلعة." وهنا أقوال من هذه، والمطلوب من القارىء أن يكمل كل قول بواحد من الخيارات الاربعة الملحقة، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. آكَلُ من: دود - حوت - ثور - دجاجة.
٢. أبصَرُ من: خلد - فهد - صياد - زرقاء اليمامة.
٣. أجهَلُ من: عاشق - غلام غرّ - فراشة - غريب.
٤. أصنَعُ من: النحل - طائر معشش - أرنب - سعدان.
٥. أدنى من: الخنصر - حبل الوريد - الغد - السوار.
٦. أحمَقُ من: ببغاء - نملة - جبان - قابض على الماء.
٧. أحقَدُ من: بومة - تمساح - جمل - حمار.
٨. أبهى من: القمرين - ثوب عروس - وردة - عذراء.
٩. أصفى من: الماء - اللبن - عين الديك - قلب صديق.
١٠. أوهَنُ من: إصبع طفل - بيت العنكبوت - مريض - خيط حرير.
١١. آمَنُ من: حمام مكة - ملك - حصن - فرخ نسر.
١٢. أحَرُّ من: الشوق - جلد الحية - رمل البحر - الجمر.
١٣. أثبَتُ من: وتد - وعد - خاتم في الاصبع - وشم.
١٤. أعطَش من: سمكة - مسافر - قمع - شجر الزيتون.
١٥. أسرَعُ من: العدوى - البرق - الناقة - الطاووس.
١٦. أبطأ من: غراب نوح - سحابة - جدول - ظبي وليد.
١٧. أحزَمُ من: حطّاب - قاض - حرباء - جندي.
١٨. أتبَعُ من: رفيق - كلب وفي - ظل - خادم.
١٩. أجبَنُ من: ذبابة - هر منزلي - ضفدع - نعامة.
٢٠. أذَلُّ من: نعل - زهرة عطشى - سجين - تائه.
٢١. أنكَرُ من: نقطة ماء - شيء - حبة رمل - شحاذ.
٢٢. أجدى من: المال - الغيث - موج البحر - العلم.
٢٣. أخَفُّ حلماً من: شاعر - حارس - عصفور - فيل.
٢٤. أكذَبُ من: صائغ - منجّم - قصّاص - أسير.
٢٥. أيأسُ من: غريق - مالك الحزين - مسافر - عبد.



الأجوبة الصحيحة

١. آكَلُ من: حوت ومن ضِرس ومن الرّحى ومن السوس ومن النار.

٢. أبصَرُ من: عقاب ومن نسر ومن الوطواط في الليل ومن زرقاء اليمامة، وهي امرأة من جديس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام.

٣. أجهَلُ من: فراشة، لأنها تتهافت على السراج فتهلك.

٤. أصنَعُ من: النحل ومن دود القز.

٥. أدنى من: حبل الوريد، وهو عرق في العنق.

٦. أحمَقُ من: ماضغ الماء ومن ناطح الماء ومن القابض على الماء ومن ناطح الصخر.

٧. أحقَدُ من: جمل.

٨. أبهى من: القمرين، يعني الشمس والقمر.

٩. أصفى من: الدمعة ومن عين الديك ومن جنى النحل أي العسل.

١٠. أوهَنُ من: بيت العنكبوت.

١١. آمَنُ من: حمام مكة، لأنه لا يُثار ولا يُهاج.

١٢. أحَرُّ من: الجمر ومن النار ومن المرجل ومن دمع المِقلات، والمقلات هي المرأة التي لا يعيش لها ولد. ويقولون إن دمعة الحزن حارة ودمعة الفرح باردة.

١٣. أثبَتُ من: الوشم.

١٤. أعطَشُ من: رمل ومن قمع ومن ثعالة، وهو الثعلب.

١٥. أسرَعُ من: البرق ومن البَيْن ومن الطّرْف ومن لمح البصر ومن رجع الصدى ومن اليدِ الى الفم.

١٦. أبطأ من: غراب نوح، وهو الغراب الذي أرسله سيدنا نوح لينظر هل زالت المياه عن الارض ويأتيه بالخبر فلم يرجع.

١٧. أحزَمُ من: الحرباء، لانه اذا صعد الى شجرة لا يخلي غصناً حتى يمسك آخر.

١٨. أتبَعُ من: الظل.

١٩. أجبَنُ من: نعامة، ومن صافر وهو طائر يأخذ غصن شجرة بقائمتيه ويتدلى منكوساً ويصفر طوال الليل مخافة أن ينام فيؤخذ.

٢٠. أذلُّ من: النعل، ومن الوتد لأنه يُدق أبداً، ومن البساط لأنه يُفرش فيطأه كل أحد.

٢١. أنكَرُ من: شيء، والشيء أنكر النكرات لأنه يُطلق على جميع الموجودات.

٢٢. أجدى من: الغيث في أوانه، والاجداء النفع.

٢٣. أخَفُّ حلماً من: عصفور، والعرب تضرب المثل بالعصفور لأحلام السخفاء.

٢٤. أكذَبُ من: أسير، لأنه يكذب لينجو.

٢٥. أيأس من: غريق.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز

١٦ - ٢٠: جيد جداً

١١ - ١٥: مقبول

سلام انتارتيكا

الأحلام بالثروات المختبئة تحت الجليد قد تؤدي الى تزاحم دولي خطير على أكثر قارات العالم سلاماً وأماناً

على هذا الكوكب المكتظ بالسكان قارة عذرية تنعم بهواء نقي وتسطع فيها شمس الصيف لفترة أطول من فترة سطوعها في كاليفورنيا. لكنها ليست بجنة عدن. هذه القارة هي أنتارتيكا (١) أبرد الاصقاع على سطح الكرة الأرضية وأجفها وأعلاها وأعصفها رياحاً، الى كونها شبه خالية من مظاهر الحياة. ويكاد لا ينمو شيء فيها. ومع أن المياه الحلوة متوافرة، اذ تحوي هذه القارة ٧٠ في المئة من مياه العالم، فإن هذه المياه محبوسة في طبقة من الجليد الخالص. ولا يعيش هناك سوى البعثات الرسمية التي تتكون بمعظمها من علماء يديرون محطات أبحاث تابعة لـ١٦ دولة مختلفة.

لكن صحراء الجليد هذه التي يلمع وميضها عند أسفل الكرة الأرضية يمكن اعتبارها جنة في بعض النواحي. فهنا تتحقق كل أحلام البشرية بالسلام العالمي. فلمدة ٢٥ سنة بقيت أنتارتيكا خالية من الوجود النووي ومنطقة سلام لا سلاح فيها، وذلك بفضل معاهدة(٢) تشتمل على مستويين من التعامل. فلأي دولة عضو في الأمم المتحدة، ولأي دولة

---

(١) انتارتيكا هي قارة القطب الجنوبي.

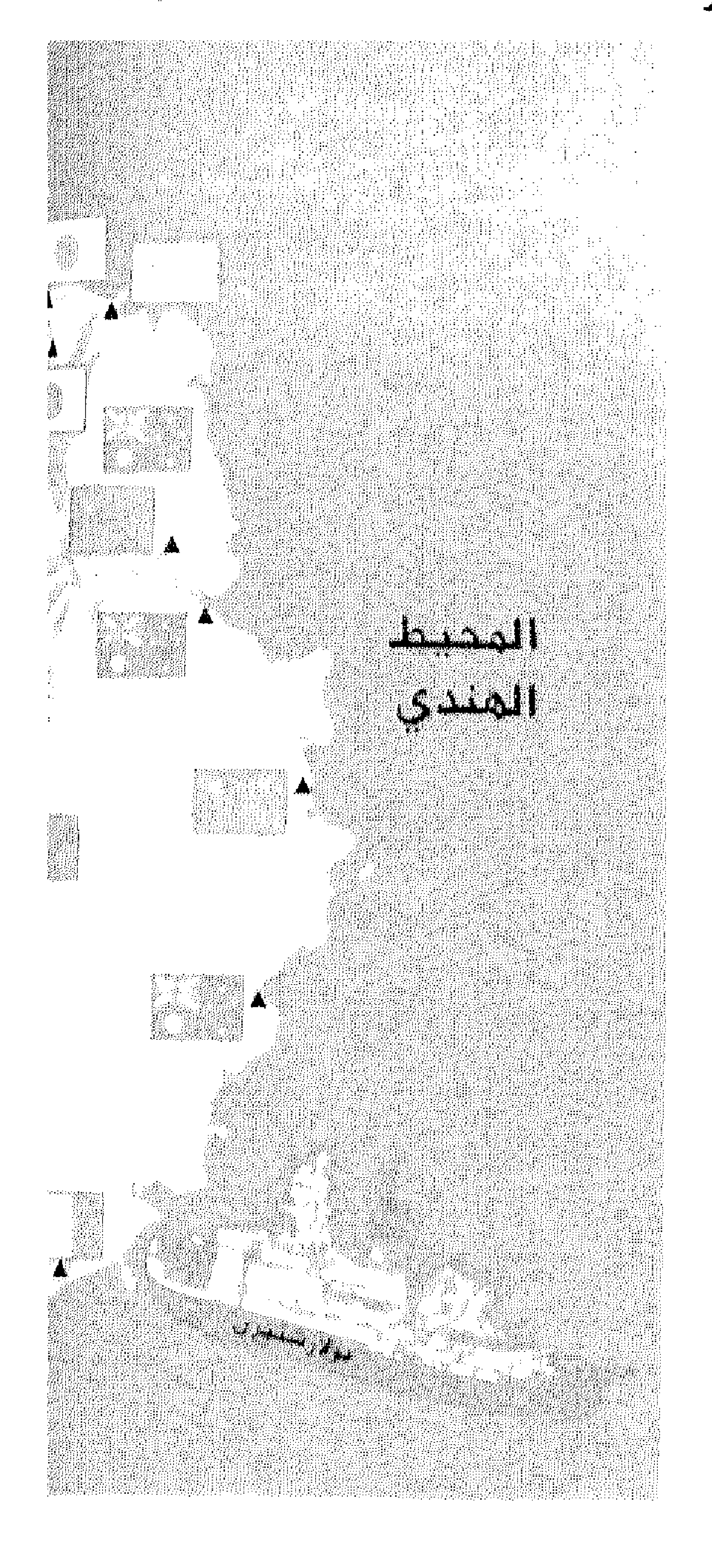
(٢) طالع "رحلة الى أسفل الكرة الأرضية" في الصفحة ٣١ من العدد ٨٧ من "المختار" الصادر في فبراير (شباط) ١٩٨٦.

يدعوها افرقاء المعاهدة، الحق في دعم معاهدة انتارتيكا من خلال الانضمام اليها. وهذا ما فعلته ٣٢ دولة حتى الآن. ويحظى كل من الدول المؤسسة وعددها ١٢ والدول الناشطة في ميدان الأبحاث هنـاك وعددهـا ١٨(٣) بلقب "فريق استشاري" ويشترك في تسيير أمور القارة. ولقد حقق افرقاء المعاهدة نجاحاً كبيراً بالاتفاق على سبل المحافظة على الحياة البحرية في انتارتيكا.

لكن هذه المعاهدة المتميزة مهددة الآن بالأطماع المادية. فبعض البلدان غير الموقّعة يستبصر امكانات الحصول على أرباح طائلة من الموارد الخيالية التي تنتظر من يخرجها من تحت سطح الجليد في انتارتيكا، ومنها حقول نفط ضخمة قد تساوي حقول ايران ومخزون من الثروة المعدنية قد يضاهي ما في جنوب افريقيا.

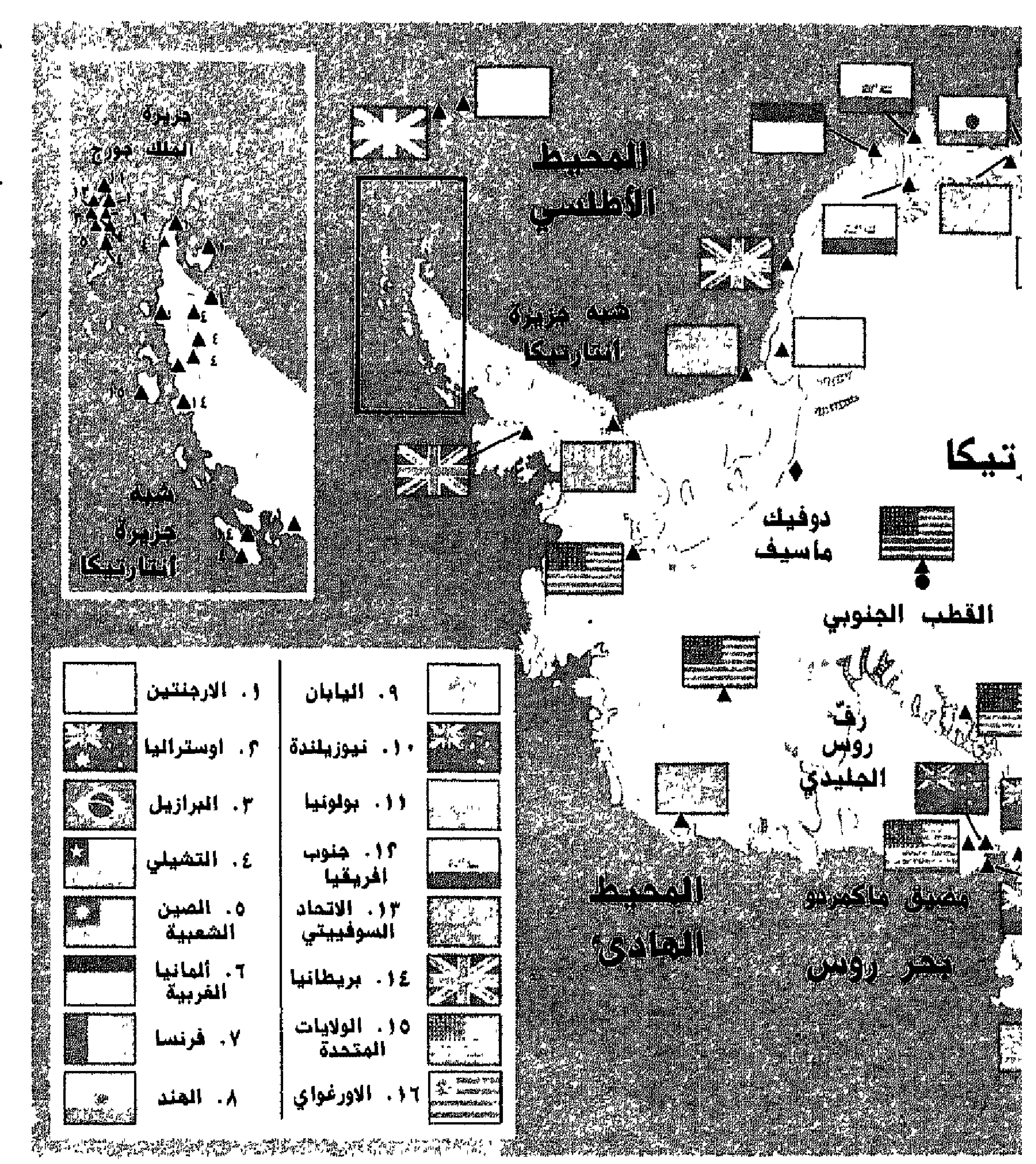
الحقوق الاقليمية - الواقع أنه لم يحصل بعد أي اكتشاف مثير للثروات المعدنية وما زال البحث عنها في نقطة البداية. لكن الضغوط تزداد حول مسألة استغلال الموارد المحتملة ومن سيكون له الحظ في الثراء. وبدأ بعض الدول يناور ليحظى بوضع يمكنه من دخول حلبة التسابق المحتمل في انتارتيكا.

إن القنبلة الموقتة في أنتارتيكا تتمثل في أن المعاهدة تجنبت خوض مسألة من يملك ماذا؟ وهكذا فان الدول الـ١٨ الموقعة والناشطة في ميدان الأبحاث تحاول أن تتفق على إطار لاتخاذ القرار حول امكان تنمية الثروة المعدنية



التي قد تكتشف. وفي الوقت نفسه يعمد الكثير من هذه الدول الى تعزيز برامج الابحاث وبناء محطات جديدة وسفن

(٣) الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبريطانيا وفرنسا والنروج وبلجيكا والأرجنتين والتشيلي واليابان واوستراليا ونيوزيلندة وجنوب افريقيا وبولونيا والهند والبرازيل والمانيا الغربية والصين الشعبية والاورغواي.



Map: Vahe Kirishjian

أبحاث كاسحة للجليد ومطارات.

وهناك بلدان اخرى، مثل ايطاليا وهولندا، كانت تراقب النشاط المندفع ويخالجها الاحساس بأن انتارتيكا في طريقها الى البيع بالمزاد العلني، فما لبثت ان بدأت برامج أبحاث خاصة بها ستكسبها حق ابداء الرأي في مستقبل القارة.

وتحاول ماليزيا أن تخضع نظام معاهدة انتارتيكا للأمم المتحدة، وتطلب من دول عدم الانحياز مساعدتها في المحاولة. ويتخوف بعض بلدان هذه المجموعة من

توزيع مغانم آخر قارة نقية حصصاً تتقاسمها دول قليلة محظوظة. لذلك تطالب باعلان القارة "إرثاً مشتركاً للانسانية" كما هي حال قاع البحر. ويقول الدكتور مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا: "ان الحصرية والسرية في المعاهدة لا يمكن التسامح بهما. فمن الممكن أن يأتي يوم نجد ان القطب الجنوبي هو من الذهب الخالص وليس في استطاعتنا الحصول على شذرة منه."

لكن انهيار معاهدة انتارتيكا قد يفتح الباب أمام التنقيب وحفر المناجم وحتى السياحة من دون ضوابط، مما سيسبب كارثة للتوازن البيئي الدقيق. والادهى من ذلك أن الصراع العلني على المعادن قد يحول ميدان أنجح تجربة سلمية في العالم ساحة حرب.

ومن دواعي الأسف أن ليست هناك أجوبة سهلة عن السؤال الحيوي المتعلق بالحقوق الاقليمية يمكن الوقوع عليها في تاريخ القارة. فأول ابحار حول انتارتيكا حققه قبل قرنين المكتشف البريطاني القبطان جيمس كوك. لكن الرؤية الاولى عن قرب للقارة في العام ١٨٢٠ تدعي شرف تحقيقها سفن بريطانية وروسية وأمريكية. وأول من وطأت قدماه الجليد يعتقد أنه صائد فقمة أمريكي. وأول من رفع علماً الفرنسيون وأول من وصل الى القطب الجنوبي النروجيون وأول من طار الى هناك الامريكيون. وكان النروجيون أول من تجرأ على قضاء الشتاء في انتارتيكا والبريطانيون أول من عبر القارة. وفي العام ١٩٧٨ ولد لزوجين يعملان في محطة أرجنتينية صبي كان أول طفل ترى عيناه النور في القارة الجديدة.

توتر وقلق - مع حلول العام ١٩٤٣ كانت سبع دول أعلنت سيادتها على أجزاء من انتارتيكا. وتصل جميع هذه الاجزاء، الا جزء النروج، الى القطب الجنوبي. وتدعي اوستراليا سيادتها على نصف القارة، وذلك يمثل كبرى الحصص. بينما تدعي نيوزيلندة السيادة على الجزء الذي أقامت فيه الولايات المتحدة محطتها الرئيسية في مضيق ماكمردو. كما أن هناك وضعاً ربما كان متفجراً في منطقة شبه جزيرة أنتارتيكا حيث تدعي كل من بريطانيا والتشيلي والارجنتين السيادة على بعض المناطق الواقعة في نطاق سيادة البلدين الآخرين. وشبه الجزيرة منطقة مهمة لانها تصل الى مياه تكاد تخلو من الجليد قرب طرف أمريكا الجنوبية. فجزيرة الملك جورج عند رأس شبه الجزيرة الذي يمكن الوصول اليه بسهولة تشكل مركزاً لسبع محطات مختلفة تضم الالمان الشرقيين الذين يشاركون السوفييت في إحدى قواعدهم.

ان معاهدة انتارتيكا تضع الدعاوى الاقليمية في حيز اللاقرار اذ تنص على أنه لا يمكن أي أنشطة "أن تشكل أساساً لتأكيد أي دعوى أو دعمها أو نكرانها." فرئيس التشيلي الجنرال اغوستو بينوشيه يمكنه مثلا أن يقبّل تراب انتارتيكا ويلقي الخطب الحماسية من دون أن يعلن منافسوه في انتارتيكا الحرب عليه. وهكذا فعندما رد الارجنتينيون بعقد اجتماع وزاري على

الجليد لم تحصل أيّ مواجهة. وعندما وقع الصراع المسلح بين الأرجنتين وبريطانيا في جزر الفوكلاند عام ١٩٨٢ تابع موفدون من البلدين البحث في المنافع المشتركة في انتارتيكا على طاولة المؤتمرات نفسها.

وفي هذا المجال نجد أن الاطراف الاستشارية الثمانية عشر تحاول جاهدة ايجاد طريقة لمعالجة التوتر الذي يمكن أن ينشأ عن تطوير أي ثروات معدنية يخبئها الجليد واستغلالها وتقاسمها. فكل البلدان المشاركة تعرف حقاً أنه لا يمكن التوصل الى اتفاق عادل اذا عُرفت القيمة التجارية الحقيقية للقارة. ومما يزيد في الحيرة والقلق المفهوم الخاطىء أن المعاهدة تنتهي عام ١٩٩١. ويؤكد والتر سيليغ من برنامج أبحاث انتارتيكا التابع للولايات المتحدة: "هذا هراء. فالمعاهدة تنص بوضوح على أنه يمكن اعادة النظر فيها بعد ٣٠ سنة، وذلك بناء على طلب أحد البلدان الموقعة عليها."

في هذا الوقت تقوم اعداد متزايدة من سفن المؤونة وكاسحات الجليد وسفن الابحاث بخوض عباب الجليد كل صيف للوصول الى المحطات العلمية النائية. وقد ظلت نشاطات الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي متشابهة حتى الآن وبعيدة عن التسابق. لكن هناك بلداناً اخرى سجلت تاريخاً نشيطاً في انتارتيكا وتحاول الدخول في مغامرات جديدة. فاليابان أقامت محطة أبحاث دائمة ثالثة وبنت كاسحة جليد كبيرة جديدة. واستأجرت اوستراليا سفينة تموين ألمانية مجهزة للركاب وللشحن، وتفكر أيضاً بإقامة اتصال جوي. وتخطط فرنسا لبناء مطار يسهل الوصول بالطائرة صيفاً. وفي منطقة شبه الجزيرة زادت بريطانيا مساهمتها المالية بعد حرب الفوكلاند، بينما تتسابق التشيلي والارجنتين المفتقرتان الى المال اللازم للعلوم المتقدمة، على تأسيس الجاليات والمدارس والمحلات التجارية والكنائس. ولقد افتتحت التشيلي أول مقصف للزوار في القارة وتنوي أن تطور "مدينة هي مدخل الى حقبة مقبلة أساسها السياحة والتعدين." وتسرف الأرجنتين في تنظيم حفلات الزواج والولادة والاعياد على رغم اقتصار بعثتها على حفنة من عائلات العسكريين الذين يخدمون في القواعد الصغيرة المقفرة.

أما دخول ألمانيا الغربية انتارتيكا فظاهرة تسترعي الانتباه. فهي وقعت المعاهدة عام ١٩٧٩ ثم أصبحت فريقاً استشارياً بعد سنتين، لكنها الآن تنافس الدول العظمى في الأبحاث. فلديها محطة واحدة للاقامة الشتوية وثلاث محطات صيفية على الجليد وطائرتان وكاسحة جليد هي "بولارشتيرن" التي كلفت ٦٧،٨ مليون دولار والتي تعتبر من أكثر سفن الابحاث تقدماً.

نفق في العسل – في هذا الوقت تشرع دول أخرى في تنظيم برامج أبحاث ستؤهلها لعضوية الدائرة الداخلية للأفرقاء الاستشاريين. فخلال موسم ١٩٨٤ – ١٩٨٥ أقامت بعثة من جمهورية الصين الشعبية محطتها الأولى "الجدار العظيم" في انتارتيكا مرفقة إياها

بمركز بريد لجني الأرباح من الهوس العالمي بجمع طوابع بريدية من انتارتيكا. وانشأت الاورغواي مخيماً صغيراً كبداية. وفي اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٥ أصبحت الدولتان - الصين والاورغواي - فريقين استشاريين. وبين ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥ وفبراير (شباط) ١٩٨٦ عمدت بعثة ايطالية الى استكشاف منطقة خليج تيرا نوفا بهدف تعيين موقع مناسب لانشاء محطة. ويجري العلماء الهولنديون أبحاثهم في مختبرات ضمن مستوعبات (containers) يمكن إرسالها على متن السفينة "بولارشتيزن" الى انتارتيكا. وينتظر أن تحذو دول أخرى كالسويد (أسوج) حذو هولندا.

فلا عجب أن نرى البلدان التي لا محطات لها، خصوصاً بعض دول العالم الثالث، وقد خالجها شعور بالخيبة وبأن القطار يفوتها. ويحاول أفرقاء المعاهدة عبثاً التأكيد أن المعاهدة تعمل على نحو ممتاز وانها ليست اتفاقاً حصرياً. فكل بلد يوقعها يمكن أن يحصل على مقعد الى طاولة المفاوضات كمراقب، وأن يصبح عضواً له حق التصويت بعد القيام بأبحاث جوهرية وان لم تكن مكلفة من الناحية المادية. فالهند مثلا تجرأت وأرسلت في موسم ١٩٨١ - ١٩٨٢ بعثة تضم ٢١ رجلا بكلفة مقدارها ١،٧٥ مليون دولار فقط، وبعد ذلك انضمت الى المعاهدة كفريق استشاري عام ١٩٨٣. ويقول الدكتور س.ز. كاظم مدير البرنامج الهندي: "ان الأبحاث التي نجريها في أنتارتيكا تكلف نحو خمسة ملايين دولار سنوياً. ولدينا الآن محطة دائمة التشغيل على مدار السنة."

أمّا البرازيل فحققت الانجازات نفسها تقريباً بموازنة تقل عن ثلاثة ملايين دولار. ويقول أنطونيو روكا - كامبوس من جمعية أنتارتيكا البرازيلية: "لقد عدلنا سفينة تموين قطبية دنماركية وأقمنا مخيماً صيفياً صغيراً تم توسيعه للاقامة في فصل الشتاء أيضاً."

أمّا المنعطف الأغرب في هذه القضية فهو أنه لم يتم اكتشاف أي شيء ذي قيمة تجارية في انتارتيكا. والواقع أن هناك محطة سوفييتية بنيت حديثاً قرب مخزون من الفحم الحجري هو من الكثافة بحيث يسهل اقتطاع بعض أجزائه بالازميل. ولكن عندما سأل جون بيرنت من المركز الامريكي للأبحاث الجيولوجية عما إذا كان السوفييت سيستخدمون الفحم للتدفئة ضحك هؤلاء وقالوا: "انه لمن الاسهل والأوفر علينا احضار الفحم الحجري من أعلى الكرة الأرضية الى أسفلها."

وحتى ان صحت التوقعات المتفائلة بالثراء الخيالي، فان هناك صعوبات جمة في استخراج ما تحت الجليد. فإحدى المناطق التي تضم دوفيك ماسيف قد تكون كمجمّع بوشفلد في جنوب أفريقيا من حيث الاحتواء على أعظم المخزونات المعدنية. ومع ذلك فان المواد القيمة ستكون مدفونة تحت مليارات الأطنان من الجليد الزاحف. لذلك فان انزال أسطوانة تعدين(٤) للوصول الى الصخور، إن لم نقل الى التربة، سيكون بمثابة فتح نفق في

(٤) Mine shaft

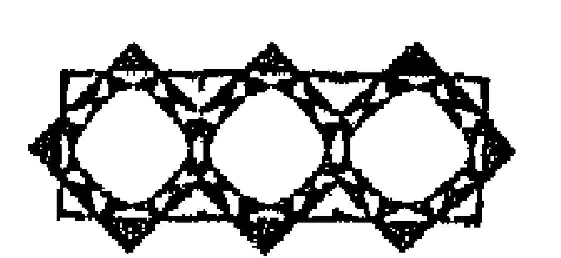
العسل، لأن الجليد يصبح لزجاً تحت ضغط وزنه.

وهكذا فإن المعدن الوحيد القابل للاستغلال في المستقبل المنظور هو نفط الشواطىء. فالدلائل الجيولوجية تشير الى وجود أحواض رسوبية في الافريز القاري(٥) تحت الجليد، لكن كلفة الانتاج ستكون باهظة ومثبطة للعزيمة.

لذلك فان مستقبل المعاهدة الهشة يعتمد على امكان التوصل الى قرار حول مسألة التصرف بالموارد المرتقبة قبل أن تظهر السفينة الاولى لحفر آبار النفط في المنطقة. ولمنع حصول "بازار" دولي يسمح للجميع باغتصاب هذه الأرض العذراء، فمن الضروري أن يصمد أفرقاء المعاهدة في وجه الضغوط الخارجية ويحسّنوا مضمون المعاهدة. إن أفضل هدية تقدمها هذه القارة الطاهرة الى الانسانية لا تتمثل بالفحم الحجري او النفط، بل بثراء أهم هو نموذج للسلام العالمي.

جون دايسون ■

(٥) الافريز القاري (continental shelf) جزء من القارة مغمور بمياه البحر الضحلة.



صيادان في الكونغو

ذهب صابر وجليل في رحلة صيد الى الغابات الاستوائية. طارا الى افريقيا واستأجرا دليلا وحمالين وانطلقا يشقان طريقهما في وادي نهر الكونغو. وفي اليوم الرابع من الرحلة تجاهلا تحذيرات الدليل وتوغلا في الغابة حيث جمّدهما زئير مرعب.

قال صابر وهو يرتجف: "ما هذا يا جليل؟" فرد صاحبه: "اني سمعت الزئير كذلك يا صابر." وتمتم صابر: "لا ترفع صوتك، بل تكلم همساً."

وأخذ الزئير يتعالى ويقترب فدب الرعب في الرجلين وهمس جليل مرتعداً: "يا صابر، انه ورائي، انظر اليه." فقال صابر: "اني أراه."

وسأل جليل مجهشاً بالبكاء: "هل هو فهد أم نمر؟" فأجاب صابر: "لا أعرف يا صاحبي، فأنا محاسب ولست خبير فراء."

ل.ر.

برودة انكليزي

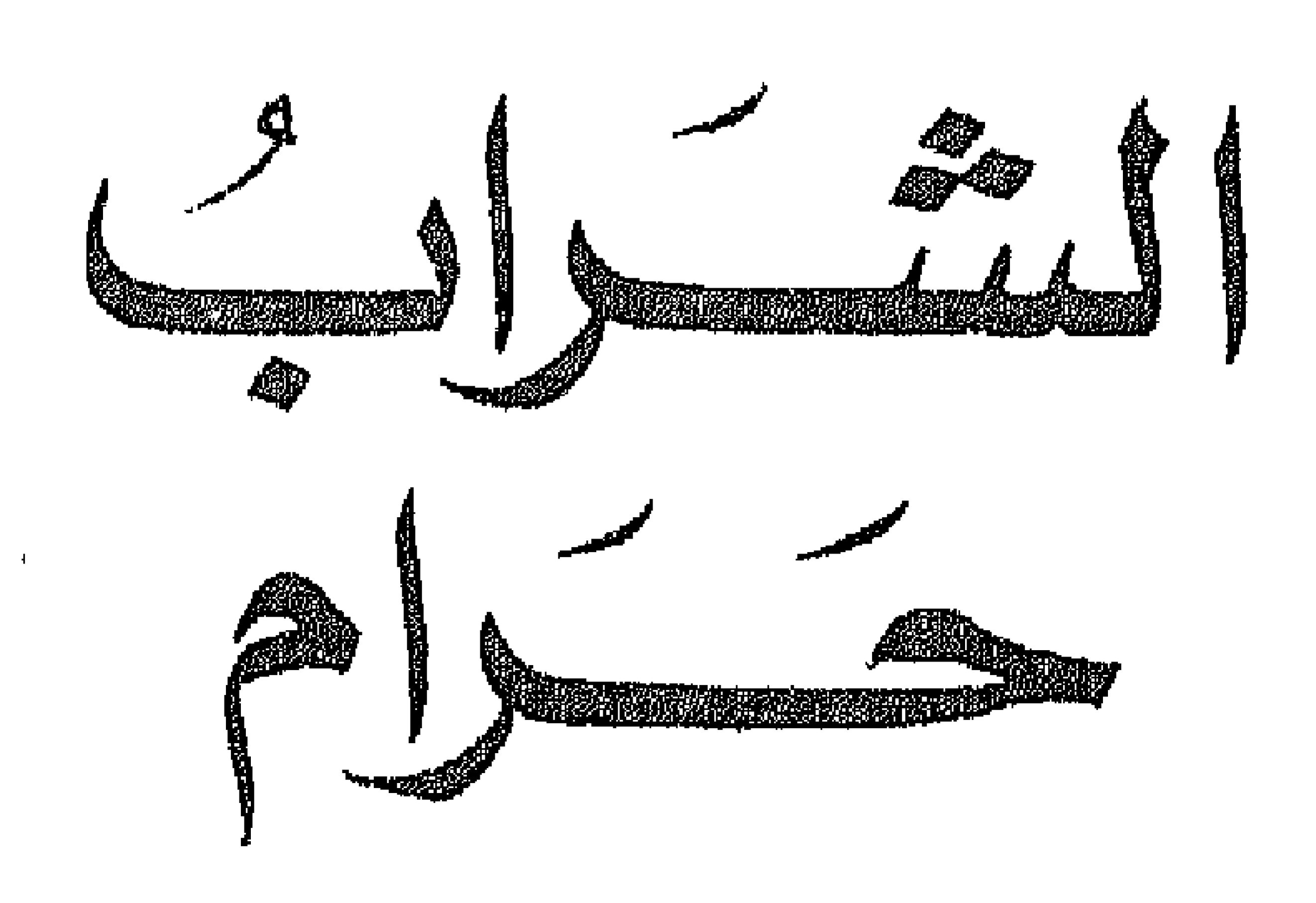
اقتحم أحد اللصوص حانة وهو يطلق النار يمنة ويسرة ويصيح: "أيها الجبناء، اخرجوا من هنا حالاً"

وفر الزبائن جميعاً ما عدا رجلا انكليزياً ظل جالساً الى طاولته بهدوء.

وصاح به اللص وهو يلوّح بالمسدس: "حسناً!"

قال الانكليزي: "حسناً، لا ريب في أن عدداً كبيراً من الجبناء كان هنا، أليس كذلك؟"

ف.ف.



الشراب حرام

دعي أكبر مصلح اجتماعي في القرن العشرين، ودعا نفسه بيل و. عمل محللا للسندات المالية فجمع ثروة كما ساعد آخرين على جمع ثروات لهم. لكنه خسر كل شيء عندما أصبح سكّيراً. وبقدرة علويّة وجد سبيلا الى التعافي وساهم في إنشاء جمعية فريدة حملت الأمل والحياة الجديدة الى ملايين الناس في أنحاء العالم. وأنا فرد من تلك الجمعية أعطيت نعمة معرفة ذاك الرجل الخارق والعادي في آن.

عام ١٩٦١ أخبرني الأطباء أنني سأموت في غضون فترة صغيرة إن لم أمتنع عن تناول الكحول. لكني كنت عاجزاً عن مواجهة الواقع من دون تناول كميات وافرة منه.

جئت من كنساس الى مدينة نيويورك وأنا في مقتبل العمر، وعملت بجد فحصلت على وظيفة في حقل العلاقات العامة. بعد ذلك تزوجت ورزقت ثلاثة أولاد وأسست منزلا في ضاحية حديثة بولاية كونتيكت.

كنت أبدو في ظاهري رجلا ناجحاً، ولكن في الحقيقة كان يساورني شعور بالنقص. وحين بلغت الأربعين نشأ ورم كبير في بطني قيل لي أنه تليّف في الكبد. وظهرت على جلدي آثار كدمات أرجوانية وأخذت أعاني من رعاف. كل ذلك دلّ على إصابتي بتلف الكبد. وفي أحد أسفاري أخذت أتقيّأ دماً، ولم أستطع وقف التقيؤ حتى خسرت نصف كمية الدم في جسمي. ولو لم تُجر لي عملية نقل دم لمت في ذلك الحين. ومع ذلك لم أستطع الامتناع عن الكحول حتى بعد اصابتي بنزف آخر.

وأخيراً يئس طبيبي من معالجتي وأرسلني الى طبيب آخر يدعى هاري تايبوت، وهو من الاطباء النفسيّين القلائل الذين تعاطفوا مع جمعية "المدمنين المجهولين" ونظروا الى ادمان الكحول كمرض وليس كنقص في الشخصية. واقترح عليّ تايبوت أن أقصد



والتقيت بيل و. كان بمثابة أسطورة، لذا شعرت برهبة حين دخلت مكتبه في حي مانهاتن بنيويورك.

كان بيل مسترخياً في كرسيه، رجلاه ممدودتان على طاولة من خشب السنديان انتثرت على سطحها ندوب كثيرة نتيجة إطفاء أعقاب السجائر. ووقف أمامي بقامته الناحلة التي بلغ طولها ١٨٨ سنتيمتراً وعينيه الزرقاوين المفعمتين بالحيوية. تصرف حينئذ وكأن لقائي كان أفضل مقابلة له منذ سنوات. ومد يده لمصافحتي قائلا: "أنا بيل، وأنا سكير."

وعندما بدأت أتمتم كلمات تعبر عن أنني مدين له بحياتي، نظر الى الأرض بحياء وقال: "كفى الآن."

بعد مدة أصبحت عضواً في مجلس أمناء جمعية المدمنين المجهولين. وصرت على اتصال مباشر مع بيل و. وأثناء المؤتمرات وجلسات مجلس الادارة، كنت أراه يقصد الوافدين الجدد المنتحين زاوية ما. لقد عايش الشعور بالوحدة والحياء وعدم الاستقرار الذي يختبره من أدمن الكحول. كان يحييهم تماماً كما حياني: "أنا بيل، وأنا سكير." لم أسمعه مرة يستخدم كلمة "مدمن" عندما يعرف بنفسه.

كان بيل يتصرف كرجل عادي. لكنه كان رجلا خارقاً. ولم يلزمني وقت طويل

جمعية المدمنين المجهولين. لكنني كنت قطعت شوطاً بعيداً في الادمان بحيث تعذر علي الاقلاع عنه، فأحالني الطبيب على مركز المراقبة في كنت بولاية كونتيكت. هناك باشرت تطبيق أولى الخطوات الاثنتي عشرة التي تتبعها جمعية المدمنين المجهولين، وهي الاعتراف بعجزي تجاه الادمان على الكحول وبأن التحكم بحياتي اصبح أمراً عسيراً. وفي يوليو (تموز) ١٩٦١ انضممت الى الجمعية وبدأت حياة واعية.

قصة الرقاد

بعد ثلاث سنوات تطوعت لمساعدة الجمعية في حقل العلاقات العامة.

Illustration: George Angelini

كي أدرك أن كل من عرفه احتفظ بقصص شائقة عنه وعن زوجته لويس التي شاركت في تأسيس جمعية "آلانون" لعائلات مدمني الكحول. لكن أحداً لم يسرد قصة أفضل من بيل.

كان بيل يدعوها "قصة الرقاد." وقد سمعتها للمرة الاولى في العام ١٩٦٦ أثناء حفلة الميلاد في المكتب، لكنه كان يرددها منذ سنوات. اجتمعنا وقتئذ لتناول المرطبات والفاكهة والحلوى وانشاد ترانيم الميلاد. وبعدما جلس الحاضرون مرّت لحظات سادها سكون. كان بيل و. واقفاً بجانب إناء الشراب. وبحركة لولبية قعد على الأرض وبدأ يتكلم.

في الطليعة

عندما ولد بيل و. في ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٩٥ كانت بلدة إيست دورست في ولاية فرمونت تضم أقل من ٥٠٠ نسمة. ونشأ بيل في بيت سادته الخلافات التي غالباً ما أدّت الى رحيل الأب لأيام قليلة. وشعر بيل بالمأساة التي عاناها أطفال كثيرون عاشوا في بيوت مماثلة، وسبّب له ذلك عذاباً متزايداً وهو يكبر في السن. ولما بلغ العاشرة تمّ الطلاق بين والديه ومضى كل في طريقه، الأمر الذي لم يكن شائعاً في العام ١٩٠٦. وهكذا ظلّ بيل مع جدّيه لأمه.

أتقن بيل كل عمل أقدم عليه بغية تعويض شعوره بالوحدة والنقص. ففي السن الثانية عشرة بدأ يظهر اندفاعاً وطموحاً ونزعة الى المنافسة. ومرة قرأ جده كتاباً عن اوستراليا وأخبره أن ما من أحد يستطيع أن يصنع البمرنغ(*) إلّا اذا كان من سكانها. وأمضى بيل ستة أشهر وهو يحاول صنع واحدة حتى نجح في ذلك. ومن ثم اعتبر البمرنغ سبب شقاء لأنها برهنت له امتلاكه القدرة والارادة لكي يكون في الطليعة في كل شيء يفعله، سواء في الموسيقى أو الرياضة أو العلوم. وهو مرة أصلح كماناً مكسورة ودأب يتمرن على العزف حتى بات العازف الأول في الفرقة الموسيقية للمدرسة. ولم يكن رياضياً بطبيعته، لكنه عمل جاهداً حتى أصبح قائد فريق البايسبول. (كرة القاعدة).

وفي مانشستر المجاورة، وهي منتجع صيفي شعبي، تعرّف بيل الى إيبي تاتشر من ألباني في نيويورك، وأصبح الشابان صديقين مدى العمر. وفي العام ١٩١٣ بعد سنتين من لقاء إيبي، التقى بيل زائرة صيفية هي لويس بيرنهام ووقع في حبها. كانت فتاة ناحلة ذات شعر أسود من عائلة متوسطة الثراء في بروكلين بنيويورك. وقد تبادلا حباً مشوباً بالعاطفة لم تهمد جذوته طوال السنوات التي عانى بيل خلالها الادمان.

الرشفة الاولى

لم يذق بيل و. طعم الكحول حتى السن الثانية والعشرين حين كان ضابطاً في الجيش في مركز له قرب نيوبيدفورد في مساتشوستس خلال الحرب العالمية

(*) البمرنغ (boomerang) قطعة خشب ملوية يتخذ منها سكان اوستراليا قذيفة يرشقون بها هدفاً ما. ومنها ما يرجع الى راميه.

الأولى. كان ذلك الشاب الخجول يشعر بعدم انسجام مع الحاضرين في الحفلات الاجتماعية، الى أن قدّم اليه أحدهم "كوكتيل البرونكس" وهو مزيج من مسكر الجن والفيرموث المزّ وعصير البرتقال.

وتنهد بيل قائلا: "ذلك الحاجز الذي وقف دائماً بيني وبين الناس ذهب الى غير رجعة. شعرت بعدئذ أنني انتمي الى الناس وأنني جزء من الحياة. يا له من سحر في ذلك الشراب! لقد بات في امكاني أن أتكلم وأن أظهر براعتي."

خلافاً لبعض المدمنين الذين يزيدون من تناول الكحول تدريجاً، أصبح بيل مدمناً منذ البداية الى حد فقدان الوعي. كان واحداً من الذين تفعل الخمرة فيهم وتسيطر على عقولهم وأحاسيسهم. فالكأس الأولى تثير رغبة ملحّة في تناول كأس ثانية. وهكذا يفقد المرء السيطرة على ارادته منذ الرشفة الأولى.

وكان بيل يحرص على الحد من تناول الكحول وهو في صحبة لويس وعائلتها. لقد تزوجا قبل أن يبحر الى فرنسا برتبة ملازم أول في مدفعية السواحل. هناك عرف البرغندي والكونياك. وبانتهاء الحرب في العام ١٩١٨ برهن لنفسه مرة أخرى أنه "الأول" وقائد الرجال وبطل.

عندما عاد بيل الى الولايات المتحدة عاش ولويس مع والديها. كان يعمل في النهار محققاً في شركة تأمين، وفي الليل يتابع دراسته في كلية بروكلين للحقوق. وسرعان ما سحرته أسواق البورصة فأصبح محلّلا ناجحاً ومضارباً وتاجراً مغامراً له زبائن في بيوتات عدة للسمسرة في وول ستريت، شارع المال في نيويورك.

في أثناء ذلك سيطر الكحول على بيل الى درجة أن السكر اسقطه في الامتحان النهائي في كلية الحقوق. وكل خيبة أصابته وكل نجاح لقيه كان سبباً في تناوله الكحول حتى السكر، فيصبح شرساً وشديد الانفعال. كان يتشاجر مع النُدُل وسائقي سيارات الأجرة والغرباء. وحين يصحو من سكرته في صباح اليوم التالي يشعر بالذنب والندم فيقسم لزوجته انه لن يشرب بعد ذلك ابداً.

الاستسلام

بقي بيل ولويس يضلل أحدهما الآخر فترة طويلة. فسكنا منزلا فخماً وانضما الى نواد رياضية عدة. وحتى العام ١٩٢٨ كان بيل يكسب ألوف الدولارات وينفق قسماً كبيراً منها على المشروبات. وكثيراً ما وجدته لويس في الصباح ثملا وغائباً عن الوعي ونائماً على عتبة المنزل.

وتأثّر بيل بافلاس سوق البورصة الامريكية في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٩. وأدّى ذلك الى القضاء على ما لم يهدّه الكحول فيه. فبعدما ناء تحت ثقل الديون انتقل وزوجته الى العيش مع والديها من جديد. وحصلت لويس على وظيفة في مخازن "مايسي" فيما انصرف بيل الى الخمرة لتساعده على البقاء حيّاً. وهو أخبرنا أنه "كالمدمنين الآخرين كان يخفي الكحول مثلما يخبىء السنجاب البندق، في العلية أو تحت البلاط أو في سيفون المرحاض. وحين تذهب لويس الى العمل أعزّز مؤونتي السريّة. كنت أشرب في ذلك الوقت كي انسى، فأستهلك

الكولونيا المسكرة خمر محرّمة

موقف الاسلام من الكحوليات واضح وحاسم. فقد جاء في الآية الكريمة: "انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه..." ويقول الدكتور محمود النوادي من جامعة الملك سعود في الرياض: "للمرء أن يتساءل لماذا لم يدع الاسلام أي امكان لاباحة شرب الكحوليات، كما فعل في قضايا أخرى؟ ان القرآن الكريم يجيب عن شرعية هذا الموقف الصارم بمنطق عقلاني يقرّ به كل ذي عقل سليم: "يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما." وهكذا فالخمر والميسر محرمان في شرعة الاسلام الداعية دائماً الى تغليب جانب الخير على جانب الشر في الانسان. فموقف تحريم تعاطي الكحوليات في الاسلام، هو موقف واقعي يلتزم مبدأ "الوقاية أفضل من العلاج." فدرءاً لمضار الكحوليات المتعددة والمختلفة التي كشف العلم الحديث عن الكثير منها، وتلافياً لانتشار ظاهرة الادمان أسوأ خطر الكحوليات، جاء موقف القرآن فاصلا وبيناً بالنسبة الى فضّ إشكالية تعاطي الكحوليات بينما لم تنجح المجتمعات الصناعية المتقدمة في فضّها فضاً مشرفاً على رغم التشريعات والقوانين التي سنت وتسن "بروح علمية وعصرية."!

ومن هذا المنطلق اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء في المملكة العربية السعودية على السؤال المقدم من رئيس محاكم النوادمي الى الرئيس العام والمحال عليها من الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء ونصّه:

"لا يخفى على سماحتكم ما اصيبت به هذه البلاد من انتشار شرب المسكرات وترويجها. ولا شك في ان هذه ظاهرة خطيرة ويخشى من استفحال امرها وقد أصبح الكثير ممن يلقى عليه القبض متلبسا بهذه الجريمة يدعي ان ما شربه هو كولونيا وقد يكون هذا صحيحا لما ظهر من ان كثيراً من الكولونيا مسكر وقد يكون هذا من باب إخفاء مصدر ما تناوله حتى لا يدل على كثير ممن يقصد التستر عليه حيث كثرت معامل الخمور داخل البلاد مع ما يستورد من خارجها حيث ان بعضاً من انواع الكولونيا قد تحقق إسكاره وهو يباع علنا في الاسواق ويعتبر خمراً الا انها سميت بغير اسمها فإن هذا شيء لا يصح السكوت عليه وأرى ان ينظر في جميع انواع الكولونيا المسكرة

زجاجتين أو ثلاث زجاجات من الجن يومياً."

وبحلول العام ١٩٣٣ بدأ بيل يخشى من تدهور صحته العقلية. قال: "خلال احدى نوبات السكر رميت لويس... عزيزتي لويس... بماكينة خياطة. وفي نوبة أخرى اندفعت في البيت بغضب أركل الأبواب وأضرب الحيطان بقبضتي. وما زلت أذكر احدى الليالي حين كنت في حال اضطراب دفعتني الى الظن اني سأرمي نفسي من النافذة لذا جررت فراشي الى الطبقة السفلى كي لا أستطيع القفز الى الخارج."

وفي منتصف صيف ١٩٣٤ دخل بيل مستشفى تشارلز تاونز في مدينة نيويورك المختص بمعالجة مدمني الكحول. وكانت غالبية الناس تعتبر المدمنين ضعيفي الارادة يفتقدون الشخصية وضبط النفس. لكن وليم دنكان سيلكورث طبيب بيل في المستشفى كان واحداً من الاطباء القلائل الذين استنتجوا أن الادمان مرض. وهو أخبر لويس أن قلة فقط من المدمنين أمثال بيل شفوا من ادمانهم، إذ بدأت تظهر على بيل علامات تلف في الدماغ.

ويكتب لولي الامر ببيان حكمها ومنع استيرادها منعا باتا كفا للشرور والأخطار التي غزت البلاد من كل جانب، نرجو الله سبحانه وتعالى ان يوفق الجميع لما فيه صالح الاسلام والمسلمين إنه سميع مجيب."

واجابت عنه بما يأتي:

"إذا بلغت الكولونيا بما فيها من الكحول درجة الاسكار بشرب الكثير منها حرم الابقاء عليها قلّت أم كثرت ووجبت إراقتها وإتلافها لأنها خمر، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أمر المسلمين باراقة ما لديهم من الخمور حينما نزل قوله تعالى: "يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون". ولما ثبت من قول النبي صلى الله عليه وسلم "ما أسكر كثيره فقليله حرام" وعلى ذلك يحرم شربها والتطيب او التطهير بها، أما إن لم تبلغ درجة الاسكار بما فيها من الكحول بشرب الكثير منها فيجوز شراؤها واقتناؤها واستعمالها تطيبا وتطهيرا بها، لأن الأصل الجواز حتى يثبت ما ينقل عنه."[٢]

وما ينطبق على الكولونيا المسكرة، يصح في الأدوية المحتوية على كحول. فقد ذهب جمهور الأئمة الى حرمة التداوي بسائر الأمور النجسة أو المحرمة ومنها الخمر وكل مسكر لحديث ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام." رواه ابو داود.

ولحديث وائل بن حجر أن طارق بن سويد سأل النبي صلّى الله عليه وسلّم عن الخمر فنهاه عنها فقال: "انما اصنعها للدواء" فقال "انه ليس بدواء ولكنه داء" رواه أحمد ومسلم وأبو داود.

وقال ابن مسعود كما ذكره البخاري: "إنَّ الله لم يجعل شفاءكم فيما حرّم عليكم."[٣]

(١ و٣) "المسلمون"، العدد الثالث والستون ١٠ - ١٦ شعبان ١٤٠٦ هـ / ١٩ - ٢٥ ابريل ١٩٨٦م

(٢) "المسلمون"، العدد الثاني عشر السبت ٧ - ١٣ شعبان ١٤٠٥ هـ / ٢٧ ابريل - ٣ مايو ١٩٨٥ م

بدا بيل نشطاً بعد خضوعه للمعالجة، الأمر الذي سمح له بمغادرة المستشفى. لم يشرب الكحول هذه المرة لأشهر عدة. لكن لويس وجدته في الصباح الذي أعقب ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ذكرى انتهاء الحرب العالمية الاولى، في حال سكر وهو متكىء على السور الخارجي للمنزل. ونظر كل منهما الى الآخر ورأى بيل ومضة الأمل الاخيرة تتلاشى في عينيها. وحينئذ علم أنه محكوم عليه بالاعدام. فقال في نفسه "فليكن ذلك. ما يهمني هو وجود زجاجة الجن."

اشراقة أمل

لم ينقض وقت طويل حتى تلقى بيل اتصالا من صديقه القديم ونديمه إيبي تاتشر. يا لها من مصادفة غريبة! دعاه بيل الى زيارته وتناول بضع كؤوس معه.

قرع إيبي جرس الباب وكانت عيناه صافيتين ونفَسه خالياً من رائحة الكحول.

وسأله بيل: "ما الذي غيّرك هكذا؟"

فابتسم إيبي وأجاب: "أصبحت مؤمناً بالله."

هكذا أصبح إيبي من أشد المؤمنين. قال بيل: "خلته سيبدأ وعظه لي. لكنه لم

يفعل. أخبرني فقط كيف أصبح عاجزاً أمام المسكر وكيف وقع في مشاكل قانونية وكيف دبّر له صديقان مكاناً يعيش فيه."

كان رولاند هازارد، أحد الصديقين، سكّيراً ميؤوساً منه بعدما دخل مصحّات لسنوات عدة. وفي نهاية المطاف ذهب الى المحلّل النفساني السويسري الشهير كارل يونغ وسأله: "هل حالي ميؤوس منها؟"

"نعم،" أجاب يونغ. لم يكن لدى المدمنين إلّا نادراً إيمان قوي "وتحكّم بعواطفهم" يؤديان فجأة الى عكس مسارهم. لقد حاول يونغ اجراء تغيير في رولاند، لكنه أخفق في مسعاه.

وذات يوم حضر رولاند اجتماعاً عقدته منظمة كانت تدعى "جماعة أكسفورد" حيث يلتقي الناس للتكلم على عيوبهم ولاتباع قواعد مسلكية معينة. وشعر رولاند خلال الاجتماع بتغيّر عميق في مشاعره. وهكذا امتنع عن تناول الكحول.

عندما أخبر رولاند صديقه إيبي قصته تكونت نواة ما أصبح في ما بعد جمعية المدمنين المجهولين. وتولى ايبي بدوره نقل الرسالة الى بيل.

قال بيل: "أخبرني إيبي انه كان عليه أن يعترف صراحة بهزيمته وبخطاياه، ويعوّض من ألحق بهم أذى، ويحب الناس من دون مقابل. كان عليه أن يتضرع الى الله. وأخبرني أيضاً أنه لم يتناول مسكراً منذ ستة أشهر."

وتابع بيل: "وبعد أسبوعين وعقب جولة سكر أخرى عدت الى مستشفى تاونز لاجراء فحوص. وجاء إيبي لعيادتي فبادرني: كن صادقاً مع نفسك وصارح أحدهم بالأمر. لكنني لم أستسغ تلك الحماقة. وتابع ايبي: "تضرّع الى الله، هذا كل ما يتطلبه الأمر."

وفي ليلة أخرى من الليالي التي لم يذق فيها بيل طعم النوم شعر بوصوله الى الحضيض وباصابة كبريائه في الصميم. وصرخ بصوت عال: "يا رب، انني مستعد للقيام بأي عمل!"

فجأة أشرقت غرفة بيل في المستشفى وسرى فيه فيض من نشوة غريبة وأحسّ نسمة باردة تهب عليه. قال: "شعرت بالاطمئنان. وأيقنت أن الامور مهما بدت سيئة فانها ستصطلح بمشيئة الله."

كتاب المبادئ

خرج بيل من المستشفى في ١٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٤. لم يشرب كأساً واحدة بعد ذلك التاريخ، لكنه حرص دائماً على التأكيد أن غالبية المدمنين لم يعيشوا تجربة باهرة مثل تلك التي اختبرها.

وفي الأشهر الاولى من امتناعه عن الكحول سحب رجالا سكارى من الحانات وأخذهم لحضور لقاءات عقدتها جماعة أكسفورد. لكن أحداً لم يتجاوب معه. كذلك حاول مساعدة مرضى في مستشفى تاونز، فلم يلق إلّا الاخفاق. ونصحه الدكتور سيلكورث بأن يتحادث مع هؤلاء "المرضى" ولا يضجرهم باطالة الكلام، وأن يظهر لهم أنّ مرضهم ميؤوس منه.

وعاد بيل الى وول ستريت. ولكن أثناء رحلة عمل الى أكرون في أوهايو شعر

برغبة ملحة في تناول الكحول. وفي ردهة الانتظار في الفندق ألقى نظرة على دليل المؤسسات الاجتماعية فانتقى اسم واحدة كيفما اتفق واتصل بها هاتفياً. وسأل المسؤول هل هناك سكّير ميؤوس منه يستطيع التكلم اليه، فكان الجواب: "الدكتور الجراح روبرت سميث، وهو مدمن ميؤوس منه حاول التخلص من ادمانه بلا طائل."

تكلم الرجلان لساعات. لم يعظ بيل ولم يقدّم النصح، لكنه روى قصته بهدوء فتلاشت رغبته في الكحول. وبعد جولة سكر أخيرة حدث للدكتور سميث أمر ما، اذ تناول الكأس الاخيرة في ١٠ يونيو (حزيران) ١٩٣٥. وعلى رغم أن جمعية المدمنين المجهولين لم تكن تأسست بعد، فانها بدأت عملها منذ ذلك التاريخ.

ولم يمض وقت وجيز حتى كان بيل يعقد اجتماعات في بيته وفي مكان آخر في الشارع الغربي ٢٣ بنيويورك. وعام ١٩٣٨ وضع كتاباً في ١٦٤ صفحة بعنوان "المدمنون المجهولون." من هنا اكتسبت جمعيتنا اسمها. وبيعت من الكتاب في تلك السنة نسخات قليلة ومضت الجمعية تنمو ببطء.

كان العمل الدعائي الاول لجمعية المدمنين المجهولين في الولايات المتحدة مقالة عنها نشرتها مجلة "الحرية". وتدفقت رسائل القراء فبلغ عددها ٨٠٠ اشادت بالكتاب، كما بيعت منه مئات النسخات.

وأعقب تلك المقالة أخرى نشرت في مجلّة "ساتورداي ايفننغ بوست" في مارس (آذار) ١٩٤١ بعنوان "المدمنون المجهولون" وأحدثت ضجة عارمة. ونشأت مجموعات مؤيدة في ولايات عدة.

وبحلول ربيع ١٩٨٦ كان الكتاب ترجم الى ١٣ لغة وبيعت منه في العام ١٩٨٥ وحده ٧٠٠ ألف نسخة وبلغ العدد الاجمالي للنسخ المبيعة خمسة ملايين. أمّا المجموعة التي أوجدها بيل في بروكلين عام ١٩٣٥ فهناك اليوم نحو ٧٠ ألفاً مثلها في أنحاء العالم.

هذه هي القصة التي كان بيل و. يرددها أمامنا كل سنة في المقر الرئيسي لجمعية المدمنين المجهولين.

وفي ٢٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٧١ توفي بيل عن ٧٥ عاماً متأثراً بداء انتفاخ الرئة. وبعد يومين من وفاته نشرت صحيفة "النيويورك تايمس" نبذة عن حياته في صفحتها الاولى، فعرف العالم اسمه بالكامل: وليم غريفيث ويلسون.

وفي يوليو (تموز) ١٩٨٥ وقفتُ على المنصة في الملعب الأولمبي بمونريال (كندا) ونظرت الى نحو ٥٠ ألف شخص جاؤوا من ٥٤ بلداً من البلدان الاعضاء البالغ عددها ١١٤. قلت: "إسمي بوب ب. وأنا سكّير. أهلا بكم في الذكرى السنوية الخمسين لتأسيس جمعية المدمنين المجهولين."

وعلا هتاف حماسي من أنحاء الملعب وتواصل من غير كلل. واذ سمعت الهتاف والمتكلمين الذين تعاقبوا على المنبر أيقنت أن كلا منا كان يبدي تقديره لشخص يصعب نسيانه: بيل و.

بوب ب. ■



١ـ أقواس القزح

صباح يوم من أيام الربيع توقّفت قرب نافورة ماء في حديقة عامة لأتأمّل الرذاذ وهو يبُثّ أشعة الشمس كأقواس قزح وامضة. واذ بأم في ريعان شبابها، تتبعها فتاة صغيرة شقراء، تتقدّم مسرعة في الممرّ. وحين رأت الطفلة النافورة فتحت ذراعيها وصرخت: "أماه، مهلك! انظري الى تلك الألوان الجميلة."

وأمسكت الام يد ابنتها واستعجلتها قائلة: "هيّا بنا، ستفوتنا الحافلة." لكنها ما لبثت أن ترفّقت، بعدما رأت البهجة على الوجه الصغير وقالت: "حسناً، ستصل حافلة أخرى سريعاً."

وما ان ركعت الوالدة أمام طفلتها وضمّتها بين ذراعيها حتى أفعمت الفرحة وجهها هي أيضاً. كانت تلك الفرحة النادرة المميزة التي تغمرنا حين نشارك من نحبّهم في أمر ممتع.

ومنذ ذلك اليوم أدركْتُ أن أسعد الاطفال وأنبههم وأقدرهم على الابداع ينتمون الى العائلات التي تحفل بأقواس القزح المتشاركة.

Condensed from The Wall Street Journal (March 7, '84),

Photo: Phoebe Dunn and Four By Five, Inc.

كيف يمكن الاهل مساعدة أطفالهم، في تذوق الغاز العالم واثاراته؟ قد تكون الاقتراحات الآتية مفيدة:

● **احترموا ما يثير حماسة أطفالكم.**

لدى كل ولد انطباع لا يغيب أبداً عن مخيّلته عن تلك الايام حين شاركته والدته أو والده أو جده أو جدته في احد اكتشافاته.

وذات يوم على أحد الشواطىء تأملت فتاة في نحو الثانية عشرة من العمر وهي تنتقي الحصى في محاذاة الماء وتحملها الى أمها. ثم جلستا متلاصقتين فيما الفتاة تحاول بكل ابتهاج أن تحدّد أصناف الكنوز التي اكتشفتها.

وقلت للام: "لا بد أنك شديدة الاهتمام بالحصى."

فأجابت: "انها هواية سالي. الحصى في الوقت الحاضر، وفي الشهر المقبل قد تكون الاصداف أو الازهار البرية. فهي في حاجة الى من يصغي اليها."

ولم أندهش حين علمت أن سالي تلميذة ممتازة وأنها الخبيرة في صفّها بالعلوم الطبيعية. وسوف تكون حياتها زاخرة بالمستجدات الرائعة التي تبقى دائماً في انتظار من يستكشفها.

● **شاركوا الآخرين في شعوركم الخاص بالدهشة.**

يتعطّش الاطفال الى مشاركة أهلهم في اهتماماتهم اذا سنحت لهم تلك الفرصة.

غرزت احدى الامهات أوتاداً حول مساحة متر مربع في فناء المنزل. واشترت عدسات مكبرة لها ولولديها تضخم الأشياء عشرة أضعاف. وأخذوا يراقبون المكان معاً كل يوم. وروت لي الام: "فتحت هذه العدسات أمامنا عالماً جديداً. فشاهدنا الفصول تتغيّر، ودهشنا أمام أشكال ساحرة تتخذها نديفات الثلج وأمام ريشة زرياب زرقاء وجناح فراشة. واكتشفنا جذوراً غريبة وأزهاراً داخل أزهار. أتعلمين أن قلب زهرة الربيع الأصفر مرصّع بمئات النجوم الصفراء؟"

أنا معلمة. وذات يوم اعترف لي والد أحد تلاميذي بالآتي: "كانت تزعجني الساعات التي يمضيها بوبي من دون حراك أمام شاشة التلفاز. ثم بدأت أستعيد في خاطري نشاطاتي الصبيانية."

ويوم السبت التالي بنى بوبي ووالده طوفاً عوّماه في جدول. وبعد أسبوع صنعا طائرات ورقية وطيّراها في مزرعة الجد. وحول موضوعٍ طرِح للبحث في الصّف كتب بوبي: "ان أحلى أوقاتي هي التي ننجز فيها أنا وأبي أموراً قام بها في صغرِه."

● **خصّصوا وقتاً لاصطياد أقواس القزح.**

أخبرتني أم لثلاثة أولاد: "في انتظار نضج طعام العشاء في الفرن أصحَب صغيرتي لتمشي حول المبنى. ولا يلزمني سوى دقائق لتعليمها شمّ زهرة أو لفتها الى سرب طيور في السماء. أما ولداي الاكبر سناً فأشاركهما في أفضل الامور أثناء العمل المنزلي الرتيب. ففي مطبخِنا "شباك سحري" نفتّش من خلاله

على أمور وهمية في الغيوم أو على صور نلوّنها. ونكتب مذكرات نصف فيها كل يوم أربعة مواضيع نريد أن نتذكّرها أكثر من سواها. ولم نصبح جميعنا أدقّ ملاحظة للامور فحسب، بل غدونا نجد أوقاتاً ممتعة حتى في أيامنا التعسة.

● **ساعدوا الاولاد على اكتشاف العالم بأنفسهم.**

مارك استاذ في مركزنا الخاص بالطبيعة. وغالباً ما يجيب عن الاسئلة بطرح اسئلة أخرى. وذات يوم صحبته وتلاميذي في الصف الابتدائي الرابع في نزهةٍ الى أحضان الطبيعة. وأشار ولد الى علّيقة قرب مستنقع وسأل مارك: "لماذا تحمل العلّيقة أشواكاً؟"

فأجابه مارك: "أعندك فكرة عن السبب؟"

وسرعان ما بدأ الاولاد يتبادلون الاسئلة والاجوبة بحماسةٍ قلّما رأيت مثيلا لها في المدرسة. وأخيراً قهقهت احدى الفتيات الخجولات قائلةً: "أعتقد أن الاشواك وجدت لتعلّق عليها الجنّيات أجنحتها عندما تذهب لتسبح!"

وسُرّ مارك وقال لي: "لا يجوز تقييد الاولاد بجواب صحيح واحد. فحين يطوف خيالهم يتعلمون الامور على أفضل وجه."

لا يمكننا قياس ما نمنح الولد حين نكسبُه وعياً حادّاً لأمور الحياة أو نقدّم اليه حلماً.

ويتوقّف بقاء الحياة جديرة بأن نحياها على الشباب الخلّاق الذي يتأمل العالم فيجده جديراً بالمحافظة عليه. وان من يرث أقواس قزح لقادر على حملنا الى مراتب أرفع من التي بلغناها آنفاً.

أليتا جين ليندستروم ■

قد يكون هذا هو المدخل السحري الى المكان البسيط الذي نسمّيه الجمال

٢ـ عَالَم الجَمَال

سمعت الصوت للمرة الاولى حين كنت في الثالثة أو الرابعة من عمري. وكان والدي يردد لحناً: "غنمي غنمي ما أجملها..." وأذكُر ذراعيه الطويلتين تضمّانني وأنا جالسٌ في حضنه. وشعرت حقاً أنني طفلٌ يهدهد. وكان أبي يتلاعب باللحن ويعدله. فاكتشاف لحن محبب هو بمثابة اكتشاف لغة جديدة. أما اللعبة فتقضي بأن يأسرنا اللحن وبأن نتدرب على الاصغاء.

وكان والدي مثل آباء كثيرين يتوقّع سابقاً الفرحة التي قد يشعر بها ابنه اذا سمعه يمدّد اللفظة أو يسترسِلُ في اللحن. فضغطَ سقف حلقه بلسانه وفغر شفتيه وأخرج المزيد من الهواء من رئتيه وأحدث لحناً رائعاً "غا... نا... مي."

وحان عندئذ وقت النوم.

وبعد ظهر يوم من أيام الخريف حين بلغت ساقاي أخيراً الطول المناسب أخذتُ سلّة فارغة ووضعتها مقلوبة قرب شجيرة تفاح في حديقتنا. وكانت الشجرة في شكل الحرف «Y» ، الجذع في الوسط وغصنان ثخينان يمتدان في اتجاهين.

وكان أخي وأختي الاكبر مني سناً استوليا على الشجرة من قبل. وهمّني جداً أن أشاركهما في تبجحاتهما.

ارتقيت السلة وتشبّثت بالجذع وبذلت جهداً كبيراً لأرفع نفسي بتأن حتى توصّلت الى وضع ساقٍ فوق أحد الجذعين. وجلست أخيراً وفرشخت ساقيّ.

ولم ألحظ أن أبي كان يراقبني من المرجة فصرخ: "اذاً نجحت أخيراً."

فأجبته: "نعم!"

وسألني: "أتعتقد أنه فيل؟"

فنظرت الى الغصن الطويل الممتدّ أمامي ثم الى الغصن الاثخن ورائي، وللحال خيّل اليّ أني امتطي فعلا ظهر فيلٍ ضخمٍ رمادي اللون.

"نعم! انه فيل جميل!"

قال والدي: "حسناً، اركبه الى بومباي." ولم أكن أعرف أين تقع بومباي لكنها بدت لي بعيدةً جداً وأنها المكان المناسب للفيلة. وهكذا امتطيت فيلي طوال بعد الظهر متّجهاً الى بومباي.

وكان أهلي يأخذوننا الى كندا في شهر يوليو (تموز) من كل سنة لقضاء أسبوعين هناك. وكنا ننام في كوخ صغير بناه والدي. وفي الثامنة من عمري انضمّ الينا عجوز لبضعة أيام. وهو علم برحلات والدي معنا الى عالم الخيال. وذات مساء تسلّق السلم وقصّ علينا في الظلام رواية "بابا ياغا" الساحرة التي عاشت في منزلٍ قائم على قوائم دجاجات وطافت في غابةٍ كثيفة في مكان ما من روسيا.

ولن أنسى ابداً صوت العجوز الذي طاف مسافةً أطول من أن يتصوّرها خيالي يومذاك، فصدّقت قصة "بابا ياغا" وخفت منها، لكني وثقت بالصوت الرجولي الذي نم عن ارتياح واطمئنان وهو يسرحُ بي في عالم الاساطير.

مع تقدّمنا في السِنّ نركّز على هذه الامور التي وثقنا بها وصدّقناها يوم كنا أطفالا. وبالنسبة الي كان ذلك صوتاً له نبرة مألوفة بصرف النظر عن هويّة صاحبه. وفي مرحلة الدراسة الثانوية حين كان أساتذتي يقرأون بصوت مرتفع مقاطع من أشهر القصص كنت أشعر أني كنت هناك من قبل وأنا على حضن والدي في ظلام حجرة خلال احدى عطلات الصيف.

ان لهذا المكان البسيط الذي نسمّيه الجمال أو الارتياح أو الطمأنينة مداخل عدّة. وبالنسبة الي كان المدخل ذاك الصوت العالمي الآتي في زي رجال طيّبين يحكون قصصاً ويمطون الالفاظ ويمدّدونها ويقولون ان شجرةً ما تشبه حيواناً هائلا.

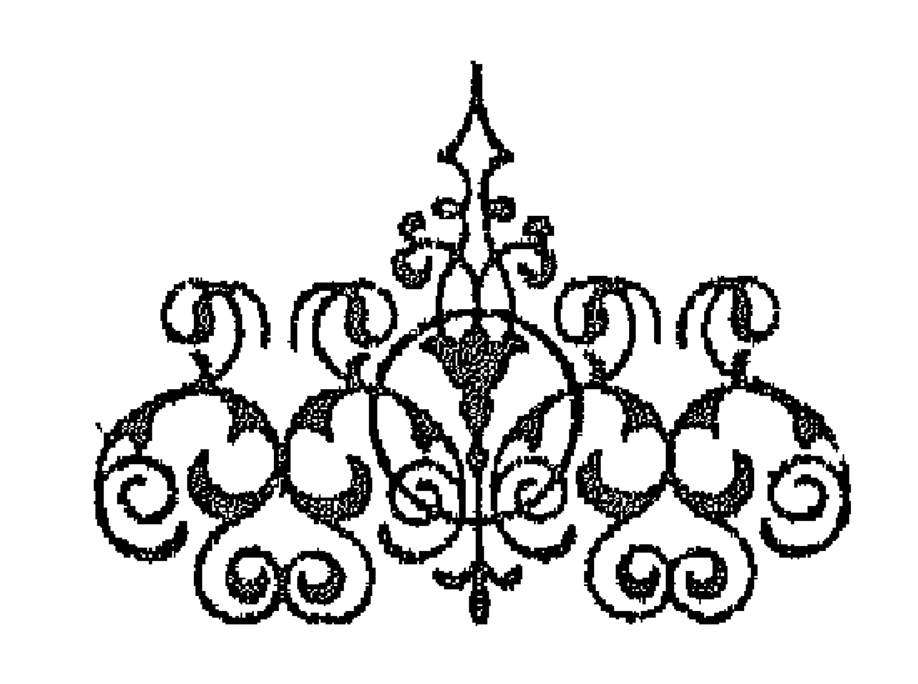
رجاءً، اقرأوا لاولادكم واحكوا لهم الاقاصيص واتلوا عليهم القصائد تكراراً.

كريستوفر دي فينك ■



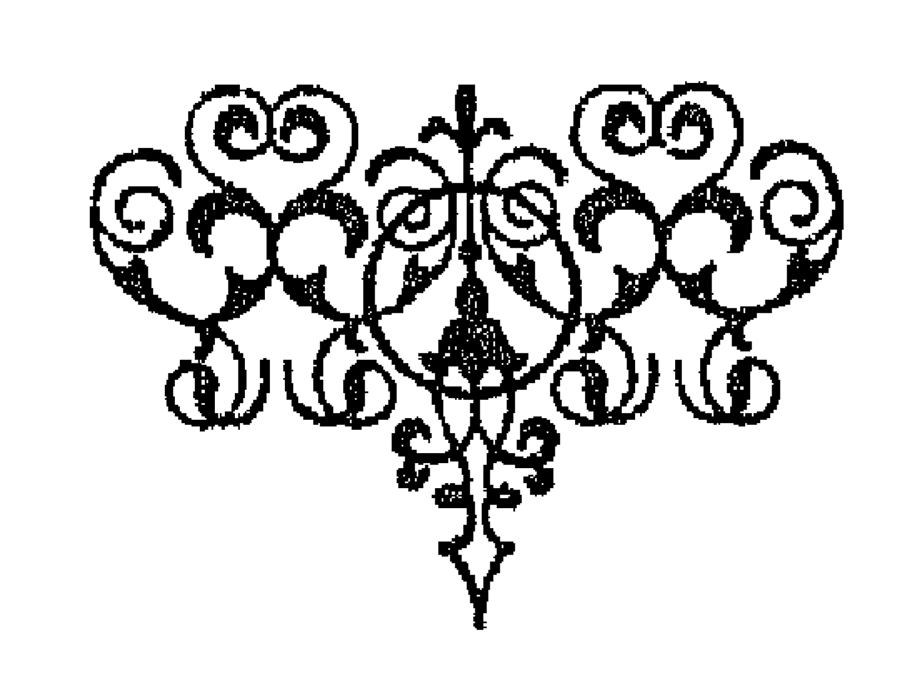
ابتهج بالحياة لأنها تعطيك الفرصة كي تحبّ وتعمل وتلهو وتنظر الى النجوم.

هـ.ف.د.





هل شعرت يوماً بالعجز أمام مصيبة حلّت بقريب أو صديق فجع بعزيز؟ اليك خمس نصائح ربما ساعدت في التخفيف من وقع المصاب



المكالمة الهاتفية التي تلقيتها من الاب ويمبي من جامعة بايلور في واكو بولاية تكساس كان لها وقع الصاعقة. فهو أخبرني بمقتل والدَي غيل سيمون(★) في حادث سيارة. وغيل طالبة في الجامعة، والاب ويمبي يعرف أنها صديقتي. ولدى سماعي الخبر سرى في جسدي خدر رهيب. ماذا عساي أن أفعل لاخفف عنها وقع المصاب؟

هذا السؤال القديم يبرز كلما فقد أحد أصدقائنا أو أقربائنا عزيزاً. ومعظم الناس يشعرون مثلي بالارتباك أمام خبر من هذا النوع. وفي بحثي عن إجابة مفيدة كان لي حديث مع الاب ويمبي.

قال: "الخوف من إتيان عمل أخرق او التفوه بكلام مؤذ يشلّ معظم الناس في تلك المناسبات. وبديهي أنه ليست هناك بادرة سحرية أو حكمة أزلية من شأنها أن تمحو الشعور بالانفطار. لكن هناك أموراً ربما ساعدت في اظهار الاهتمام الصادق وبالتالي في التخفيف من وقع المصاب."

وفي ما يأتي خمس نصائح استخلصتها من آراء ويمبي وسواه من الخبراء في هذه الامور يمكنها أن تسرّي عن المفجوع وتخفف من آلامه.

١. كن حاضراً. فران فيليبس وكيلة عقارات في مدينة نيويورك توفيت والدتها في شتاء مزدحم بالعمل، وتقررت اقامة مراسم الجنازة في بيلير بولاية ميريلاند في نهاية الاسبوع. وفي غياب فران تعيّن على رئيستها هيلين ان تنوب

(★) جميع الاسماء الواردة في هذا المقال مستعارة الا اسم كاثرين لوغلين.

عنها وتقوم في الوقت ذاته بأعباء وظيفتها هي.

وأظهرت هيلين تعاطفاً صادقاً. ولأن الجو كان ينذر بثلج كثيف، فقد أصرّت على فران ان تتوجه الى بيلير على الفور قائلة: "ان أنت أسرعت، فيمكنك أن تسبقي سقوط الثلج."

وبعد يومين، فيما كانت فران تصافح أصدقاء والدتها بعد الجنازة، تقدمت هيلين نحوها بهدوء وبادرتها: "لماذا أبقى في نيويورك وأفكاري كلها هنا معك؟" وهي لكي تصل في الوقت المناسب قادت سيارتها طوال الليل في عاصفة ثلجية.

كان تشاك غرايسون يعمل في حقل التأمين في لكسنغتون بولاية كنتكي. وظل طوال حياته يتجنب المآتم. وهو يتذكر: "لم أكن أظن ان وجودي أو غيابي يشكل فارقاً مهماً. ولكن عندما توفيت زوجتي أدركت أهمية الحضور بالنسبة الى المفجوع. وعجبت كم من الاقارب والاصدقاء بذلوا جهداً ليشاركوا في المأتم."

والتوجه الى بيت المحزون هو من الأهمية بمكان. وتتذكر والدتي كيف تدفق المعزون على بيتها بعد وفاة والدي: "لست أذكر الكلام الذي قيل لي. كل ما أذكره هو العناق الحار الذي خصني به المعزون."

والوجود الفعلي مع المفجوع يساعد في نواح أخرى شتى. ولقد عمد جون دوفرين، وهو باحث اجتماعي في جامعة نبراسكا في لنكولن، الى دراسة تجارب ٥٠٠ عائلة خبرت صدمة الموت المفاجىء. وهو يشرح: "في البدء يتملك الذهول المفجوعين الى حد انهم لا يعرفون ماذا يتعين عليهم فعله. فكيف لهم إذاً أن يطلبوا من الآخرين اسداء خدمات معيّنة؟" وربما كان هذا هو سبب عدم استجابة المحزونين للعرض الصادق المتمثل بعبارة "ان كان هناك ما يسعني عمله، فاعلمني به."

وأهمية الحضور الفعلي تدركها حتى مؤسسة حكومية مثل وكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا). فبعد اشتعال النار في المكوك الفضائي "تشالنجر" وانفجاره في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦، كان بجانب كل من عائلات الرواد السبعة الذين قضوا في الحادث المفجع عائلة أخرى لرائد آخر مهمتها تقديم المساعدة في مجالات مختلفة، من حجوزات السفر الى ترتيبات الطعام فالعناية بالحيوانات المدللة. ويقول كلارك كوفنغتون من "ناسا"، وهو مدير مشروع المحطات الفضائية في مركز جونسون الفضائي في هيوستن بتكساس: "ان جميع الوسائل التقنية المتوافرة في عصرنا الفضائي لا تضاهي تأثير انسان يمد يده الى أخيه الانسان."

٣. أصغِ. يروي بوب جونز مرشد الشبيبة في ودواي بولاية تكساس حادثاً قضى فيه شابان بعيد تخرجهما في المدرسة الثانوية: "زرت عائلتيهما وتبادلنا الاحاديث. تكلمنا عن الطقس والعمل. وتحدثنا في كل شيء الا سيرة ولديهما." وكان جونز مؤمناً بأنه لا يجوز التطفّل على أحزان الناس وخصوصياتهم.

مجلة المختار الدائمة

- "المختار" مجلة مريحة ومتفائلة، تسلّي من غير تجهيل وتثقّف من غير وعظ وتفيد من غير اضجار.
- "المختار" لافراد عائلتك مجلة انيقة لا يعترض تهذيبها حاجز.
- "المختار" تزيد معارفك وتوسّع آفاقك وتغنيك عن مطالعة عشرات الكتب والمجلات.

للاشتراك في "المختار" املأ القسيمة بخط واضح بالعربية أو الاجنبية، وارسلها بالبريد الجوي المسجّل (المضمون) مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً امريكياً هو بدل الاشتراك في ١٢ عدداً من المجلة لمدة سنة، الى احد العنوانين الآتيين:

Bank Almashrek S.A.L.
P.O. Box 1524
Beirut — Lebanon

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت - لبنان.

Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut — Lebanon

البنك المتحد للأعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان.

قسيمة اشتراك

الاسم ______ Name

______

العنوان ______ Address

______

المهنة ______ Profession

التاريخ ______ Date

التوقيع ______ Signature

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:

اشتراك في مجلة "المختار"

الى أن جاء يوم استمع الى امرأة محاضرة من "الاصدقاء المتعاطفين" وهي منظمة أمريكية مهمتها مساعدة الآباء والامهات المفجوعين بأبنائهم للتغلب على مصابهم. وكانت المحاضرة فقدت أحد أبنائها وهالها ألا يأتي أحد على ذكره، وعبّرت عن خشيتها أن تكون حياته القصيرة مضت من دون أن تترك اي اثر أو ذكرى. عندئذ أدرك جونز أن الشخص المفجوع يحتاج الى التحدث عن الفراغ المفاجىء في حياته.

بعد ذلك التقى جونز والد أحد الشابين. وبعد تبادل المجاملات العادية قال جونز: "لقد أمضيت مع سكوت وقتاً رائعاً حين زارني للمرة الاخيرة." وللحال أشرق وجه الوالد وسأله: "حقاً؟ وماذا قال لك؟" فروى له جونز حديثه مع الشاب. وعندئذ انطلق الوالد يتحدث عن ابنه وتدفق الكلام من فمه كالسيل.

وفي دراسة تناولت أناساً فجعوا بموت عزيز، أفاد ٣٠ من كل ٣٥ شخصاً أنه لم يكن لمعظم العبارات المؤاسية أي تأثير ايجابي، بل ان بعضها كان مؤلماً. من ذلك عبارات مثل: "الحال أفضل الآن لانه ينعم بالسلام،" و"لا اعتراض على أحكام الرب،" و"ستتغلب على المصاب." والاهم من ذلك أن يتجنب المرء عبارة "اني أعرف شعورك" ما لم يكن مر بالتجربة نفسها.

من أفضل الطرق لحمل المفجوع على الكلام أن تسأله هل يودّ أن يتكلم في الموضوع أو أن تقول له مثلا: "لا بد من أنه يصعب عليك كثيراً أن تفكّر في الحياة من دونها."

والاطفال ايضاً يحتاجون الى من يصغي اليهم ويشاركهم في أحزانهم. هكذا تعتقد كاثرين لوغلين وهي أستاذة متقاعدة كانت تدرّس مادة "نمو الطفل وتطوره" في جامعة نيفادا في رينو. فعندما توفي زوجها فجأة كان ابنهما مارتن في السادسة من عمره وأخته لويز في الثالثة. ولم تعد كاثرين تأتي على ذكر الوالد إلا نادراً. وسرعان ما عادت العائلة الى حياتها الطبيعية. وبعد انقضاء ستة أشهر سألتها لويز بعفوية: "ألن يندهش والدي عندما يرى كم كَبِرت؟" وقطب مارتن حاجبيه الصغيرين ونهرها: "أبونا مات. دعونا من سيرته."

أدركت كاثرين أن ولديها يصارعان الاحاسيس والعواطف نفسها التي حاولت هي خنقها. وقد اعترفت في ما بعد: "عندما بدأنا نتشارك في مشاعرنا، تقبلنا أخيراً ما لم يكن ليُقبل."

٣. أكتب رسالة. كانت جولي طالبة متفوقة في جامعة نبراسكا ووحيدة والديها كلارك وجون هدسون. وهي لقيت مصرعها عندما صدمتها شاحنة. ويحفظ آل هدسون باعتزاز رسالة كتبتها اليهما احدى أستاذات جولي في الجامعة. وتقول جون: "لقد كتبت الينا الاستاذة لتخبرنا كم استمتعت بوجود جولي في صفّها وكم كانت جولي مرحة ومراعية لشعور الآخرين وكم أحبّها زملاؤها. أن يتذكرها الناس هكذا أمر خفّف من بؤسنا وأراحنا."

ومن الرسائل ما هو تعبير عن ذكريات شخصية ومنها ما هو بسيط ويتضمن أسطراً قليلة مثل: "فكري معك في هذا

الوقت العصيب،" أو "اني أصلي من أجلك."

٤. **قدم هدية.** بعد وفاة ابنتها ذات التسعة عشر ربيعاً في حادث اصطدام دراجة نارية بسيارة في كونتيكت، وجدت ماري كريستنسن بعض العزاء في مجموعة شعرية أهدتها اليها احدى صديقاتها. وتقول ماري: "لقد اختارت بعناية شيئاً ذا معنى كبير بالنسبة الي. وعبّرت أبيات الشعر عما اختلج في نفسي من مشاعر."

لسنوات طويلة ظل الجيران يعبّرون عن اعجابهم بالأزهار التي كان جدي يغرسها. وبعد وفاته أهدوا الى مكتبة القرية كتاباً عن النباتات المزهرة كتذكار على روحه. ولقد ترك ذلك أبلغ الاثر في نفس جدتي.

٥. **وجّه دعوة.** توفيت والدة كيم باركر في الصيف الذي كانت كيم ستبلغ فيه السابعة عشرة. وهي تتذكر: "حدث ذلك قبل اسبوع واحد من عيد مولدي. وفي تلك المناسبة كل سنة كنت وأمي نذهب معاً لشراء ثياب لي للسنة الدراسية المقبلة. وكان ذاك اليوم خاصاً ومميزاً بالنسبة الينا."

وكانت كاري صديقة كيم تعرف ذلك. وتتابع كيم: "وفي صباح ذلك اليوم الموافق لعيد مولدي الأول بعد وفاة والدتي تلقيت مكالمة من كاري التي سألتني هل أود الذهاب الى السوق لشراء ثياب. ووجدت في تلك البادرة أقصى درجات التعاطف والمراعاة."

ان الدعوة الموجهة الى المحزون توفر له شيئاً يتطلع اليه ويحول تفكيره عن مصدر ألمه ومعاناته. فكّر جيداً في الخيارات المتاحة. ربما أسعد أحدهم أن يتناول الطعام خارج المنزل أو يشاهد مسرحية أو يذهب في نزهة في السيارة. وتتذكر احدى صديقاتي الايام الاولى بعد وفاة زوجها: "حتى الذهاب الى السوق بدا أمراً بالغ الصعوبة. أما اليوم، فعرضي الاول على الزوجة المترملة حديثاً هو اصطحابها الى السوق."

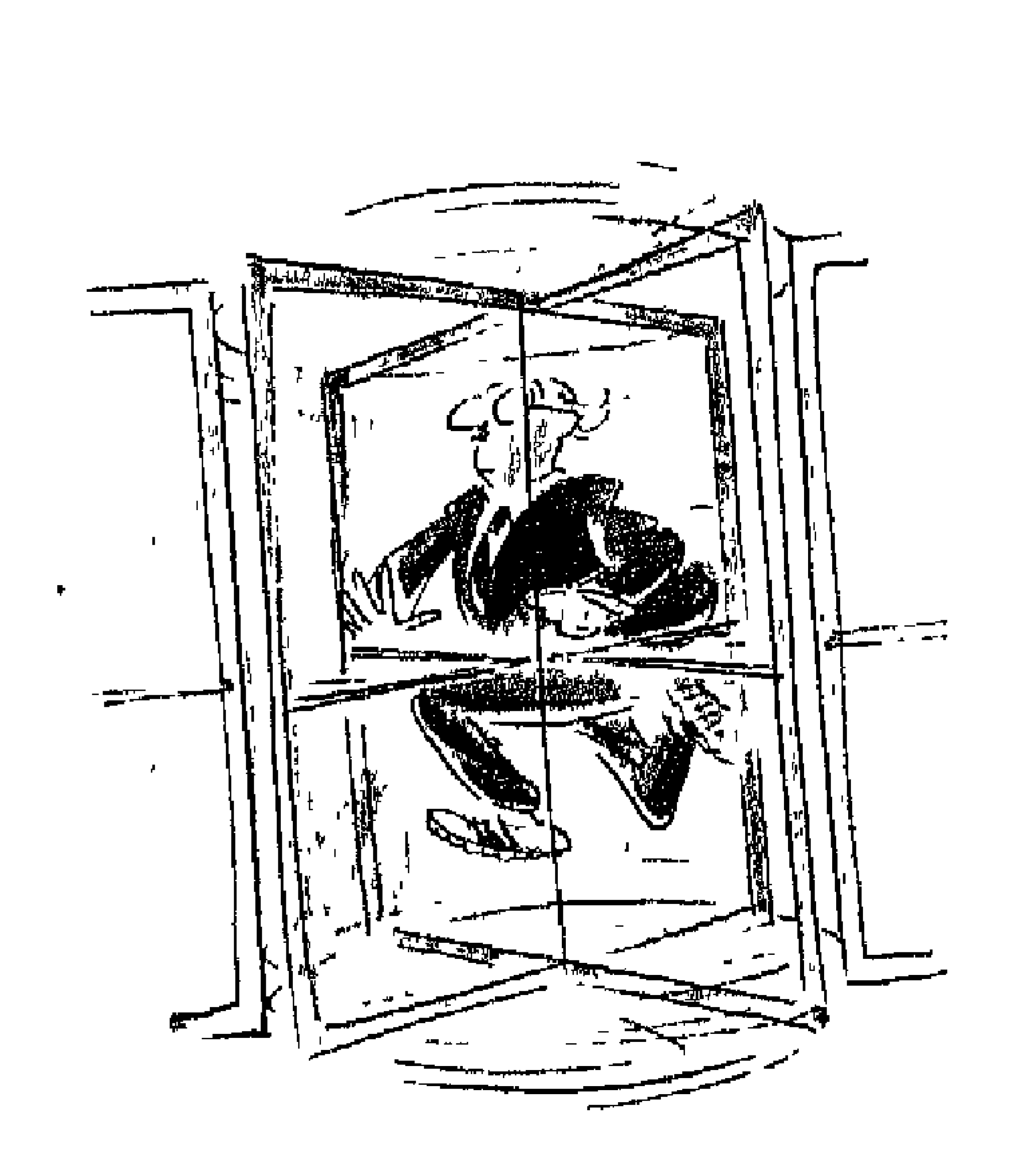
وغالباً ما يرفض المفجوعون الدعوات، وان قبلوها فليعتذروا عن عدم تلبيتها في اللحظة الاخيرة. وسبب ذلك، في رأي بول ستريبلنغ المدير التنفيذي لجمعية تطوعية في واكو "ان من هم في حداد عميق يخشون أن يفقدوا السيطرة على عواطفهم أمام الآخرين. وربما شعروا أيضاً انهم بقبولهم الدعوة وتمتعهم بوقت جيد قد يظهرون عديمي الوفاء لذكرى الفقيد. ان قليلا من التشجيع الرقيق يجعلهم يدركون انه لا بأس من الاستمتاع بالحياة مجددا."

لا شك في أن وفاة عزيز هي خسارة عاطفية مدمرة. الا أن التعبير الصادق عن الاهتمام والمشاركة يساعد في تحويل الحزن اليائس الذي لا طائل فيه، حزناً نابعاً من الايمان والامل والانعتاق.

بربارة رصل تشيسر ■

لا شتاء يدوم أبداً، ولا ربيع يتخلف عن موعده. هال بورلاند





الموظف وحماته

قال المستخدم لرب العمل متلعثماً: "آسف يا سيدي لتأخري، فحماتي مقيمة عندنا هذه الايام، وصباح اليوم زلت بها القدم في الحمام فسقطت مغمى عليها فوق المغسلة."
وهدأه رب العمل قائلا: "رحمتك يا رب! وماذا فعلت أنت؟"
– لم أدر ماذا أفعل أول الامر. لكني أخيراً حلقت ذقني فوق مغطس الحمام."

س.ز.

رياضة

دأبت امرأة وأولادها على متابعة البرامج الاذاعية الارشادية. وكانت تهوى بنوع خاص برامج التمارين الرياضية.
وذات يوم أدارت جهاز الراديو متأخرة عن الموعد، فسمعت المذيع المتحمس يحض المستمعين على بذل جهد أوفر قائلا: "فوق... تحت... دوران... فوق... تحت... دوران."
وتابعت المرأة وأولادها هذه التعليمات قفزاً ودوراناً حتى أوشكوا أن يسقطوا أرضاً من العياء. وحينئذ سمعوا المدرب يقول: "والآن، توقفوا جميعاً وأعيدوا فراشي الرسم الى اناء الماء."

ر.و.

سيد البيت

بينما صديقان يبحثان في مشكلات الازواج قال احدهما: "دعني أخبرك أني أنا السيد في بيتي. ولدى انقطاع الماء الساخن مساء أمس، رفعت الصوت قليلا فسخن الماء في دقائق."
وبعد صمت قصير تابع صاحبنا: "اني اكره جلي الاواني المنزلية في الماء البارد... وأنت؟"

هـ.ا.

خطيب لبيب

قال تلميذ لمعلمه: "بعدما سمعت خطابي، هل تعتقد أن طريقتي في الالقاء تتحسن اذا اتبعت اسلوب ديموستين وتمرنت على الخطابة بوضع حصى في فمي؟"
فأجاب المعلم: "بل أوصيك بوضع صمغ سريع الجفاف."

ب.ف.



عشر وسائل ناجعة لنيل فسحة تنفس في عالم شديد الازدحام

أناس كثيرون يتقدمون في السن غير واعين أن الوقت هو العطية العظمى لبني البشر. فهو محدود وليس في اليد حيلة لاطالته. انما في الامكان التخفيف من اهداره واستخدامه على نحو مثمر.

في يد من أوقات فراغك؟

غالباً، لا تكون هذه الأوقات "فارغة" لأنك مرتبط ببرنامج شخص آخر أو لانك تفعل ما ينتظر منك بلا تفكير، أكان لخيرك أم لم يكن.

ولتحاشي ذلك يجب أن تتولى بنفسك مسؤولية حياتك، مما يعني تولي مسؤولية وقتك. وسيتوجب عليك مكافحة عادات قديمة طالما أضاعت وقتك. واليك عشر مضيعات للوقت:

الأشياء. كثيرون منا يشترون بلا حدود. فما ان نحصل على شيء حتى نتوجه الى المتجر لشراء شيء آخر نضيفه الى المجموعة. وهنا يجدر بنا التساؤل: كم يكفينا؟ فالأشياء تتطلب عناية، إذ يجب نفض الغبار عنها وحفظها في المكان المناسب والتأمين عليها. ونحن ندفع ثمنها من وقتنا أيضاً علاوة على مالنا.

وبالطبع هناك مجال لامتلاك أشياء كاللوحات وأحواض الزهر. ولكن هل تستحق متعة الامتلاك هذا الثمن الباهظ الذي ندفعه؟ فمصدر سعادتنا ليس ما نملك بل ما نتمتع به ونلتذ:

الامتناع عن الرفض. قد تمضي الأيام ونحن منهمكون في أعمال لم يجدر بنا القيام بها أصلا. وعلى رغم اننا ندرك ضيق وقتنا وكثرة ارتباطاتنا فاننا نقبل تكليفنا مهمات جديدة. وقد يساعدك على كسر هذا النمط التصميم على عدم اتخاذ أي قرار ارتجالي. فربما احتجت الى بعض وقت للقول: "علي التفكير في الأمر قبل اعطائك جوابي،" لكن هذا لا يقارن بتخبطك في عمل لا وقت لديك لادائه.

Condensed from «Staying Ok,» copyright © 1985 by Amy Bjork Harris and Thomas A. Harris, published by Harper & Row, Publishers, Inc., New York, N.Y. Illustrations: Walter Einsel

القرارات غير المتخذة. المشاكل المعلقة قد تمنعك من التركيز على عملك وتدفعك الى الفتور في أوقات فراغك الثمينة. وليست المسألة هل عندك مشاكل أم لا، بل هل ان هذه المشاكل هي نفسها التي واجهتك قبل شهر أو قبل سنة. وإن صح ذلك، فكم من الساعات المرهقة انقضت في القلق عليها؟ أليس في وسعك حل البعض اليسير من مآزقك ومتابعة عيشك بسلام؟

من الممكن في معظم الأحيان تحديد خياراتك وتضييقها. مثلا: كم تحفظ من ثياب لم تلبسها منذ سنوات؟ ان احدى حسنات السفر فتح الخزانة في الفندق والاختيار بين ثلاثة أثواب فقط. فعلى الأقل تحققت البساطة هنا في ناحية واحدة من نواحي حياتك.

عدم المقاطعة. التهذيب قد يأكل يومك. فهل صادف مرة أن استمعت الى محادثة طويلة من طرف واحد استمرت دونما توقف مثل سيل دافق من خرطوم ماء، وأنت مدرك كل الوقت أنك تأخرت عن موعد مهم؟

تعلم كيف تقاطع من دون وقاحة، كأن تقول: "اعذرني ولكن علي الانصراف."

فلا شك في أن هذا أفضل من الاستماع بغضب وضيق صدر الى ما لانهاية.

التلفاز. قد يكون التلفاز مسلياً ومثقفاً، إلا انه يسلبنا الوقت. ومراجعة جدول البرامج هي الترياق الناجع للمشاهدة العشوائية لكل ما يظهر على الشاشة. فاختر بعناية ما تنوي مشاهدته لتصرف وقتك على نحو أكثر افادة.

انعدام التخطيط. كم من الوقت تحتاج للحصول على شهادة جامعية أو لانجاز أحد المشاريع؟ ما حجم حديقة الخضر التي يسمح وقتك بالاعتناء بها؟ كم أمسية يمكنك أن تخصص لزيارة الجيران أو لممارسة الرياضة؟ هل تحاول عمل أكثر مما تحتمل؟ ان التخطيط السليم هو المفتاح لتوفير وقتنا الضائع وتنظيمه.

تراكم الاشياء بغير ترتيب. ان التفتيش عن مطرقة أو فتاحة علب نحو نصف ساعة هو عذاب مبرح. ولا فرق ان كنت تسكن دارة من عشر غرف أو شقة من غرفة واحدة، فأنت تخسر كثيراً من وقتك عندما لا تجد ما تبحث عنه. وأحد أجمل الأقوال المأثورة عبر العصور هو: "ليكن مكان لكل شيء، وليكن كل شيء في مكانه."

والتراكم يعني في الواقع عملا غير منجز يستهلك الكثير من الوقت. فكلنا يحتاج الى ترتيب يبقي الأشياء في

أمكنتها ويجعل حياتنا منظمة.

تجاهل الصيانة. يقترح عليك اعلان تلفازي تغيير مصفاة الزيت في محركك لئلا تضطر الى تغيير المحرك كله. وهذا يتطلب بعض الجهد وبعض المال، لكن عدم انجازه يكلف أكثر. لذا، اعتن بالأشياء. أصلح الحنفية الراشحة الآن لئلا تضطر الى هد الحائط المتعفن بعد سنتين. اعتن بأسنانك توفر مشقة ساعات طويلة عند طبيب الأسنان.

الانتظار البطال. ينقضي معظم الحياة في الانتظار. ويمكننا اختبار الانتظار إما كوقت ضائع واما كعطية، كلحظة اضافية بعيداً عن المتطلبات العادية للحياة.

فتعود حمل قلم وبطاقة بريدية وطوابع. وحين تجلس في غرفة الانتظار في عيادة الطبيب لساعة أو اكثر، اكتب الى أصدقائك. ويمكنك أيضاً احضار كتاب معك. والأفضل من ذلك ان تحضر دفتراً تؤلف عليه كتاباً.

القلق على المستقبل. نحن نصرف جزءاً كبيراً من حياتنا في التحضير للمستقبل البعيد حتى اننا ننسى أن هذه اللحظة التي لن تعود اطلاقاً، هي التي نحيا فيها. فلماذا نبددها في القلق اليومي على الاسبوع المقبل أو على السنة المقبلة؟

والواقع ان حياتنا تحلو اكثر حين يستحوذ علينا وعي الحاضر فقط في معزل عن تأثيرات الماضي والمستقبل. ففي لحظات كهذه يكفينا القول: "شكراً يا رب على هذا اليوم." ونحيا احتفاء بتلك اللحظة.

ادخر وقتك اذاً كشيء ثمين وخطط للافادة منه جيداً. وهكذا ترضى عن نفسك أكثر وتحب حياتك.

آمي بيورك هاريس
وتوماس هاريس ■

موعد مستحيل

اتصل مريض بطبيبه لاخذ موعد، فقالت له الموظفة ان ثمة مجالا نهار السبت التالي في الساعة العاشرة.

قال الرجل: "آسف، علي أن أشارك في سباق العشرة كيلومترات في التاسعة من ذلك الصباح، ولا استطيع الحضور في الموعد." فاقترحت عليه الموظفة ان يأتي في الاولى والنصف.

فرد: "لست متأكداً من ذلك." اذ تذكر أن هذا الوقت قريب من موعد حفلة لابنته في الساعة الثالثة.

حينئذ قالت الموظفة بصوت ينم عن استغراب: "هل أنت بطيء الى هذا الحد؟"

م.س.



كوبرغيت يورفيك قبل ألف سنة. الزبائن هنا يساومون سناري الصائغ، وامرأة من الفايكنغ تبحث عن صفقة رابحة في حانوت سفين للجلود. جميع التماثيل هي بالحجم الطبيعي.

كنوز الفايكنغ

متحف جديد فريد يبعث مدينة يورك من القرن العاشر

صحبتني زوجتي في جولة للتفرج على شارع كوبرغيت أحد أقدم شوارع مدينة يورك في بريطانيا. ومع أن زوجتي ولدت في هذا الشارع وتعرفه جيدا منذ كانت فتاة صغيرة تقصد حانوت السكاكر على الزاوية لتشتري ببضعة بنسات الملبّس المقلم بنكهة النعناع من انتاج "كريفن"، فانها الآن تعلقت بيدي والدهشة بادية عليها. والسبب أن شارع كوبرغيت لم يعد من السهل التعرف اليه، فلقد تغيّر تماماً حتى ضاعت معالمه.

هنا في قلب يورك يرتدي الحرفيون ثياباً خشنة صنعت من قماش مغزول في البيت، ويعملون بأدوات بدائية بالقرب

Photos: John Robert Young

من منازلهم وهي أكواخ من خشب وسقوفها من قش. ويتساوم أصحاب الحوانيت والزبائن بلغة غريبة على قطع من المجوهرات غير المصقولة. وهناك امرأة تخبز على نار مكشوفة وأطفال يغنون أغاني غير مألوفة. وفي الجو روائح شتى. نشم رائحة القار ودخان الخشب والروائح المنبعثة من زرائب الحيوانات.

هذا هو كوبرغيت الفايكنغ(*) الذي اكتشف على عمق ثلاثة أمتار تحت الشارع الحديث عندما اغتنم علماء الآثار فرصة هدم بعض المنازل المهجورة لاعادة بنائها، وأزالوا الركام الذي تجمع خلال ألف سنة. على هذه الارض عاش أهل كوبرغيت وعملوا قبل ان تتحول مدينة يورفيك المزدهرة التي جعلها الفايكنغ عاصمة شمال انكلترا، الى يورك.

كل شيء نراه الآن من منازل وحوانيت وأعمال حرفية وأدوات تمّ نسخه بتفصيل ودقة عن الكنوز التي اكتشفت في التربة المشبعة بالماء مما حافظ على سلامتها عبر العصور. ونتيجة عملية اعادة بناء باهرة، يستقر ذلك الشارع الذي يعود الى القرن العاشر على دعائمه الاساسية ليشكل متحفاً فريداً افتتح في شهر ابريل (نيسان) ١٩٨٤ وكلف مليونين و٦٠٠ ألف جنيه استرليني وأطلق عليه اسم "مركز يورفيك للفايكنغ".

رحلة عبر الزمن – بدأت وزوجتي جون رحلتنا عبر الزمن بنزول سلم طويلة من الشارع الذي أقيم فوق الحفريات الى





الحياة العائلية في يورفيك كانت تدور حول الموقد في الغرفة الوحيدة التي يتألف منها المنزل المصنوع من الخشب والاغصان والقصب المجدول.
الى اليسار: مع أن مخرطة الطاسات كانت بدائية فان نسخة طبق الاصل صنعت عنها وانتجت بعض الكؤوس المعروضة في الحانوت.

قعر الحفرة الكبيرة التي أحدثتها أعمال التنقيب. وفيما نحن ننتظر في رواق يضيئه نور خفيف، توقفت بالقرب منا "سيارة زمنية" تتسع لاربعة أشخاص فركبناها. وهي واحدة من ٣٥ سيارة صُنعت خصوصاً للمركز وتشبه سيارات "نفق الحب" في المعارض والاسواق الموسمية، انما من دون سكة، اذ تسيّرها نبضات الكترونية تنبعث من أسلاك تحت الارض. ومحركاتها مبرمجة على نحو يجعل المسافة مأمونة بين سيارة وأخرى.

وما ان تحرّكت سيارتنا حتى صرختُ: "اننا نسير القهقرى!"

"بالطبع،" أجابتني جون بمنطق، "وإلا فكيف نسافر عبر التاريخ؟"

ومن مكبرات للصوت في مكان خفي من السيارة يصلنا صوت: "اننا الآن نغادر القرن العشرين." وتزحف السيارة بصمت بسرعة عشرة أمتار في الدقيقة.

واذ يزداد توغّلنا في الماضي تملأ الجو أصوات من أزمنة غابرة: نشره اذاعية منذ نصف قرن، أصوات باعة من العصر الفيكتوري ينادون على بضائعهم في الشوارع، مقاطع موسيقية من العصر الاليصاباتي، أنين ضحايا الطاعون، صليل السيوف على التروس. ثم نشاهد ألسنة اللهب ونسمع قرقعة النار الرهيبة: انه العام ١٠٦٩ والنار تلتهم مدينة يورك المتمردة التي أمر وليم الفاتح بحرقها.

تتوقف سيارتنا هنيهة قبل أن تنطلق

(★) الفايكنغ محاربون اسكندينافيون غزوا شواطىء أوروبا بين القرنين الثامن والعاشر.



فوق: نسخة طبق الاصل عن موقع الحفريات.
الى اليسار: في قلب يورك ديثة بذل العمال المتطوعون جهوداً بالغة لكشط ٣٥ ألف طبقة من الاتربة واخراج كنوز يورفيك الى النور.

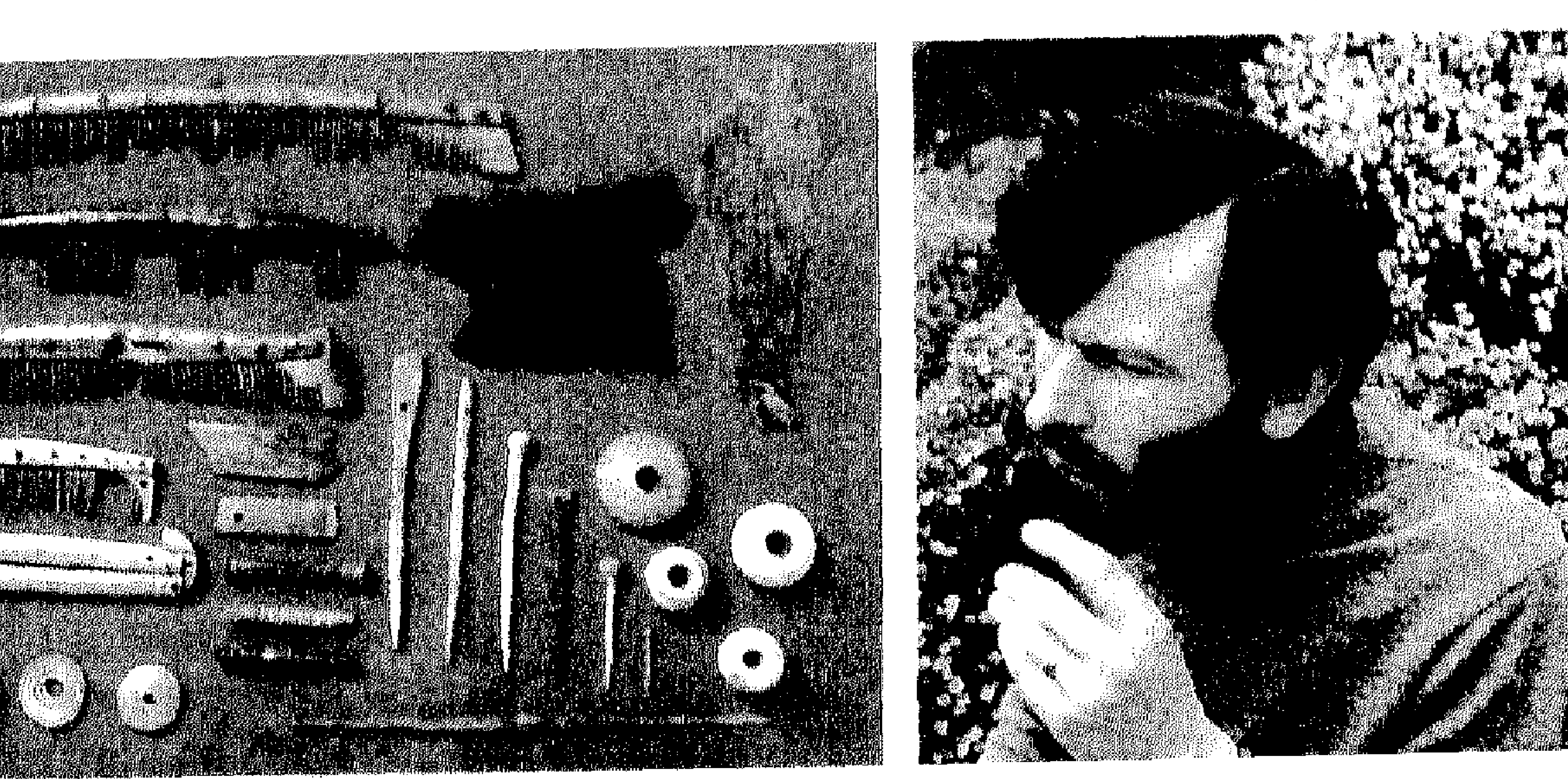


الى الامام. اننا الآن قبالة كوبرغيت الفايكنغ. في هذا المكان تتعلق جون بيدي جاحظة العينين مشدوهة. ويأتينا صوت يقول: "انه العام ٩٤٨، ولقد توقف الزمن وتجمّد التاريخ. هنا يورفيك."

تتهادى بنا السيارة عبر شارع كوبرغيت. ونجتاز تمثال الصائغ سناري ونسمعه ينادي على بضاعته بلغة اسكندينافية قديمة ونسمع خشخشة الفضة وهو يزنها. أما تورفاست النحات فهو جالس على مقعده يصنع أمشاطاً من قرون الوعول، فيما سفين الاسكافي يستمع الى زبون يشتكي اليه من ألم في ابهام قدمه. وهنا طوّاس،وكلمة كوبرغيت (Coopergate) تعني شارع الطواسين أي صانعي الطاسات، يُعمل دواسة مخرطة بدائية هي نسخة طبق الاصل عن المخرطة الاصلية، حتى ان بعض الطاسات المعروضة في الحانوت صنعت عليها.

أحجيات أطفال - تصل السيارة الى داخل أحد المنازل ونشاهد عن كثب كيف كان المستوطنون الفايكنغ يعيشون ويطبخون ويأكلون ويعملون وينامون في غرفة واحدة. ومن حسن حظ الاجيال اللاحقة أن بقايا وجبات الطعام والقدور المكسورة والثياب طرحت جانباً لتدوسها الاقدام مع المجوهرات والمفاتيح والقطع النقدية والآلات الموسيقية وتغرسها في الارض حيث ظلت مصونة طوال الف سنة وكأنها في شرنقة.

تنتقل بنا السيارة من البيت وتعبر زاوية جلس فيها عدد من الاطفال حول نول يتبادلون الاحاجي: "ما الذي يعيش من دون تنفّس؟" ويأتي الجواب: "السمكة." والاصوات هي لاولاد المدارس المحليين الذي يتعلمون الاسكندينافية القديمة على مدرّسة هي الاستاذة كريستين فيل. ومن الخارج تتناهى الينا

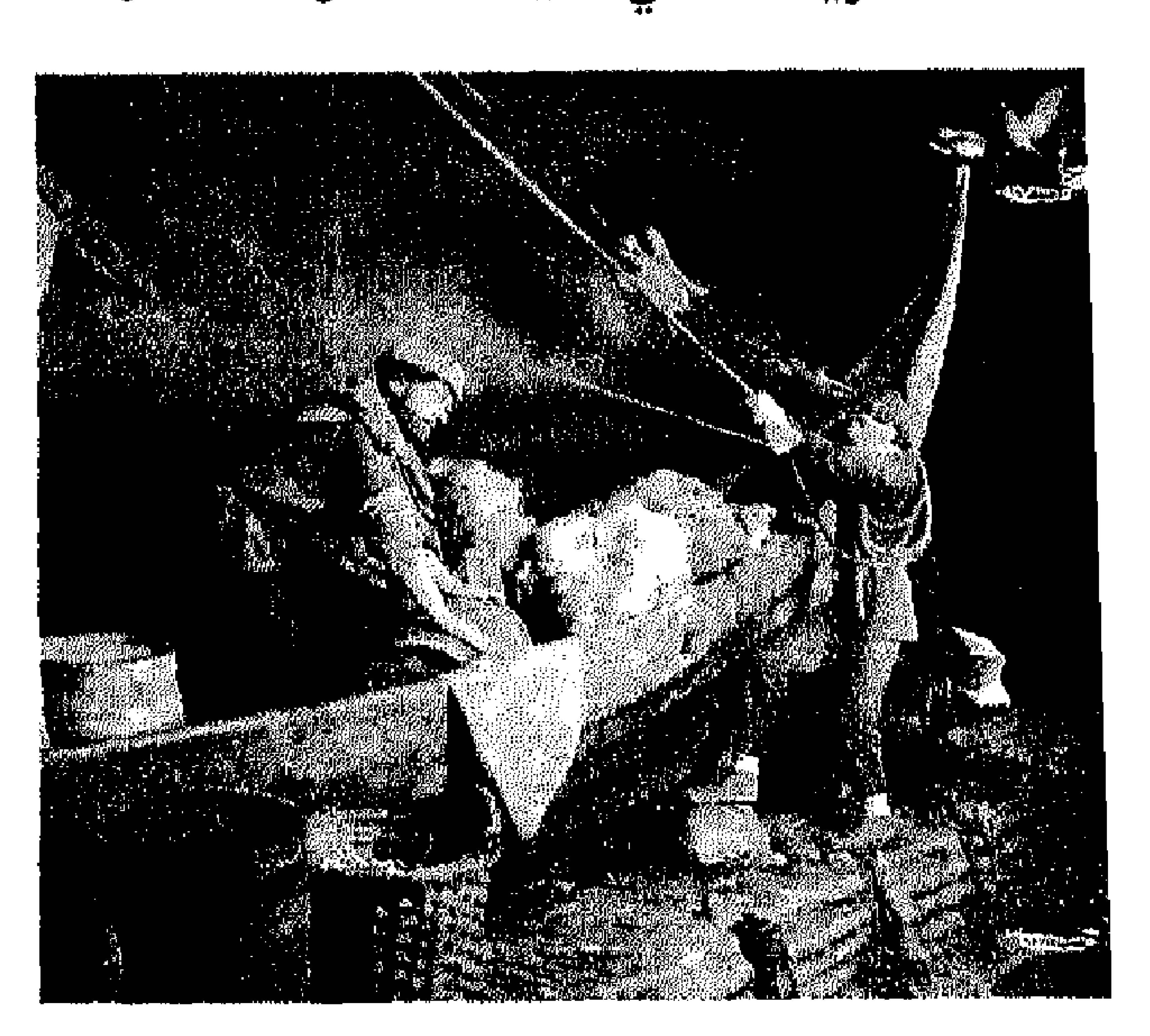


مدير الحفريات ريتشارد هول تعلم النفخ في المصفار، وهو آلة موسيقية استخدمها الفايكنغ. الى اليسار: بين أمتعة الفايكنغ القيمة التي عثر عليها في كوبرغيت أمشاط في علبها وقطع قماش ودبابيس من عظم لتثبيت المناديل ولوحات عظمية منقوشة لتزيين الصناديق وبكرات ومغازل.

أصوات الايسلنديين ولغتهم قريبة من الاسكندينافية القديمة.

في جولتنا اجتزنا ساحات تغطيها النفايات وزريبة تفوح منها روائح كريهة ومجروراً مفتوحاً بالقرب من بئر لمياه الشرب. وفيما البحارة يفرغون حمولة سمك من مركب نروجي، سمعنا صياح طائر النورس الذي تجذبه أسماك الرنكة ولطالما حمل نهر أوز تجار الفايكنغ الى قلب المدينة من أماكن نائية، حتى من مناطق حوض البحر الابيض المتوسط. والروائح التي شممناها انبعثت من زيوت عطرة موضوعة في أوعية محماة على النار. أما الاصوات فأتت عبر ٧٠ مكبراً للصوت مثبتة في أماكن خفية.

"الآن نعود أدراجنا عبر الزمن وندع المدينة تنام." وعبرت بنا السيارة بابين قبل أن نصل الى العام ١٩٨٠. هنا موقع الحفريات الذي أعيد كما كان بعد تفريغه



سفينة فايكنغ منسوخة عن سفينة وجدت مثقوبة في الدنمارك، يجري تفريغها من حمولتها من الفراء والجلود وسمك الرنكة والقدور.

من ٥٠٠٠ متر مكعب من الاتربة. وهنا أيضاً عدد من التماثيل بالحجم الطبيعي لعلماء آثار يعملون وسط جلبة الدلاء وعجلات اليد وأدوات القياس ويكشطون طبقات من التراب المتراص ليخرجوا الى النور ثروات لم يحلم بها أحد. وبين تلك الثروات ٣٠ ألف قطعة جُمعت من المنازل والحوانيت و٢٣٠ ألف كسرة من آنية فخارية وخمسة أطنان من عظام الحيوانات.

كوخ النفائس – منذ بدأت اعمال الحفر في العام ١٩٧٦ أدرك اتحاد علماء الاثار في يورك أن المشروع ربما أثمر نفائس تتخطى طموحاته. لذلك باشر حملة لجمع المال. وتبرع عدد كبير من الشركات والاتحادات والافراد في بريطانيا واسكندينافيا بالمال والخدمات. وطوال سنة كاملة كدح علماء الآثار والمتطوعون من أنحاء أوروبا، تحت سقف من البوليتين في الشتاء، وهم ينخلون التراب ويرسمون ويلتقطون الصور الفوتوغرافية لخمسة وثلاثين ألفاً من الطبقات الترابية.

كل شيء عُثر عليه، مهما بدا صغيراً وتافهاً، سجل وصنف في مكان دعي "كوخ النفائس" في الطبقة السفلى من البناء الذي شغله في الماضي معمل "كريفن" للسكاكر. وأرسلت عينات من تراب يحتوي على بزور وفتات طعام وعظم وأجزاء صغيرة من الحشرات وبيض طفيليات، الى وحدة علم الآثار البيئوي في جامعة يورك، حيث استخلص منها علماء الاحياء أنواع النباتات التي كانت

تُزرع في يورفيك والطعام الذي كان أهلها يأكلونه وحتى أنواع الطفيليات التي ابتلوا بها.

أما الاشياء الجديرة بالحفظ فكانت ترسل الى مختبر الصيانة التابع للاتحاد. والاخشاب المشبعة بالماء المأخوذة من مساكن الفايكنغ والتي نشاهدها الآن في مواضعها الاصلية، نُقعت لمدة ١٨ شهراً في راقود كبير يحتـوي على مادة بوليثيلين غليكول الشمعيّة المحمّاة التي تحل مكان الرطوبة وتمنع الاخشاب من الانحلال لدى تعرّضها للهواء.

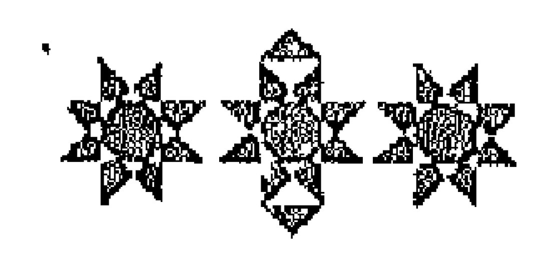
وتنساب السيارة عبر بابين آخرين ثم تتوقف. ونخرج منهـا الى الحاضـر، وبالتحديد الى صالة عرضت فيها، داخل صناديق مضاءة، ٥٠٠ قطعة من أصل عشرين ألفاً عُثر عليها في كوبرغيت.

وبين المعروضات قطعة ثياب كاملة أحدثت ضجة اعلامية عندما اكتُشفت، وهي جَورب من الصوف. وفي المعرض ايضاً اكتشاف آخر فريد في نوعه هو مصفار من خشب البقس راح ريتشارد هول مدير الحفريـات يعزف عليـه، فانبعثت منه أنغام كان لها، على رغم كآبتها، وقع سحري علينا بعد صمت دام ألف سنة.

هذا العرض التراثي الحي أطلق لمخيلتنا العنان وبث الحياة في الكنوز المعروضة أمامنا: كدنا نرى ذلك الحرفي الفنان يرسم تصاميمه على قطع من العظم، واللاعبين يقذفون النرد المصنوع من عاج حيوان الفظ (walrus) الشبيه بالفقمة، والمرأة التي زينت جيدها بقلادة من كهرمان ثم أضاعتها. اما قطعة النقد العربية من سمرقند والصدفة الصفراء التي كانت تستخدم كعملة ولا بد انها وصلت من البحر الاحمر أو ربما من خليج عدن، فقد أحضرت الى أذهاننا صورة أولئك التجار العظام الذين جابوا البحار بين اسكندينافيا ومضيق البوسفور.

أخيراً خرجنا الى ضوء الشمس، الى شارع كوبرغيت الحديث الذي لم ينج هو الآخر من التغيير. وتمتمت جون: "كل شيء مختلف الآن." لكنني تحت تأثير رحلتنا عبر الزمن كنت لا أزال مرتبكاً، ولم أدر أياً من مدينتيها كانت زوجتي تعني: يورك أم يورفيك.

جيفري لوسي ■

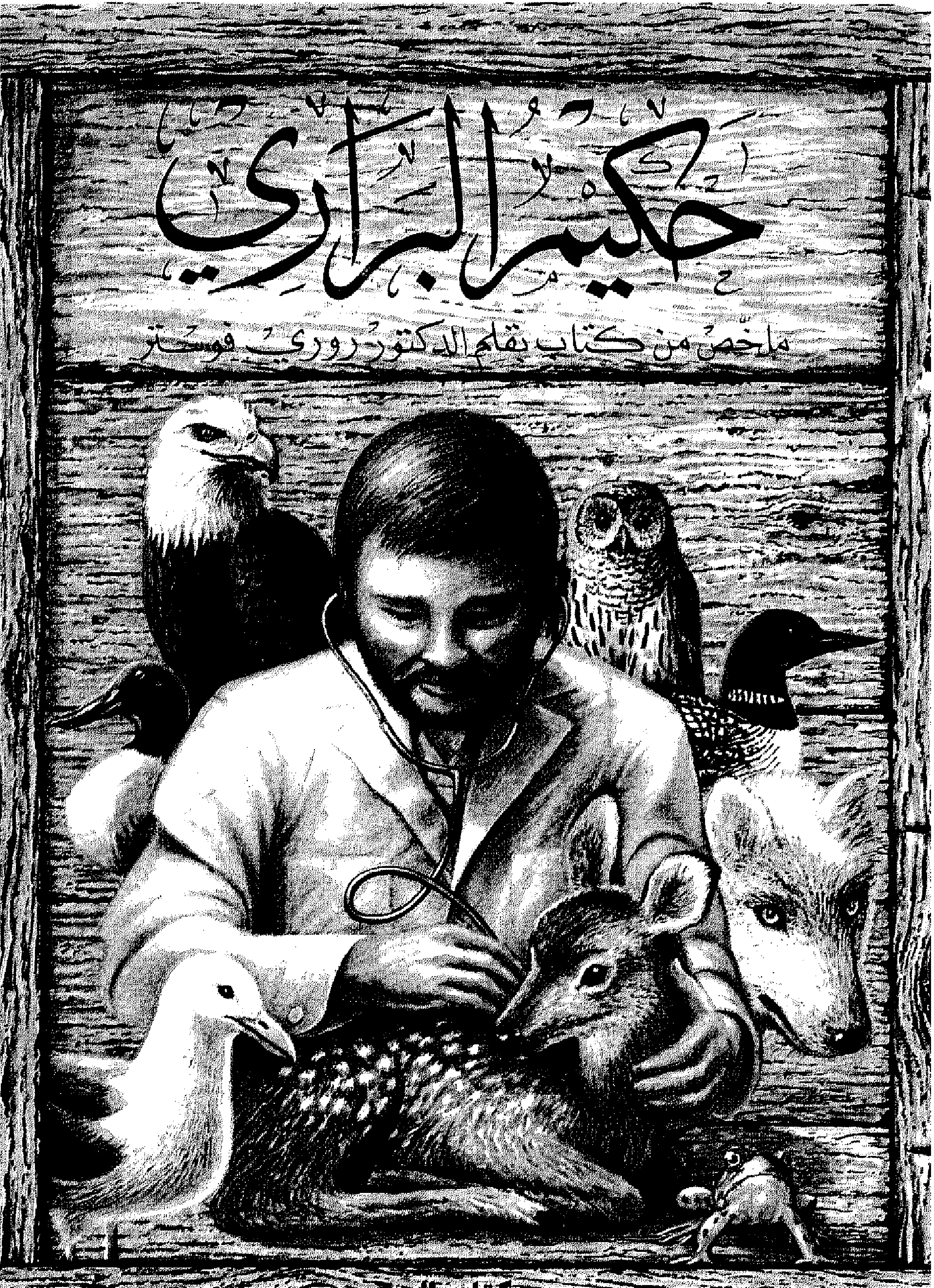


رحلة العمر

كانت فتاة تقص على والديهـا أحداث اليوم الذي أمضته مع خطيبها. قالت انهما ذهبا بالسيارة الى المدينة المجاورة لتناول العشاء وحضور عرض مسرحي. وحين سألها والدها عن موقع المطعم الذي تناولا فيه العشاء قالت: "في الواقع لا أدري. فقد كنت مستمتعة بالرحلة والرفقة والمناظر فلم أشعر الا وقد وصلنا الى هناك فجأة."

وتنهد الاب: "اني أفهم ما تعنين تماماً. هكذا بالضبط وصلت وأمك الى منتصف العمر."

ب.م.



حكيم البراري
ملخص من كتاب بقلم الدكتور روري فوستر



الدكتور روري فوستر طبيب بيطري يعمل في غابات شمال ولاية ويسكانسن، وكان يعتني بالحيوانات الاليفة حين أدرك ان الطيور والحيوانات البرية تحتاج الى رعاية كذلك. وبدأ يعالجها على نفقته الخاصة ثم يطلقها لتعود الى مواطنها الطبيعية. وسرعان ما وجد نفسه في صراع عنيف مع البيروقراطية، وحتى مع الموظفين في دوائر المحافظة على البيئة في الحكومة المحلية، من اجل اقامة اول مستشفى في الغرب الاوسط الامريكي لمعالجة الحيوانات البرّية المريضة والمصابة.

في هذا الكتاب العاطفي المؤثر يؤكد فوستر اقتناعه بأن لكل حيوان اهميته من دون استثناء. وهو هنا يتيح للقارىء أن يشاركه في أفراحه وأحزانه في تجاربه مع الكائنات كبيرها وصغيرها.

ذات صباح من العام ١٩٧٧ اندفع داخل مستشفاي في مينوكا بولاية ويسكانسن سائق سيارة يرتدي سترة كاكية اللون ويحتذي جزمة طويلة من المطاط تصل الى أعلى الخصر من النوع الذي ينتعله صيادو الاسماك للخوض في مياه الانهر. وقال لزوجتي ليندا التي تقوم بمهمة موظفة استقبال: "هل تعالجون رشأة(١) صغيرة مصابة؟"

كانت زوجتي منذ نعومة أظفارها تهوى قصة "بامبي" لوالت ديزني، فأجابت دونما تردد: "بكل تأكيد، وكيف لا!"

ودخلت في تلك اللحظة بعدما سمعت تلك المحادثة القصيرة. كانت ليندا تملأ استبيان معلومات مخصصاً للحيوانات المريضة. وسألت الرجل: "ما اسم الرشأة وكم عمرها؟"

(١) الرشأ ولد الظبية.

وبدت الحيرة عليه ثم قال متردداً: "يبدو أنك لم تفهمي ما عنيت. الرشأة ليست ظبية اربيّها، بل اني وجدتها على الطريق. كنت ذاهباً في رحلة لصيد السمك فصدمت سيارة أمامي تلك الرشأة، لكن السائق الوغد لم يقف. اني أصطاد الظباء غير اني لم اقوَ على تركها حيث هي."

سار الرجل أمامنا الى الخارج حيث وجدت رشأة صغيرة واهنة في صندوق سيارته. وبدا أنها مصابة بضرر فادح. ورفعتها برفق بين يدي في حين صعد الرجل الى سيارته ومضى في سبيله وهو يناديني: "أرجو أن تتمكن من مساعدتها يا دكتور."

عدت وليندا الى المستشفى حيث وضعت الرشأة المرتعدة على طاولة الفحص، اذ ان قوائمها كانت أوهى من أن تحملها. وشعرت بقلبها يخفق سريعاً ورأيت أمارات الرعب في عينيها. وأخذت تتحسس بأنفها الأسود الرطب راحة يدي في لهفة وكأنها تبحث عن الاطمئنان.

كانت تلك المرة الاولى أرى خشفة وليدة من فصيلة الذيل الابيض. حبل السرة لديها لم يجف بعد وما زال معلقا بها. وربما كان عمرها ٤٨ ساعة، ولم يتجاوز وزنها الكيلوغرامين. ورأيت في رأسها جرحين غير عميقين يغطيهما الدم المتجمد، ولم يكن أي منهما خطيراً. الا أن خشخشة العظم حين لامست الورك الأيسر دلت على كسر في الفخذ. الرشأة الصغيرة لا تقوى على السير على ثلاث قوائم. ولو تركها ذلك الصياد في مكان سقوطها على الطريق العامة لنفقت.

قلت لليندا بعدما أخذت للرشأة صورة شعاعية أكدت وجود كسر في العظم: "أمّني لها الراحة وسأجري لها جراحة الليلة."

ظلت ليندا تعتني بالرشأة بقية ذلك النهار، فنظفت جروحها وطلتها بالمرهم المطهّر. وأطلقت عليها اسم "فالين".

ما ان اقفل المستشفى حتى أجريت الجراحة. وتولت ليندا التخدير فيما قمتُ أنا بجبر العظمة المكسورة وأثبتُّ قضيبين من الفولاذ الذي لا يصدأ على طول عظمة الفخذ لتمسك بالجزءين المكسورين ملتصقين في استقامة صحيحة من أجل تأمين التحامهما. واتخذت كل الاحتياطات، ولم يبق أمامنا سوى أن نراقب وننتظر. وجلست ليندا بقرب الرشأة تربت فروها الذهبي المغطى ببقع بيضاء كأنها رقائق من الثلج المتساقط في اواخر الربيع. وظلت ليندا تردد: "لا أدري، لقد مضى وقت طويل ولم تستفق من التخدير بعد."

انقضت ساعتان قبل أن تتحرك فالين. وأخيراً جلست في مكانها وأخذت تنظر الينا بعينيها البنيتين الجميلتين.

قلت: "أظنها ستكون على خير ما يرام. الا ان شفاءها سيستغرق وقتاً طويلا."

فقالت زوجتي: "لا مكان لها هنا. هل يمكننا أن نأخذها الى بيتنا؟"

وأخذتني الشفقة بسرعة واجبت: "بكل تأكيد، فستكون مذعورة ومستوحشة هنا. لكن ذلك سيقتضي منك عملا كثيراً، وقد لا تشفى أبداً، فحاولي ألا تتعلقي بها."

وكنت مدركاً أن تربية الحيوانات المصابة



نيدو الحليب الأفضل
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
Full cream powdered milk
حليب مجفف كامل الدسم
نيدو الأفضل طعماً، الأسرع
ذوباناً، الأضمن نتيجة
و الأوسع إنتشاراً.
نيدو السريع الذوبان؛
ضمانة أكيدة لنموّ أولادكم.
Nestlé
تضمنه نستله

في سن مبكرة ليست مهمة سهلة."

منذ تلك الليلة أخذت ليندا الرشأة على عاتقها . في البداية كانت تنهض من نومها مرة كل ساعتين، ليلا ونهاراً لتدفع بالفيتامينات في بلعومها وتحقن مضادات الحيوية في جسمها وترضعها من زجاجة حليب وتبتدع لها معالجة جسدية فيزيائية لتقوية عضلاتها. وأثمر هذا الجهد اذ بدأت الرشأة تبرأ على نحو جيد.

ولدَتْ حرة

بحلول شهر يوليو (تموز) التأم الكسر تماماً. ولم يبق لنا عذر في ابقاء فالين سجينة فأعطيناها الحرية في الذهاب والاياب كما تهوى. في الليل كانت تفضل أن تنام في الغابة قرب بيتنا، اما في النهار فكانت تقضي الوقت في رفقتنا. وكانت ليندا تلاعبها وتأخذها في نزهات الى الغاب. وكانتا أحيانا تجلسان جنباً الى جنب ساكنتين.

ومع اقتراب الخريف سمنت فالين وناهز وزنها ٣٠ كيلوغراماً واختفت البقع التي كانت ترقط اهابها. وبدأت غرائزها الطبيعية تبرز، واخذت تقضي وقتاً أطول في الغاب. وذات ليلة بعدما أوينا الى الفراش قالت ليندا: "ان نظرات فالين هائمة هذه الايام. أظنني على وشك أن افقد ربيبتي." وشعرت أن في صوتها رنة أسى.

فقلت لها: "لم يغب عنك قط أن هذا اليوم سيأتي. فالين تأكل لوحدها الآن، وساقها برئت تماماً. ينبغي أن نطلقها."

ووافقت ليندا متمتمة: "انها تستحق أن تعيش حرة."

وذات يوم في أواخر سبتمبر (أيلول) وضعنا فالين في سيارتنا وانطلقنا في الغاب على الارض المغطاة بأوراق الشجر المتساقطة تحت شؤبوب من المطر الخفيف. ولما كانت فالين تكره الاقفاص فقد حقنتها بمهدىء ذي مفعول قصير الأجل لأخفف عنها عناء الرحلة. هذا المفعول المنوِّم سيدوم نحو ١٠ دقائق بعد وصولنا الى النقطة النائية التي نقصدها بعيداً عن الطريق العامة.

عندما وصلنا انزلت فالين من السيارة. ثم جلست وليندا متكئين على جذع شجرة ضامّين فالين الينا في انتظار زوال مفعول العقار المهدىء. ونظرت الى ليندا فرأيت الدموع تفيض من عينيها وتنحدر على خديها لتتساقط على رأس الظبية.

لقد اضحى على فالين أن تهتم بنفسها. لكن القلق كان يساورنا أنا وليندا، فكل ما اعطيناها اياه كان الرقة والمحبة. فكيف لنا أن نحذرها من الوثوق بالآخرين كما تعلمت أن تثق بنا؟ ترى هل يمكنها ان تميِّز رائحة حيوان ضار؟ هل تقع في شرك مغطى بالثلج؟ كل ما كان في وسعنا ان نفعله هو أن نعطيها فرصة لكي تحيا الحياة التي خلقت لها.

فجأة استفاقت فالين من غيبوبتها وقفزت منتصبة على قوائمها. وقفت برهة أتاحت لليندا أن تضمها الى صدرها مودعة ثم انطلقت الى قمة مرتفع قريب تستنشم الريح. بعد ذلك ادارت رأسها لتنظر الينا وكأنها تودعنا الوداع الاخير. وعلى غير توقع برزت أشعة الشمس من خلال أغصان شجرة لتعكس لنا صورة فالين في روعة بهائها.

والتقت عيناها البنيتان الكبيرتان أعيننا للحظة عابرة ثم لوّحت بذيلها ومضت.

النورس أورفيل

خلال الاشهر الاولى من دخول فالين حياتنا بدأت أعالج عدداً متزايداً من الكائنات البرية. وقرأت كل كتاب وقعت عليه حول العناية بالحيوانات البرية واعادة تأهيلها . واكتشفت أن نحو نصف الحيوانات التي تعالج يعاد اطلاقها، أما البقية فتنفق اما من اصابتها الناجمة في معظمها عن سيارات أو بنادق صيد، واما من تركها في حال كساح فتغدو عاجزة عن العيش في البرية. ومضتني هذه الوقائع وأحبطتني. وقصة النورس اورفيل حالة نموذجية.

دخلت فتاة شقراء زرقاء العينين من كلية نورثلاند. ووضعت صندوقاً من الكرتون على طاولة الاستقبال في المستشفى قائلة: "هوذا أورفيل. كنت أتمشى على شاطىء البحيرة الكبرى (سوبيريور) فوجدته قابعاً على صخرة. لم يحاول أن يطير، بل قبع هناك هادئاً. وبدا لي أنه مستوحش وجائع. لذلك حملته وجئت به. وقد أطلقت عليه اسم جدّي."

نظرت داخل الصندوق وتفرست في النورس. وقلت لمنقذته انه ينبغي أن نأخذ له صوراً شعاعية. والتمعت العينان الزرقاوان متحولتين عن عيني. وقالت الفتاة: "يجدر بي أن اصارحك بأني لا استطيع دفع كل التكاليف الآن. فابتسمت لها قائلا: "لن أطالبك بأي كلفة. ان مساعدة المخلوقات هوايتي."

قالت الفتاة برقة: "هذا حسن. ولكن اذا كان ثمة امر يمكنني ان أفعله فأرجو ان تعلمني. وبعد أن يبرأ أورفيل تماما سآخذه في سيارتي وأعيده الى البحيرة."

وضحكت لها: "عندما يشفى سيصبح قادراً على الطيران الى هناك."

حملت الصندوق الى غرفة المعالجة. كان أورفيل ينظر حوله باستغراب من دون أن يثير أي متاعب. ومددت يدي ورفعته من الصندوق ووضعته على طاولة الفحص. كان جناحاه الرماديان الموشيان بالاسود في رأسيهما منطويين حول جسمه. وكان يتحرك مهتزاً وهو يحاول أن يثبت قدميه على صفحة الطاولة الفولاذية.

تلمست جسم أورفيل برفق بحثاً عن اصابات قد تكون السبب في تصرفه الغريب. فالطيور المائية تصاب بجروح لدى اصطدامها بخيوط صيد السمك أو انغراز شص في جسمها. ولكن لم تظهر على أورفيل أعراض من هذا القبيل. عندئذ لاحظت نتوءا خفيفاً في الريش على الجانب الايسر من قاعدة الذنب. وأزحت ريش الذنب الطويل القاسي فبان لي تورم ناتىء من الجلد في حجم حبة عنب. انها آفة خبيثة لونها أحمر قاتم. واحسست بكتلة صلبة غائرة في العضلات تحت الجلد. وكان من المحتم استئصالها.

من أجل تهيئة أورفيل للجراحة أطعمته مقادير وافرة من السمك الصغير مع فيتامينات ومعادن. وبعد ثلاثة أيام أجريت الجراحة مع كارين مساعدتي الفنية المتخرجة حديثاً.

وكان البَضْع لاستئصال الورم دقيقاً ومتعباً. ورأيت عند قاعدة الورم جذوراً

متشعبة من الكتلة الصلبة وممتدة في العضلات تحتها. واقتضتني الجراحة ساعة لاستئصال أكبر جزء ممكن من الورم، اذ ان الغور الى مدى أعمق في جسم أورفيل كان يعني فقدانه السيطرة على عضلاته وأعصابه.

وحدّقت كارين الى الكتلة الدامية على الطاولة قرب اورفيل وسألتني: "ماذا تظن؟"

وتمتمت ساهماً: "سرطان."

قالت: "لم أكن أعرف ان الطيور يمكن أن تصاب بالسرطان."

وأخبرتها "ان الطيور تصاب بالسرطان كأي كائن آخر."

الاستسلام للموت

استعاد اورفيل عافيته على نحو جيد. ولكن بعد ١١ يوماً تلقيت تقرير التحليل المخبري الذي كنت طلبته، وقرأته: "ورم ليفي سركومي، انذار لا يبشر بالخير." وفكرت: لا بأس، ربما لن ينمو ثانية.

طوال الاسابيع الثلاثة التالية نشأت علاقة خاصة بيني وبين أورفيل. وكنت أقضي معه وقتاً اضافياً لاجراء التمارين اليومية، وأطعمه بنفسي. ودأبت على فحص موضع الجراحة بحثاً عن اشارات تدل على عودة التورم السرطاني. وبعد ٣٣ يوماً من استئصال الورم أحسست تصلباً جديداً في الناحية التي كان فيها الورم الاصلي. إذاً، عاد السرطان الى النمو.

وأيقنت أن الطائر هالك حتماً، وفكرت في أن أدعه ينفق برحمة. ولكن لم تظهر على أورفيل علائم تدل على أنه يتألم. كان يقظاً ويأكل على خير ما يرام. فناديته جازماً: "يا اورفيل، سنبقى معاً الى النهاية."

ظل اورفيل طوال أربعة أسابيع تالية برّاق العينين نشطاً. وخلال هذه الفترة أحبه كثيرون من زائري المستشفى الذين رأوه وعلموا أنه من ضحايا السرطان، وباتوا يعون ذلك النسيج الشامل في الحياة الكلية الذي يربط بين كل مخلوقات الله. الحياة في ذاتها نهائية، وكلنا مقدر لنا ان نموت. اذاً، اهم ما في الحياة كيف نعيشها. وأورفيل يعيش أيامه الأخيرة على أتمها.

كنت أسمح له بأن يبقى في غرفة الفحص ليراقب نشاطي في العيادة. وكان في هذه الاثناء يصيح في الكلاب التي يحب أن يداعبها: "كيوا كيوا". وحين كنت أتأخر في العمل كان يجثم على مكتبي وينظر الى ما أكتب.

ووصلت الى المستشفى ذات صباح في شهر أغسطس (آب) فقالت لي كارين: "أظن أن حال أورفيل تسوء، فعيناه باهتتان وهو لا ينعق كالعادة."

وتملكني خوف وهرعت الى قفصه. كانت عيناه زائغتين تحدقان الى البعيد، وبدا كأنه ينظر الى شيء لا يمكنني أنا أن أراه. وأبى أن أطعمه بيدي. فجأة خامرني ريب في أن أورفيل يدرك أنه هالك، فاستسلم للموت.

بقيت طوال ذلك اليوم أطوف حول قفصه متفقداً. بدا أول الامر انه يتمالك نفسه، ولكن مع اقتراب المساء أخذ ينهار بسرعة. وعندما استعدت كارين للذهاب بعد اقفال المستشفى قلت لها اني مزمع على البقاء قليلا. وتحاشيت عينيها وأنا

اضيف الى زعمي كذبة بيضاء: "لدي كثير من الجداول التي ينبغي أن املأها. فاذهبي. والى اللقاء غداً صباحاً."

بعد مغادرة كارين حولت اهتمامي الى أورفيل. لن يتاح له بعد الآن أن يحلّق في الجو فوق البحيرة الكبرى. وجلست قرب قفصه اذ لم أرغب في تركه وحيداً.

وكنت في جوار أورفيل حين لفظ آخر انفاسه في وقت مبكر من تلك الليلة الحارة من أغسطس (آب).

البومة والسيدة موزلي

جاءتني كارين وأنا منهمك في اجراء جراحة لكلب وقالت: "ثمة امرأة تحمل بومة صدمتها بسيارتها وتريد منك ان تفحصها حالا."

فقلت: "أخبريها اني سأحضر بعد خمس عشرة دقيقة." وغادرت كارين الغرفة وعاودتُ عملي. ومرت خمس دقائق.

وظهرت كارين في الباب ثانية وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة خفيفة: "السيدة موزلي تكاد تنهار هلعاً على البومة يا دكتور فوستر، فهلا أسرعت!"

أنهيت الجراحة وأمنت راحة الكلب وخرجت لأرى السيدة موزلي تكاد تجهش بالبكاء. وأعجبت بتلك المرأة التي جاوزت الثمانين. كان شعرها أبيض وعيناها زرقاوين حادتين تلتمعان وراء نظارتيها. وكانت مرتدية قميصاً فضفاضاً أزرق اللون طبعت عليه كلمة "الجدة" وسروالا أزرق مقلماً وحذاء رياضياً. واستهوتني من النظرة الاولى.

قالت وهي تغالب البكاء: "آه يا دكتور فوستر. اني حزينة الى أقصى الحدود. هذا أول مخلوق أرهسه خلال ٥٠ سنة من القيادة." ثم بلعت ريقها بعصبية وتحكمت بمشاعرها وأضافت بصوت هادىء: "يجب أن تنقذ هذه البومة."

كان ذلك بمثابة أمر. فانصرفت الى العمل من فوري. مددت البومة المخططة على ظهرها فوق طاولة الفحص. وكانت بلا حراك. ورفعتها بيدي وتحسست صدرها، وذهلت حين شعرت بنبض قلبها السريع الخافت. ولمست احدى عينيها الكبيرتين الزرقاوين لافحص رد فعل قرنيتها، فأطبق الجفن على مهل. عندئذ قلت: "البومة حية، لكنها في غيبوبة وحالها غير مطمئنة."

لمست السيدة موزلي البومة بيدها معجبة بريشها الرمادي وبالخط الفريد على بطنها وقالت متنهدة: "ما أجملها. آه، أرجو الله أن تتمكن من انقاذها."

ووعدتها: "سأبذل قصارى جهدي."

وودعتني السيدة موزلي بهزة رأس جازمة ومضت.

لمسات حب

باشرت اعطاء البومة مضادات للحيوية ومركب ستيرويد (Steroid) يستعمل لتخفيف تورم الدماغ. ثم وضعتها في قفص مظلم. وبعدما بذلت كل ما أستطيع خاطبت البومة: "تحسني كرمى للسيدة موزلي." لكنني شككت في أن تبقى تلك المريضة بين الاحياء في اليوم التالي.

لذلك فوجئت حين وجدتها حية في الصباح.

لم تكن قادرة بعد على الوقوف على

قائمتيها، لكن جفنيها رفّا وهي تحدق الي، وتحركت احدى قائمتيها. يا للفرحة!

بعد ساعة اقتحمت السيدة موزلي مدخل المستشفى وصاحت في كارين: "جئت لأعود ستانفيلد."

وسألتها كارين مدهوشة: "من هو ستانفيلد؟"

أجابت: " يا حبيبتي، انه الاسم الذي اطلقته على البومة." ثم أخرجت كيس ورق من حقيبة ينسجم لونها مع السروال الذي كانت ترتديه وقالت: "هاك بعض الزلابية الطازجة لك وللدكتور فوستر."

رافقت كارين السيدة موزلي الى غرفة المعالجة حيث أنزلنا البومة المكرمة. وجذبت العجوز كرسيا الى جوار القفص وجلست وأخذت تلتهم الزلابية. وبين مضغة وأخرى كانت تخاطب البومة مؤكدة أنها ستبقى قربها الى النهاية. ومن الغريب أن البومة بدت وكأنها تعي كل كلمة قالتها العجوز، اذ لم تتحول عيناها عنها.

واظبت السيدة موزلي على زيارة ستانفيلد كل يوم حاملة الزلابية ومرددة كلمات التشجيع ومربتة رأسها بلمسات حب جريئة. وبعد أسبوع أعلنَتْ أن صحة البومة في تحسن وأضافت: "أريد أن أكون حاضرة حين تطلقونها."

أومأت برأسي موافقاً ونبهتها: "ولكن ينبغي أن تدركي أن على البومة قضاء أسبوعين في التمرين لتستعيد قوة عضلاتها. لا تقلقي، فأخي رايس سيأتي غداً ليساعدني خلال فصل الصيف. انه طالب طب بيطري وبارع في تنشيط الطيور."

وضمتني السيدة موزلي الى صدرها بقوة وكأنها ظنتني أستقدم اختصاصياً من طريق الجو ليعتني بالبومة فحسب.

ستانفيلد الثانية

سرعان ما وطّد أخي رايس علاقته بالسيدة موزلي فأخذت تحضر الزلابية له أيضاً وتردد: "أيها الشاب، اني أحب أسلوبك." وكان رايس يمازحها وكانت هي تسعد بذلك.

لكن الامور اختلّت قليلا. فذات يوم كنت أقطب تشرماً في بدن كلب أليف حين دخل علي رايس مقطب الجبين شاحباً وتمتم: "البومة..."

وسألته: "ما بالها؟ هل ساءت حالها؟"

قال: "بل تحسنت أكثر مما ينبغي. لقد أفلتت من يدي وطارت."

وصحت فيه: "آه، لا، ستنهار السيدة موزلي الآن. انها ارجأت سفرة الى كاليفورنيا لكي تشاهد اطلاق ستانفيلد."

قال وهو يذرع الغرفة جيئة وذهابا: "لا داعي الى ان تخبرني، فأنا أعرف ذلك."

في العاشرة تماماً صباح اليوم التالي وصلت السيدة موزلي متراقصة في مشيتها وهي تحمل كيسا من الزلابية تحت كل ابط. وسارت رأساً الى غرفة المعالجة لترى البومة. ووقفت أترقب انفجاراً. لكن شيئا لم يحدث. وتقدمت مسترقاً الخطو لاستقصي حقيقة ما يجري، فرأيت السيدة تتفرس في بومة مخططة أخرى هناك. وكان رايس أدخل المستشفى بومة أخرى ضربتها سيارة وظنتها السيدة موزلي بومتها ستانفيلد.

عندئذ اندفع رايس داخل الغرفة

وصاح: "مرحباً يا سيدة موزلي. ان ستانفيلد على خير ما يرام، لكنني لاحظت هذا الصباح وأنا أمرّنها انها في حاجة الى مزيد من المعالجة." ثم اشار الى البومة وأضاف: "ينبغي أن نقوّي هذين الجناحين ليصبحا أشد. انك لا تريدين أن نطلقها وعضلاتها ضعيفة، أليس كذلك؟"

وتفرست السيدة موزلي في البومة المزيفة. لم يكن ممكناً طبعاً أن ترى العضلات تحت الريش، ووقعت ضحية جاذبية رايس وقالت: "اني أدرك ما تعني يا رايس. من الافضل أن تبقي ستانفيلد هنا مدة أطول. أنا أود أن تصبح في خير حال." ثم قدمت اليه كيس الزلابية.

وبعد ثلاثة اسابيع أطلق رايس والسيدة موزلي البومة ستانفيلد الثانية وفقاً للبرنامج المقرر. وقبّلت العجوز خدّي رايس بحنان وضمته الى صدرها. كانت لحظة عاطفية رائعة.

مشروع فريد

ذات مساء بعد يوم مرهق في العيادة رجعت الى البيت وقلت للبندا: "ينبغي أن نفعل شيئا ما. لدي سبعة عشر قفصاً في المستشفى، واليوم احتلت الحيوانات البرية أربعة عشر منها."

وسألتني زوجتي: "الا تستطيع ارسال بعضها الى سواك ليعنى بها؟"

فأجبت بمرارة: "الى من؟ ان أقرب مركز للمعالجة هو في جامعة مينيسوتا في سانت بول. ولا يقبل هناك سوى الطيور الجوارح، والمركز يقع على بعد ٢٩٠ كيلومتراً منا."

وجلسنا صامتين برهة. وأخيراً قالت ليندا: "ماذا يسعنا أن نفعل؟"

قلت: "كنت أفكر اليوم، أفكر فحسب، لماذا لا ننشىء مؤسسة لا تتوخى الربح وتعنى بالحيوانات البرية المتأذية؟"

وهتفت ليندا: "انها فكرة رائعة!"

أضفت: "اننا قادرون على جمع تبرعات وتطويع أعضاء. وفي النهاية نبني مستشفى حقيقياً للحيوانات البرية يلحق بالمستشفى البيطري الحالي بحيث لا يتعين علينا شراء معدات أخرى باهظة الكلفة."

واتسعت عينا ليندا من الاثارة وصاحت: "رائع!"

بقينا ساهرين حتى الثانية والنصف صباحاً نتحدث عن المشروع ونتخيل الامكانات الفريدة التي يوفرها مركز لمعالجة الحيوانات البرية. وبدا الأمر في نظرنا مشروعاً عظيماً.

في أواخر صيف ١٩٧٩ بوشر تنفيذ المشروع. وقدمنا طلباً لاعتبار المركز مؤسسة لا تتوخى الربح معفاة من الضرائب، وقبل طلبنا وتعهدت أن أقدم خدماتي مجاناً وأتبرع بكل المواد الطبية اللازمة. ونظمنا حملة لتطويع أعضاء انتهت بانضمام ٣٠٠ مناصر متحمس الينا. وباشرنا السعي الى الحصول على مساعدات مالية للبناء.

غير اني دهشت حين وجدت معارضة قوية كذلك، وان تكن أسبابها متباينة جداً. كان أحد الاسباب الذي ظل يبرز من حين الى آخر، هو الزعم أن جهودنا ستعود بفائدة ضئيلة على المخلوقات البرية. وتعيّن علي أن أكرر أننا ندرك أن انقاذ

حيوان او طائر واحد ليس مهماً في ذاته بالنسبة الى مجموع بنات جنسه، الا في حال معالجتنا حيواناً من فصيلة مهددة بالانقراض.

والى معارضة المواطنين العاديين، تلقيت انتقاداً من الموظفين في دائرة الموارد الطبيعية في ويسكانسن. فقد كتب الي الاختصاصي بالحياة البرية هناك يقول ان معالجتي للحيوانات الفردية تترك انطباعاً مضللا عما هو ذو أهمية. فالناس، في زعمه، يجب أن يهتموا بالمواطن الطبيعية للحيوانات وبأعدادها، وليس بطائر أو حيوان وحيد. ولما كانت القوانين في الولاية تحمي الحيوانات فقد اعتبرت ملاحظاته غير منطقية وصارحته بذلك. وكانت لي فترة عصيبة ومحبطة.

الطائر الغواص

في الخريف وجهت الي كارين سؤالا: "يا دكتور فوستر، هل ندمت على انشاء مركز العناية بالحياة البرية؟ أعني هل ندمت بعد قيام كل هذه المعارضة ضدك؟ أليس الامر الآن بمثابة شوكة في الخاصرة ومصدر ازعاج؟"

نظرت الى كارين وأنا مستغرق في التفكير. وبدل أن أجيب سألتها: "ما رأيك في مرافقتي لاطلاق طائر غوّاص؟"

الغوّاص طائر مائي في حجم الاوزة، له جسم مديد وعنق ثخين ومنقار حاد. وهو اشتهر بضحكته المجلجلة ونعابه الحزين عند الغسق وخلال الليل. انه غواص بارع يستطيع النزول الى عمق ٩٠ متراً تحت سطح الماء بحثاً عن الطعام.


وكنا عالجنا هذا الطائر الذي سميناه "لونار" من جرح ناجم عن شص صيد. وذهبنا في السيارة، أنا وكارين، الى بحيرة تراوت وهي أكبر مجمع مائي في المنطقة. وأوقفت السيارة وخرجنا وأنا احمل الصندوق الذي يحوي لونار. وما كدت أرفع الغطاء حتى قفز الطائر الذي يبلغ وزنه أربعة كيلوغرامات منطلقاً الى الحرية، ثم غطس في المياه الصافية.

وقفنا فترة نراقب لونار وهو يسبح بقوة متجهاً نحو المياه العميقة. وهناك غاص ثم طفا على بعد مئات الامتار وأطلق زعقة مدوّية مزقت سكون البحيرة. وأحسست رعشة تدب في فقاري وأنا أراقبه يغوص ثانية. وحين خرج شاء أن يجرّب جناحيه. فاستعان بقائمتيه ليدرج على سطح الماء مسافة مئة متر تقريبا، وهي المسافة العادية التي يحتاج اليها ليرتفع في الهواء. وبعد ذلك حلق على مهل مرتفعاً وطار موغلا في جو البحيرة.

وحين أصبح لونار نقطة سوداء في الافق التفت الى كارين فبادرتني: "لا داعي الى الكلام، لقد فهمت الآن."

مالك الحزين

التقيت مارتي سميث للمرة الاولى في جامعة آيوا الرسمية في آميس في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٥. كان مارتي حينئذ طالب طب بيطري، وهو شاب طويل القامة ناحلها له شعر قصير مجعد ويضع نظارتين. ونشأت بيننا صداقة. كما توطدت صداقة اخرى بين ليندا وجودي زوجة مارتي التي كانت تعمل في كلية الطب البيطري.



وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٠ تخلّى مارتي عن عمله في ماديسون (ويسكانسن) لينضم الي بصفة شريك في مينوكا. وذات يوم بعدما انقضى شهر على عملنا معا، رد مارتي على الهاتف وسمع صوت امرأة تسأل: "هل هذه مؤسسة العناية بالحيوانات البرية؟"

- نعم... موقتاً... ما الامر؟

"ثمة طائر من فصيلة مالك الحزين (البلشون) الازرق على ما أظن. اني أراقبه من نافذة بيتي منذ اسبوع يقف في البقعة عينها قرب جزيرة صغيرة في البحيرة ولا يتحرك ابداً... لا بد من أنه جريح."

- هل لاحظت أي جرح فيه؟

"لا يمكنني أن أرى شيئاً. انه بعيد عني داخل البحيرة. لقد اعتدت أن أرى طيوراً كثيرة هناك، لكنها لا تلزم مكاناً واحداً لا تفارقه."

- حسناً، سآتي الليلة بعد انتهاء المواعيد لالقي نظرة.

واذ لم تكن لدي ارتباطات ذلك المساء فقد ذهبت مع مارتي. ووصلنا قرابة الثامنة. وشاهدنا الطائر من حديقة المرأة، وكان كبيراً من نوع مالك الحزين الازرق، واقفاً بين النباتات المائية في جوار جزيرة صغيرة مغطاة بالشجر على بعد ٢٠٠ متر منا.

قالت المرأة: "اني على يقين من أنه لا يقوى على الطيران." ثم أشارت الى زورق خشبي مربوط الى رصيف أمام منزلها وأضافت: "لماذا لا تأخذان الزورق وتتحريان الأمر عن كثب؟"

وكنا نرتدي ملابس رسمية، ومع ذلك ركبنا الزورق. وجلس مارتي على مقدمه وهو يقول: "سأقبض أنا على الطائر، وما عليك سوى أن تقربني منه مسافة تتيح لي أن أمسكه."

واقترحتُ وأنا أرمق الزورق المثقل بالماء: "لماذا لا تجذف أنت؟ لا تنسَ انك انت المدعو."

وأصر: "لا يا فوستر، أنت تجذف. أنا لي خبرة واسعة بهذه الطيور. جذف بسرعة، الليل يدهمنا."

الدكتور شميت

بدأت عضلات كتفي تؤلمني حين اقتربنا من الجزيرة. ثم ارتج الزورق وجمد في مكانه اذ اصطدم قعره بالارض على بعد عشرة أمتار من الطائر الواقف من دون حراك.

وأمرني مارتي وكأني كلب صيد مدرّب: "جئني به يا فوستر، هيا!"

قلت: "لا، أنت الخبير المدرّب. اذهب وامسكه."

خلع مارتي حذاءه وجوربيه متردداً ثم نزل من الزورق. وانزاح الوحل المتراكم في قعر البحيرة تحت ثقل جسمه البالغ ٩٠ كيلوغراماً. وأخذ يغوص أكثر فأكثر مع كل خطوة يخطوها حتى غمر الماء ركبتيه. عندئذ صاح: "فوستر، هذا سخف. ماذا ترانا نفعل هنا؟"

وذكّرته: "مالك الحزين الازرق."

قال: "آه، حقا." وتقدم من النباتات المائية. وما ان وصل الى مسافة متر من الطائر حتى أطلق هذا زعقة مدوّية وقفز في الهواء ثم طار الى الجانب القصي من البحيرة.

وقف مارتي في مكانه مشدوهاً وهو غائص في الماء الى أعلى فخذيه وقد لطخ الوحل قميصه الازرق وربطة عنقه المخططـة. وتقبض وجهـه سخطـا فابتسمت له من الزورق.

في تلك اللحظة ظهر قارب مقبل نحونا من وراء الجزيرة. في ذلك الموقف لم أكن أرغب في مصادفة أحد يعرفني، لذلك انبطحت في الزورق متواريا. لكن زميلي في موقفه الزري لم يجد مكاناً يختبىء فيه.

ودنا الزورق منا وفيه رجلان صاحا بنا: "هل هذا أنت يا دكتور سميث؟"

قلت في نفسي: رباه، اذا اكتشف أمرنا ونحن في هذه الحال وفي هذه الورطة، تأكد ما يساور السكان المحليين عن خبل الطبيبين اللذين يديران برنامج رعاية الحيوانات البرية. وفي تلك اللحظة تعالى صوت بلهجة ألمانية ثقيلة: "لست الشخص الذي تطلبان. لست شميث."

قال الرجل: "آسف، ظننتك الطبيب البيطري." وغاب الزورق في الظلمة والضباب.

ونهرت مارتي: "اصعد الى الزورق أيها الغبي."

فقال: "هذا تماماً ما كنت أنوي فعله."

في الاسبوع التالي عدت في سيارتي الى البحيرة. وهناك رأيت مالك الحزين عينه واقفاً في البقعة عينها. وتأكد لي أن زيارتنا المشؤومة للفجوة المفضلة التي يصطاد فيها السمك لم تزعجه بمقدار ما أزعجت الدكتور شميث الخبير البارز في فصيلة مالك الحزين الازرق.

عينا الذئبة

كانت حظيرة الحيوانات الاليفة في المستشفى هادئة على غير عادتها. والى يساري ربضت ثلاث قطط ساكنة في أقفاصها المصنوعة من الفولاذ الذي لا يصدأ. وكان قرب الباب هرّ عمره ثماني سنوات اسمه بنيامين اشتهر بشراسته القتـالية. فعلى فتـرات تراوح بين أسبوعين وثلاثة كان يؤتى به لمعالجته من اصاباته في القتال. وفي ذلك اليوم بضعت دملا في عنقه وادخلت انبوباً في الجرح لينز منه السائل. وقد اعتاد بنيامين ان يثير ضجة مخيفة عندما يقفص، لكنه لم يفعل ذلك اليوم، بل تكوم في احدى زوايا القفص وهو يحدق الى وسط الغرفة.

أما ناغيت الكلبة الاليفة الوحيدة في المستشفى فقد جثمت بهلع في زاوية قفصها. انها كلبة صيد ممتازة وكانت تتعافى بعد جراحة في الركبة، لكن منظرها ربما أوحى أن أيامها في هذه الدنيا أضحت معدودة.

والسبب في كل ذلك قفص وسط الغرفة مصنوع من الخشب والحديد المشبك حبست فيه ذئبة قطبية بيضاء رائعة. وبدا لي أن الكلبة والهررة كانت تتخيل ما يمكن أن تفعله تلك الذئبة لو كانت طليقة في الغاب.

فهذه الذئبة التي يبلغ وزنها ٤٠ كيلوغراماً، لو كانت طليقة في مواطنها بغابات آلاسكا، لكانت تسترق الخطى في درب غير معلمة بحركات رشيقة متأنية وايقاعية وجسم عضلي قوي، حتى لتبدو وكأنها عائمة على الارض المتجلّدة.

وتعالى صوت ينادي: "روري!"
أيقظني الصوت من تخيلاتي فرأيت ليندا واقفة في الباب.
اتسعت حدقتاها وقالت: "آه يا روري، انها رائعة الجمال، انظر الى هاتين العينين."
أجل، العينان: صفراوان خارقتان ساحرتان. يستحيل أن تنظر الى عيني تلك الذئبة من دون أن يطغى عليك سحرهما. وكنت بالنظر الى أعين الحيوانات الأليفة أجزم في ما اذا كان الحيوان ودوداً أم عدوانياً. لكن عيني تلك الذئبة لم تخبراني بشيء.
وأوضحت لزوجتي: "انها من معرض بيربارك للحيوانات البرية. الاحوال هناك رهيبة. وليلة أمس علقت القائمة الامامية اليمنى لهذه الذئبة في شبكة الاسلاك في حظيرتها. وانقطع دوران الدم وتجلدت الساق. وكانت الحرارة ٣٥ درجة مئوية تحت الصفر، ولم يسعني أن أفعل شيئاً سوى بتر الساق." وأضفت بأسى: "لو لم ابتر الساق لنفقت الذئبة."

المعنى الغامض

كانت ممارستي الطب البيطري تتناول الحيوانات الاليفة والحيوانات البرية التي تعيش في الغاب. ولم تكن لدي رغبة في معالجة الحيوانات البرية الأسيرة، والسبب الرئيسي لذلك اعتقادي أن ذلك يجعلني شريكا في ذلك العمل الممض الذي يضع الحيوانات تحت أنظار المشاهدين من دون توفير المساحة أو العناية المناسبة. لكني بين حين وآخر كنت أشذ عن هذا النهج. وتلك الذئبة الرائعة كانت في حاجة ماسة الى المساعدة.
حقنت مخدراً في خاصرة الذئبة من خلال أسلاك القفص. وبعد انقضاء ٢٠ دقيقة هجعت في نوم عميق. ورفعتها برفق من القفص ونقلتها الى غرفة الجراحة. ومررت يدي باعجاب على فروها الفاخر. يا لها من حيوان جميل.
وكانت كارين أصبحت مساعدتي في غرفة العمليات، فأعدت ساق الذئبة للجراحة وفتحت شقاً في موقع متوسط بين الكتف والمرفق فوق المنطقة التي أخذت تسودّ. وتفجر الدم على قفازي حين قطعت شرياناً تحت الجلد. وأقفلت الشريان سريعاً بمشدّ وواصلت ربط كل ما وجدته من عروق نازفة. وكنت طوال الوقت ألعن الظروف التي اضطرتني الى البتر.
وحان وقت نشر العظم. وشردت أفكاري ولم أعد قادراً على كبتها فانفجرت صائحاً: "هذه العملية كلها تثيرني الى حد الجنون. انها خالية من أي معنى ولم تكن ضرورية قط." ثم رفعت عيني وسألت كارين: "هل تعرفين خطيئة مَن هذه؟"
ونظرت الي كارين سائلة بدورها: "هل هي خطيئة صاحب معرض الحيوانات البرية؟"
وأحدثت العظمة قرقعة عالية عندما انكسرت قطعتين.
وتمتمت: "اجل، لكن في الامر اكثر من ذلك. فبعض اللوم يقع على قانون ولاية ويسكانسن الذي يسمح بنصب الحبائل لاسر مثل هذه الذئبة في آلاسكا وبيعها هنا."

انقضت تسعون دقيقة قبل أن أنجز القطبة الاخيرة في الجلد. وباستثناء الساق المبتورة بدت المريضة في حال جيدة. وستتعافى وتعود الى قفصها.

وفي صباح اليوم التالي جاء صاحبها ليستردها.

سألني: "هل تعتقد انها ستكون بخير؟"

وترددت في الجواب، اذ وجدت صعوبة في التحكم بمشاعري. ثم قلت: "الجراحة تمت على ما يرام." وجهدت كي أجعل صوتي طبيعياً. ثم رحت أراقبه من خلال نافذة مكتبي وهو ينقل القفص الذي حبست فيه الذئبة الى صندوق شاحنة صغيرة. بعد ذلك انطلق عبر موقف السيارات المتجلّد والذئبة ترتج بعنف صعوداً وهبوطاً. بدا أنها لا تعي ما يحدث لها. وفي تلك اللحظة فهمت ذلك المعنى الغامض الكامن في عينيها.

تلك الذئبة القطبية الجميلة لم تكن حيّة وسعيدة حقاً، لقد انتهت يوم وقعت في الشرك في آلاسكا.

"الدم البارد"

ذات يوم دخل عيادتي صبي ذو وجه نمش عمره عشرة أعوام ومعه أمه. كان يحمل كيساً من الورق داخله ضفدع علق في أعلى فمه شص لصيد السمك.

دفعت الام بابنها نحوي وهي تقول: "أخبر الطبيب بما جرى يا بيلي."

لم يفتح بيلي فاه اذ كان على وشك أن يجهش بالبكاء. وخاطبته مهوناً عليه: "اسمع يا بيلي، دعني أحاول ان أحزر ما جرى. أراهن أنك كنت تسير على ضفة البحيرة حاملا قصبة الصيد. ربما كنت تسعى الى صيد سمك القاروس او القنبر. هل انا على حق حتى الآن؟"

هز الولد رأسه موافقاً.

وتابعت: "عندئذ لمحت الضفدع الكبير الهرم. انه العلجوم(٢) عينه الذي كنت تحاول أن تقبض عليه في الصيف الماضي، لكنه كان حذراً جداً فلم تفلح. أليس كذلك؟"

وهز الولد رأسه مرة أخرى.

وواصلت حديثي: "بقي العلجوم قابعاً على تلك النباتات العائمة فوق المياه العميقة بعيداً عن متناولك. أنت لم تكن تريد ايذاءه، كنت تحاول فقط أن تمسك به لتلقي عليه نظرة. وهكذا وضعت دودة على الشص وانحنيت وأدليت بالشص أمام العلجوم."

وقاطعتني الأم: "صحيح يا دكتور، ذلك ما حدث فعلا. ويمكنك أن تتخيل ما حدث بعد ذلك."

قلت: "قفز العلجوم الى الشص. ولم يصبه في المرتين الاولى والثانية، لكنه عضه أخيراً وعلق به."

ورجتني الام: "اروِ لنا المزيد مما جرى."

فتابعت: "حسناً يا بيلي. استبد بك الهلع عندئذ فعدوت الى الكوخ والعلجوم مدلى في الهواء من رأس قصبة الصيد وأنت لا تدري ما يجدر بك أن تفعل. وسمعت أمك صياحك فخرجت لتتحرى الأمر. وحين رأت العلجوم أظن انها أطلقت صرخة او اثنتين."

---

(٢) العلجوم ذكر الضفادع.

وتدخلت الام: "بل ست صرخات أو سبع."

وضحكت مواصلا روايتي: "كان والدك يصطاد السمك في مياه البحيرة. ولم تجرؤ أمك على الامساك بالعلجوم لتنزعه من الشص. لذلك جئتما اليّ. هل هذا صحيح؟"

في هذه الاثناء كان بيلي استرخى واستطاع الابتسام.

قلت: "حسنا يا بيلي، دعنا نلقي نظرة على هذا العلجوم."

سجلّ الضفادع

ناولني بيلي الكيس فمددت يدي داخله وأخرجت المريض ذا الدم البارد. كان العلجوم يتلوّى، لكني أفلحت أخيراً في القبض عليه وجذبته خارج الكيس وفحصته ووجدت الشص وشوكته مغروزين في شفته العليا. وسألت الصبي: "ما اسم هذا الضفدع يا بيلي؟"

فأجاب متلعثماً: "أظن... أظن... ان اسمه بورت."

قلت: " يا له من مسكين. لا يسعنا أن نخدّره كي لا يتألم، كما نفعل بالكلاب والقطط. لذلك ينبغي أن يمسك به شخص ما بينما انزع أنا الشص من شفته. هل تريد أن تساعدني يا بيلي أم أستدعي شخصاً آخر ليثبت بورت في مكانه؟"

"لا!" قال بيلي مظهراً جرأته، "بل سأمسك به أنا."

قبض بيلي على العلجوم ودفعت أنا الشص الى آخره في شفة العلجوم، ثم قطعت الشوكة وسحبت الشص برفق قائلا: "قضي الامر يا بيلي. هذا يكفي. والآن دعنا نعيد العلجوم الى الكيس. وفي امكانك ان تطلقه حيث أمسكت به."

بدا أن بيلي ارتاح بعد التوتر الذي اعتراه. فأعاد العلجوم الى كيسه وربت جانب الكيس تحبباً وهو يبتسم مسروراً، ثم مضى هو وأمه. الا أن تلك القصة الطفولية ستبقى في ذاكرتي.

أتذكر عندما كنت في سن بيلي أنه انتابني هلع من الضفادع. وعلى غرار الكثيرين من أترابي لم أكن أقدّر المخلوقات الحية حق قدرها. والله وحده يعلم كم ضفدعاً قتلت. وربما من شأن برنامج رعاية الحيوانات البرية الذي بدأناه أن يعلم أبناء هذا الجيل ما لم يقيّض لي أن أعرفه في صغري.

قلت في نفسي ان بيلي ولد طيب القلب، وسرّني أن أساعده. وتحرير بورت من الشص الذي انغرز في شفته لم يبيض سجلي في عالم الضفادع، الا انه كان بداية.

حياة صغيرة

مراقبو الطيور في الناحية التي نقطنها من ولاية ويسكانسن يعلنون قدوم الربيع عندما يشاهدون طائراً غواصاً أو عصفور أبي الحناء، وكلاهما يحب السباحة، عندما يتكسر الجليد على نهر توماهوكس فيصبح سالكاً أمام الزوارق. أما أنا فلا اعتبر أن الشتاء انقضى الا حين يحضر الي أول مولود جديد من الحيوانات البرية للمعالجة.

وفي العام ١٩٨٢ وقع هذا الحادث في يوم بارد كئيب من شهر مايو (ايار) في السادسة مساء.

كنت في المختبر أنجز بعض فحوص الدم حين دخلت كارين قائلة: "يا دكتور فوستر، ان جيم وبيفرلي كلاين ينتظران في غرفة الفحص الاولى ومعهما أرنب مصاب. أتتذكرهما؟ انهما يملكان كلبي الصيد الايرلنديين ماكس وسامبسون والهر كاليبسو."

وتذكرت تماماً. كانت بيفرلي طيبة، أما جيم فكان مشاكساً. وكانا دائماً يتجادلان.

لم تكد كارين تبلغ الي رسالتها حتى تعالى صوتا جيم وبيفرلي في مناقشة حادة.

وفيما أنا منصرف الى عملي رحت أسترق السمع.

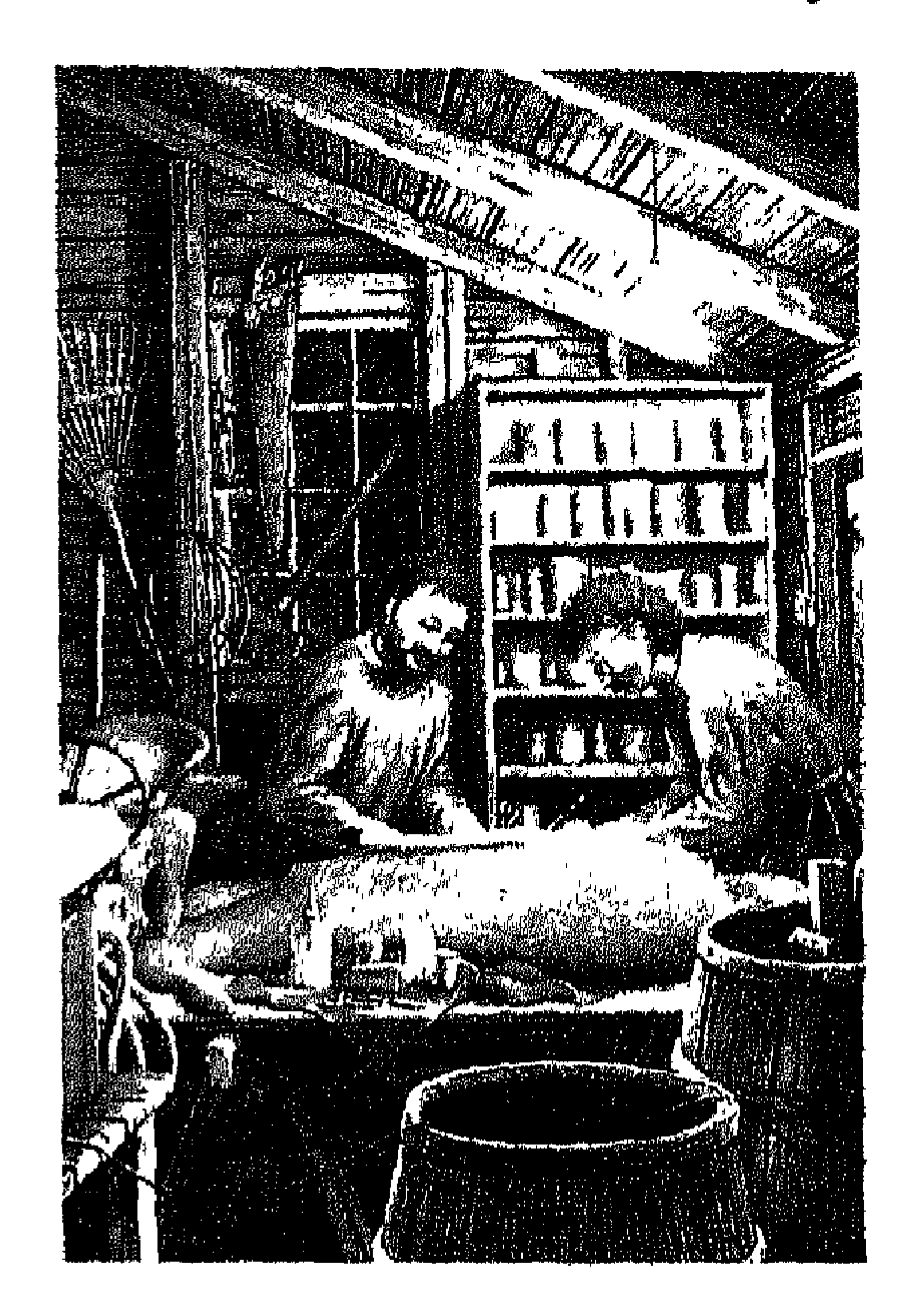
كان جيم يتذمر: "ان هذا اهدار للوقت. أي معنى لمحاولة انقاذ أرنب واحد في حين تعيش المئات في البرية؟"

قالت بيفرلي: "هذا المخلوق التعس يستحق أن تتاح له فرصة للعيش. لم تكن خطيئته أنك مرّرت جزازة العشب فوق جحره."

وردّ جيم مدافعاً: "يا بيفرلي، انه قضاء الله أن يموت بعض المخلوقات. لقد شاهدتِ الكثير من أفلام والت ديزني، لذلك لا تستطيعين فهم الواقع. تلك هي الحياة البرية."

وتأوهت بيفرلي: "آه... فهمت... انك تعتبر الجزازة بين يديك من وسائل القدر... يا للسخف!"

وصاح جيم: "اسمعي يا بيفرلي. حتى اذا افترضنا أن هذا الارنب تعافى، فمن المحتمل أن يفترسه حيوان ضار في الغابات. اني أفهم أن تقدمي العون الى



نسر أو طائر غواص، اما الارانب... ان لدى الدكتور فوستر واجبات أولى."

قرار حاسم

رن الجرس في جهاز فحص الدم معلنا نهاية الاختبار. فدوّنت النتائج وتوجهت الى غرفة الفحص وحييت الزوجين وكأني لم أسمع شيئاً.

سألتهما: "ماذا معكما في ذلك الصندوق؟"

فوقفت بيفرلي وقالت بصوتها الرقيق الجميل: "في هذا الصندوق خرنق(٣) صغير." ووضعت الصندوق على طاولة الفحص وراحت تروي قصتها: "كان جيم

(٣) الخرنق ارنب صغير.

يجز الاعشاب في المرجة أمام بيتنا، فمرّر الجزازة فوق جحر هذا الخرنق. أظن أن الشفرة جرحت جنبه، لكني أرجو أن يشفى."

ولم يفه جيم بكلمة، بل جلس يحدق الى زوجته وهي تتكلم، ثم تنهد باشمئزاز.

قلت: "لا بأس، يمكنك أن تعهدي به الي." وواكبت الزوجين الى خارج الغرفة.

بعدما تخلصت من آل كلاين فتحت الصندوق ومددت يدي ورفعت الخرنق المرتعد لافحص جرحه. كان طوله لا يتعدى تسعة سنتيمترات. وكان ظهره مغطى بوبر بني ناعم، أما بطنه فكان أبيض. وتحرك أنفه الزهري وشعرات شاربيه حين وضعته على الطاولة.

ووجدت في جنبه الايسر تحت الضلع الاخير جرحاً يبلغ طوله سنتيمترين ونصف سنتيمتر. وكان جلياً أن ذلك هو الموضع الذي اصابته شفرة الجزازة. ورأيت طيّات امعائه الحمراء من خلال الفتحة، وقد تسربت قطع من الشعر والعشب الاخضر والاقذار الى جوفه.

في غضون السنوات الخمس الاخيرة تعين علي أن أتخذ قرارات حاسمة في محاولات انقاذ الحيوانات. وكان اتخاذ هذه القرارات سهلا في غالب الاحيان. ولا ريب في أني لم اتردد في معالجة نسر أو عقاب، ولكن ربما كان جيم على حق في شأن هذا الارنب الصغير، فثمة ألوف، بل ربما ملايين، من أمثال هذا المريض في عالم البراري.

ولم يقتصر الامر على أن حياته ليست بذات أهمية بالنسبة الى عالم الارانب، بل ان معالجته كانت تعني تأخير كارين ٤٥ دقيقة أخرى على الاقل، وكانت الساعة قرابة السابعة. وتقضي المعالجة الصحيحة بالتخدير الموضعي الذي تعقبه قطب صغيرة متعبة.

وعلى افتراض أن الخرنق استطاع احتمال كل هذا العناء، فاني سأضطر الى أخذه معي الى البيت تلك الليلة لأضعه في حاضنة مدفّأة. وسيتعيّن عليّ وعلى ليندا أن ننهض ليلا مرتين على الاقل لنتفقده ونجرعه الحليب بقطّارة ونحقنه بمضادات الحيوية. وبدا أن هذا الجهد أكبر من أن يبذل لخرنق صغير.

ثم ان التجربة علمتني ان الحظ في نجاح الجراحة لا يتجاوز الخمسين في المئة. وكان جيم على حق، فحتى لو أنقذت حياة هذا الخرنق، فمن المحتمل أن تقتله بومة أو يفترسه ثعلب أو ترهسه سيارة.

وهكذا، في ضوء كل هذه الحقائق، فعلت ما كان خليقاً بي أن أفعل.

ولم تعترض ليندا قط، بل انها تطوعت للنهوض ليلا لاطعام المريض الجديد.

المرأة الجميلة

في ليلة جميلة من ليالي ربيع ١٩٨٢ جلست مع ليندا ونحن نسند ظهرينا الى شجرة صنوبر ضخمة عمرها مئة عام تحت السماء المخملية السوداء. وارتفع البدر تاماً وأرسل نوره الهادىء على الباحة. وكانت ليندا ترضع بالزجاجة رشأ كسرت سيارة ساقه. وكانت عيناه البنيتان تلتمعان خوفاً.

وطمأنتها: "سيكون على خير ما يرام."

وكان ينتصب أمامنا البناء الاصلي لمستشفى فوستر وسميث للحيوانات الذي سمي باسمي واسم مارتي. والى اليمين ممر طويل يصل المستشفى ببناية تم تشييدها قبل أسابيع قليلة. ذلك هو مستشفى نورث وود للحياة البرية الذي سيفتتح في الصباح كأول مرفق في الغرب الاوسط لمعالجة الحيوانات البرية واعادة تأهيلها.

وفيما أنا أراقب هذه المؤسسة الفخمة لم يسعني الا أن أعود بالذاكرة الى البداية المتواضعة التي انطلقنا منها. أذكر أني استدعيت مرة مع مارتي ورايس لاجراء جراحة لظبي جريح. واضطررنا الى اجراء الجراحة في سقيفة قديمة حيث وضعت لوحة خشبية عريضة على ركيزتين لتكون طاولة الجراحة. ما ابعد الشوط الذي قطعناه!

وكانت تلك السنوات مفعمة بالجهد بالنسبة الى ليندا كذلك. فقد ولدت ابنتنا آلي وابننا مايك بينما هي تعنى بحيوانات برية عدة. لكن تلك السنوات لم تغيرها، وظلت تلك المرأة الجميلة. وراقبتها وهي تنحني على ذلك الرشأ وتحضه على شرب الحليب وشعرها القاتم يتدلى على كتفيها ليستقر فوق رأس الرشأ.

وهمست: "يا ليندا، هل أنا واهم أم ان هذا الرشأ يشبه فالين؟"

وتفرست ليندا في الرشأ الوليد وقالت أخيرا وهي تهز رأسها: " لا أدري... يا روري...فالضوء يخدع في هذه الليلة."

ضحكت ومددت يدي لأربت الوبر الناعم ثم قلت: "أنا أدري... كل الأرشاء متشابهة." ودنوت من ليندا فأسندت رأسها الى كتفي وانسدل ستار من السكينة في جو ذلك المكان.

نظرة أخيرة

استيقظت من نومي وأنا أشعر بفتلة في رقبتي وألم خفيف في ظهري الملتصق بجذع الصنوبرة. ونظرت الى ساعتي فاذا هي تشير الى الثالثة والنصف صباحاً. والتفت الى ليندا فاذا هي غارقة في نوم هادىء، كذلك الرشأ المستريح على ركبتيها.

وهمست في أذنها برقة: "ليندا، انهضي يا عزيزتي، الساعة الثالثة والنصف."

وحملنا الرشأ الى زاوية في باحة المنزل ووضعناه على فراش من القش. وأخذت ليندا تمرر يدها على رأسه كما لو كان طفلا رضيعاً.

قالت ليندا: "أتساءل هل آلي ومايك بخير."

فطمأنتها: "انهما قضيا ليلة مع أختك من قبل. انهما بخير. فلنمر ونأخذهما باكرا. يمكنهما أن يحضرا معنا حفلة الافتتاح. وآلي تحب أن ترى الرشأ الجديد."

وغادرنا الباحة ودخلنا مستشفى الحياة البرية. كان الهدوء يرين على المبنى الجديد تحت الضوء الخافت. وكانت الحيوانات الخاضعة للمعالجة لا تزال في المستشفى القديم في انتظار الافتتاح لتنقل الى المهاجع الجديدة.

وتمتمت: "يا ليندا، أُحب أنْ ألقي نظرة أخيرة. لن يخيم الهدوء على هذا المكان هكذا بعد الآن."

وأدركت ليندا ما أعني، فأمسكت بيدي وعبرنا غرفة المعالجة. كانت الخزائن المملوءة بالمواد الطبية تغطي الجدار. وفي الزاوية انتصب برّاد طويل بني اللون فتحت بابه وأنا ابتسم. كان يحوي أكداساً من السمك الصغير المجلد المعد لاطعام الحيوانات التي تقتات بالسمك، وعلباً من بقايا اللحم قدمت الينا هدية من مطعم محلّي لاطعام حيوانات أخرى.

عنوان غريب

كان الباب المؤدي الى الغرفة التالية يحمل لوحة كتب عليها "طيور مائية." ان طائر الواق الامريكي ومالك الحزين الازرق اللذين نعالجهما سينقلان الى هنا، والصهريج العميق قرب الجدار سيكون مستقراً ممتازاً لطيور البط ومالك الحزين. ثم هنالك "غرفة الطيران" حيث يعاد تأهيل الطيور الجوارح. وثمة غرفة أخرى مملوءة بالاقفاص ستوضع فيها الحيوانات البرية الاخرى وتكون بأمان.

وقلت مناجياً نفسي: "لدينا أيضاً ثلاثة أقفاص للطيران في الخارج." وضحكت ليندا قائلة: "أعرف ذلك."

وقفت ونظرت الى زوجتي الجميلة. ان ليندا تشكل جزءاً من كل هذا، مثلي تماماً.

وقرب الهاتف في غرفة الاستقبال رأيت كومة من الرسائل. وقالت ليندا مبتسمة: "حين جيء بالرشأ الى هنا أغفلت أمر هذه الرسائل. لقد اتصل رايس ليقول انه سيقود طوال الليل قادماً من ولاية ميشيغان ليحضر حفلة الافتتاح. وطلب أن أخبرك أن نتائجه في الامتحانات النهائية جاءت جيدة."

وفكرت: سبع سنوات انقضت وبقيت سنة واحدة. ثماني سنوات! وهززت رأسي متذكراً أيامي كطالب طب بيطري.

قالت ليندا: "ثمة رسالة هنا موجهة اليك من طبيب بيطري في ولاية أوريغون."

ولم أكن أعرف أحداً في ولاية أوريغون. وناولتني ليندا الرسالة. ونظرت الى الغلاف واستبدت بي الحيرة. فقد كتب على العنوان:

الى الدكتور وايلدلايف (٤)
مينوكا، ويسكانسن

فضضت الغلاف بعناية وقرأت الصفحات التي وصلت الى عتبة بيتي. وتبين لي أن الطبيب البيطري قرأ في صحيفة نبأ افتتاح مستشفانا الجديد للحياة البرية. قال انه كان يفكر في تنفيذ مثل هذا المشروع، ويهمه أن يتلقى أخباراً عن المشاكل التي واجهتُها.

وناولت ليندا الرسالة، فأدهشها العنوان الغريب وأسعدها: "الدكتور وايلدلايف" (طبيب الحياة البرية). وبعدما قرأت الرسالة نظرت الي وسألتني: "بماذا سترد عليه؟"

قلت: "أظنني سأخبره الحقيقة. هيا، فبعد خمس ساعات ينبغي أن نعود الى هنا."

---

(٤) Wildlife بالانكليزية تعني الحياة البرية.

ورجعنا الى الباحة لتفقد الرشأ. وانحنت ليندا لتلامس رأسه.

وهمست بصوت رقيق: "ذلك الطبيب البيطري يسأل عن مشاكلك. اني لا أتذكر اننا واجهنا مشاكل. هل تتذكر أي مشكلة؟"

ونظرت الى ذلك الحيوان المحتاج الى رعايتنا وحبنا، وفكرت في كل تلك الحيوانات المصابة أو اليتيمة في البراري التي تحتاج هي أيضاً الى مساعدتنا، ثم أجبت زوجتي: "لا، لا أتذكر."

بعد وقت قصير من قبول كتابي هذا للنشر أدركت أن شيئاً ما فيّ ليس على ما يرام. فالحيوانات التي كنت أرفعها بسهولة الى طاولة الفحص باتت ثقيلة على نحو غير عادي، كما بدأت أدوات الجراحة تسقط من يدي. وبدا لي أن الاستجابة العصبية في حركاتي تتجاوز الحد، وشعرت بالوهن يدب في يدي. وذهبت الى اختصاصي بالاعصاب فاكتشف اني مصاب بتصلب جانبي ضموري ناجم عن اختلال في الخلايا العصبية ويعرف بداء لو غيريغ(٥).

وتأثيرات هذا الداء تؤدي عادة الى الموت خلال أربع سنوات.

ان المرء يفكر كثيرا، وفي استرجاع الماضي أدركت أن السنوات التي قضيتها في مساعدة الكائنات البرية كانت أفضل فترة في حياتي. ومع أن بعضهم قد لا يهتم لذلك، فاني أظن ان السواد الاعظم منا ينعم بشيء من فطرة الدكتور وايلدلايف. انه الامر الذي يدفعنا الى مد يدنا لمساعدة مخلوق آخر أتعس حظاً منا.

فاذا لم توقظ تلك الفطرة في نفسك حتى الآن، فقد يكون الوقت أزف الآن لتوقظها.

الدكتور روري فوستر ■

(٥) Amyotrophic lateral sclerosis or Lou Gehrig's disease

عندما تتكلم الشجرة

في لوحة على شجرة بمدريد عاصمة اسبانيا نقشت العبارات الآتية:

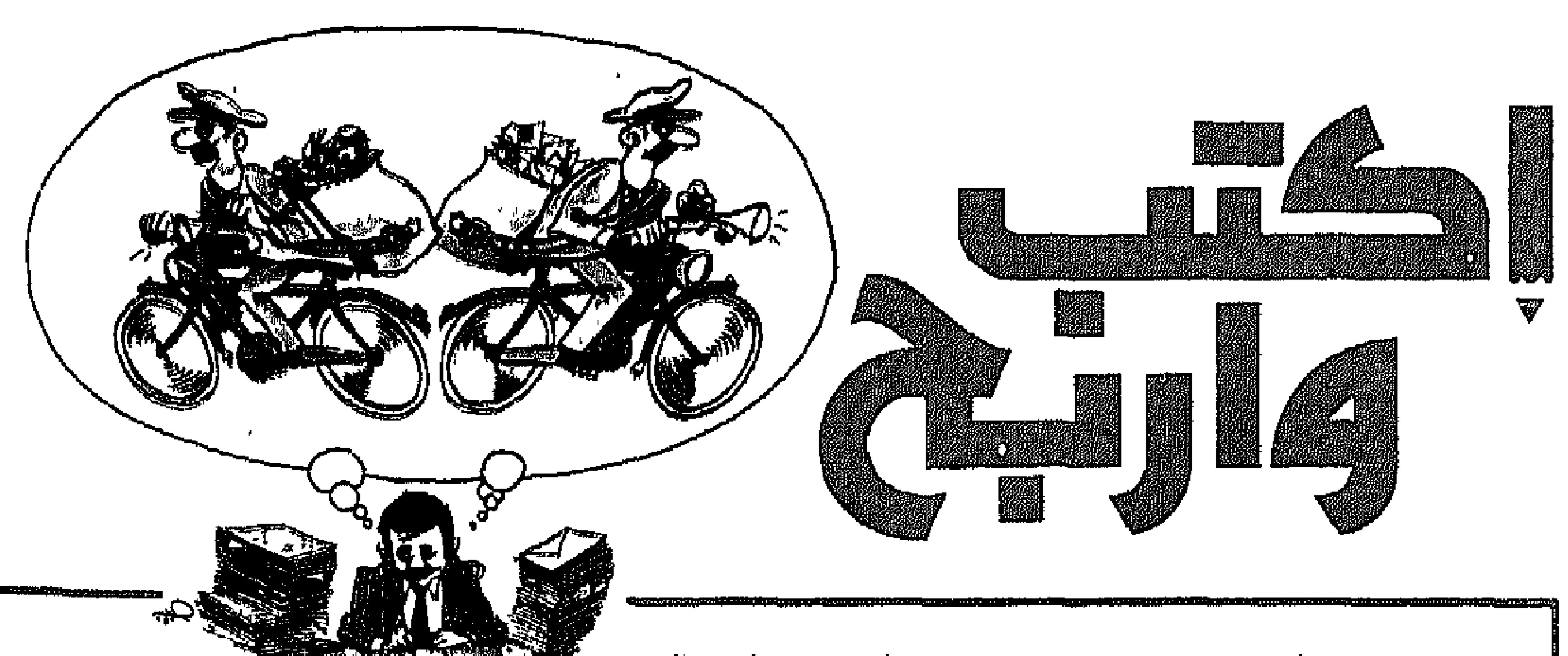
أنا دفء الموقد في ليالي الشتاء الباردة.
أنا الظل الذي يقيك وهج شمس الصيف.
ثماري وعصارتي تطفىء ظمأك في ترحالك.
أنا الجسر الذي يحمل سقفك، والباب لبيتك، والسرير الذي تتمدد عليه، والخشب الذي تصنع به قاربك.
أنا مقبض معولك وخشب مهدك وهيكل تابوتك.

ج.ش.

كل الناس يحبون العاشق عدا الذين ينتظرون دورهم لاستخدام الهاتف.

ك.م.

اكتب واربح



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

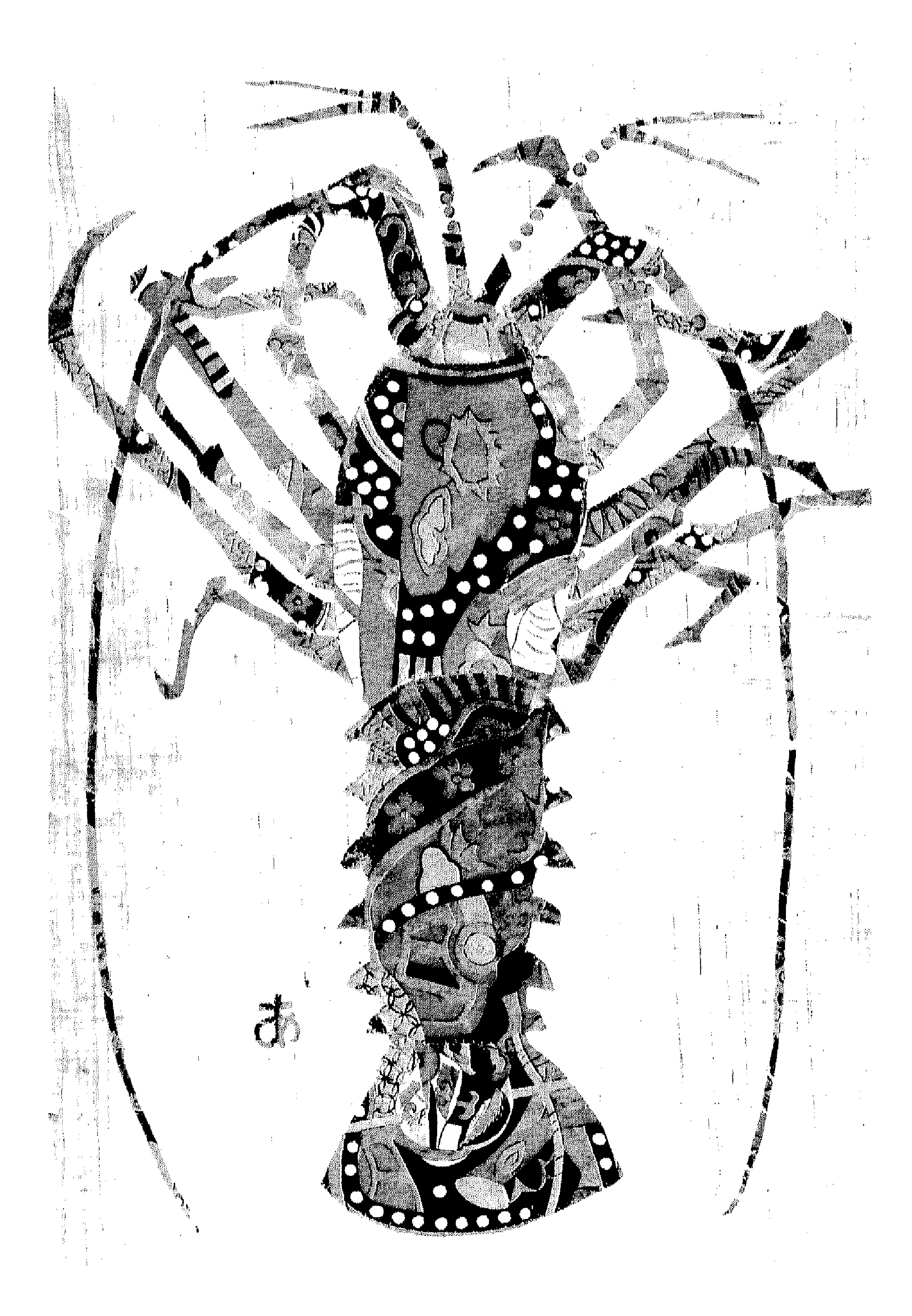
حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدادات: هناك نُكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٣٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨، المتن الشمالي، لبنان.



"كركَنْد" للياباني أياكو مياواكي